

للا متنجي



هَذَا الْكِتَابُ

حين أصدر كولن ولسون كتابه هذا اللا متنجي ، كان لا يزال في الرابعة والعشرين من عمره ...

وقد أثار الكتاب ، ولا يزال يثير ، مناقشات لا تنتهي مرتجها إلى أنه يعالج ، لأول مرة ، موضوعاً جديداً ، هو موضوع نفسية الإنسان اللا متنجي ، الإنسان الذي لا ينتمي إلى حزب أو عيلة ، ويميز ظله العملاق في مشرقه المظلمة ، مستلماً حيناً ومتمرداً حيناً آخر .

ويقدم كولن ولسون بهذه المراجعة على ضوء دراسة واسعة لشخصية اللا متنجي كما تتجلى في آثار كبار الكتاب والفنانين ، فيعمل على آثار كافكا ، وشتروفسكي ، وحنغواي ، وكامو ، وسارتر ، وبنيتو ، وفان كوخ ، ولورنس ، وهنري بارجر ، وسوامر تحليلياً بأحد تصاميم القلوب ، ويطلق أسوأ ما طعنا على روايته هؤلاء الكتاب والفنانين .

وقد قال أحد النقاد إن اللا متنجي ، هو أعظم كتاب في التحليل صدر في أوروبا منذ كتاب « سقوط الغرب » لاشجار ... وقال آخر : إننا لا نكاد نجد في أن مؤلفه حتى في الرابعة والعشرين ...

وانطلق كولن ولسون بعد ذلك يكتب ويكتب حتى أصبح اليوم من قادة المفكرين في العالم كله .

تقديم

هناك دائماً نوع من الأشخاص - يعتبر ذا أهمية خاصة وتجتمع فيه الصفات التي يمكن أن تجعله صورة صادقة لمصره . ونجد هذا النوع بطلاً في عصر ، وثالثاً في عصر ثان ، وأحد أفراد حاشية البلاط في عصر ثالث ، وقديماً في عصر رابع . فما هو النوع الذي يظهر في عصرنا اليوم ؟ هذا العصر الذي يفتد بعد داروين وفرويد وآينشتاين والفيزياء الذرية ؟ ان هذا الكتاب الرائع يقدم لنا الجواب على ذلك ، انه اللامتي .

يبرفولسن اللامتي بقوله إنه الانسان الذي يترك ما نهض عليه الحياة الانسانية من أسس واه ، والذي يشعر بأن الاضطراب والخلوصية هما اعنى حلماً من النظام الذي يؤمن به قومه . لقد رأى الماضي اشخاصاً مثل هذا توفرت لديهم مثل هذه الرؤى المفرقة الا ان هذا النوع لم يمثل عصره يوماً كما يفعل الآل فقد فهم لنا ولرس . بأعطاء هذا المجهود على عاتقه ، كتاباً عظيم الأهمية بالغة الأثر . فدا كنا نريد حقاً ان نجد حلولاً لمشاكل عصرنا .

يتميز الكتاب وليس مثلاً على اللامتي النموذجي في الادب الحديث ، فبدلاً من ان يظل قصة باربوس والجحيم - الذي يلجأ الى معرفته في القندق ليطلق بانها وحوش امرف الآخري من تحت في الحائط - انه كما يقول باربوس : يرى أكثر وأجس من عصره . وهذا لا يرى الا التوسعي ، ونعطينا كرامة هـ .

الخطوط المحروقة

لدار الآداب - بيروت

الطبعة الثانية

ولم الاخيرة العقل في مستوى حدود الاحتمال ، نظيراً مثل هذا الاستيفاط
فها عند رجلاً عاش حياته كلها مشياً ، وقحاة يرى الحياة اماناً ، فيخرج
مدعياً اننا لم نكن ذاهبين الى اي مكان ، ويتبع ولن طبيعة اللامتنى
خلال قصة كاسر ، الغريب ، و أعمال ارنست همفري الاول ، وبطريقة
لشد طرافة في مسرحية كرافيل باركر ، الحياة البرية ، يعود بعد ذلك
الى بحث اللامتنى الرومانسي في فصل كامل .

ويتر ولين بأن الجو الذي يتميز به عالم اللامتنى المعاصر ، جو كرهه جداً .
ان هؤلاء الأشخاص لا يرفضون الحياة فحسب ، وانما ينادونها الفكر منهم .
ان عالمهم المجرد من القيم هو عالم اشخاص بالعين ، والفرق بين عالم البالغين
وعالم الاطفال هو احد الظروف الرئيسة بين عالم القرون العشرين وعالم القرن التاسع
عشر . لقد كان لامتنى القرن التاسع عشر طفلاً لا يتفكر في ان يكون نيلسيا
منشأً ، (في الوقت الذي كان فيه الفلاسفة يشبهون مربى القرد (الكابوبيز)
حين يتفكرون في لعبة من ألعابهم) ، ولم يتطلع لامتنى القرن التاسع عشر
ان يعتقد بأن انطباعاً كاملاً في الطبيعة الانسانية ، لأن الفلسفة التي كانت غالبية
على ذلك العصر كانت تقول بأن الكمال الانساني شيء ، يمكن ان يتحقق .
وطالما فقد ظن ان انطباعاً يكمن فيه هو ، وكان يعتبر امرأ عظيمياً بالنسبة
اليه ان يكون مريضاً مثل شيلر ، وان يتناول المخلوقات مثل كولريج وان
يموت شاباً مثل شيلي . ويتبع ولين اللامتنى الرومانسي في (آلام فرتر)
لموته ، وفي القصص لشيلر ، وكثيرين غيرهم ، مثل تيلك وهولدرلين
وراسر ومالاميه ورولك وبيروست .

مثل أن مشكلة اللامتنى هي في جوهرها مشكلة حية ، وطالما كان ولين
يعود من الأدب الى الحياة نفسها فيعتبر فان كوخ ودي. بي. لورنس وجسكي
لامتنين ، انه يختارهم باعتبارهم نماذج لثلاثة للامتنى يتميز كل واحد منهم
بميزات خاصة بانفسها الآخرون في لا الهائيه ، ميزات في العفوية والشعور
والخمس الا اننا نجد ان الطريق التي شقها كل واحد من هؤلاء لم تكن متمرة في حد

تلقا . ذلك ان الامر ليس عند ارجح واستحي او الخوف في حين لم يكن
الامر لورنس العقل ليقل من وجود جسكي ، يستحي وليس الى ان اعم
ما يشعر به اللامتنى هو عدم القدرة في ان يكون لامتنياً ، الا انه لا يستطيع
ان يتخطى من كونه لامتنياً ، لا يريد ان يكون بورجواً عادياً ، وليس
ذلك الحق الصريح ان مشكلته هي كيف يتخطى الانام ، الا ان لورنس
وجسكي وقاد كوخ انما عادوا الى العلف ، والاعمال ، والاعمال .

وعندما نطالع لامتنى ليس نجد اننا قد افقدنا حساسية عن تلك الاشخاص
المتعاونين صحتهم العقل انه يبدأ يروج من القوم انش الدافعية ، لم ي اكد
يستطيع ان يربطها ، اما الجواب الذي يعطى من صريح العقل فهو ، ارسله
ان العقل النفسي ، - الا ان هذا لا يمكن ان يعطى جواباً ، والصدق في هذا
الجواب الذي يكشف عنه بحث ولين هذا فلا بد انه جواب عتيق ، ان مشكلة
اللامتنى هي في اساسها مشكلة الحرية ، ولا نقصد بذلك الحرية السياسية طبعاً ،
واما الحرية كماها الروحي المعنى ، وان جوهر الدين هو الحرية وطالما ، فعلاً
ما عند اللامتنى يلجأ ان مثل هذا الحل ، اذا يعني له ان يجد حلاً .

يريد اللامتنى ان يكون حراً ، وهو يريد ان يصير العقل ليس حراً
والقد وجد يشبه الذي يتأمله وليس بالبحث ايضاً ، حلاً في اختياره العالم
ان جميع الحق عند ان يكون لامتنياً ، انما لا يفسد ان كانت في فقد هزم
من الصمم يستقيم بانكار الذات والظن ان جوهر لسيعة ، وهو هذا
الفصل مدون في جسكي الذي خصص له وليس معظم ما بقي من الكتاب ، مثلاً
أعماله على "عقياً" ، ذلك لأن أعمال هذا الكتاب كنه الطريق لطوارات جديدة
"يريد اللامتنى ان الدين لا يمكن ان يكون حراً بل مشكلته ، وعليه فقد
يعود كما فعل جرج هركس يشهر بضاد العالم ، وهذا له ان الله عند اقواب في
أفكاره يترك ما له الله ، حياً ان يستلزم ابتلاء العقل ، ولقد هذا الى
الحلول التي وجدت تلك الطرق ، التي حلت ولين عن منهم من ان
لدينا لسيعة حلاً ، ولاننا لم نخرج معظم الشر في نظر لكان عتيق ، اننا لم نلجأ

أرواحاً متراصة ، وهنا نجد ان الأساس الذي تنهض عليه كل واحدة من هاتين الجاهتين هو : كمن متطرفاً . ان القديس المسيحي يجرب وهو معلق على صليبه نوعاً من الشبهة العنيفة الراحية . هل انه اذا كان مثل هذا المتطرف مفروضاً فرضاً كعقوبة ، فان اللاهوتي يقول بأنه تطرف عديم الفائدة . بل ضرر . ان قيمة التطرف هي في حيوية الارادة الكاملة فيه .

وهكذا نجد ان البحث الذي ينتهي منه وليس في هذا الكتاب يصل شيئاً فنيئاً حتى بشكل حلقة كاملة : « التي لا اهدف الى ايجاد حل صحيح كامل لمشاكل اللاهوتي ، وانما اهدف الى بيان ان مثل هذه الحلول ، والمحاولات التي بدأت في سبيلها موجودة فعلاً » . وقد حقق وليس هنا تماماً . فاننا اعتبرنا هذا الكتاب بحثاً عن الشخصيات المهمة في الادب الحديث . وعن المفكر هذا الادب فاننا نجد ان ذلك وحده يجعله يستحق القراءة ، عن جدارة ، الا انه أكثر من ذلك غير محال كثيرة . انه في الحقيقة سجل حافل للأمراض الروحية التي يعانيها البشر في منتصف القرن العشرين ، وانه يمثل تحدياً لكل فكر .

ان مؤلف هذا الكتاب هو الآن في الرابعة والعشرين من عمره .

(مقدمة الناشر الانكليزي للطبعة العاشرة - ١٩٥٦)

الفصل الأول

بلد العميان

يلوح اللاهوتي من لفظة الأولى مشكلة اجتماعية ، انه الرجل الغامض . « هل سطح الترام ، في الهواء الطلق ، يجلس فتاة ، ترتفع أذبال ثوبها قليلاً ، الا ان توقفاً في حركة المرور يفصلني عنها ، فيبعد الترام شيئاً شيئاً عنياً وكأنه كابوس .

« الشارع مملوء بالأتواب المتأرجحة المعلقة في الانحياز والتي تغل من ضبابها مرجح ، والأذبال ترتفع ، الأذبال التي ترتفع ولا ترتفع !

« اني ارى نفسي في المرأة الطويلة الضيقة المعلقة في واجهة ذلك المحل ، فادعاً يلوح حل الشحوب والتماس . لست اريد امرأة واحدة ، اني اريد النساء جميعاً . اني اتمنى انهن يبن من حولي من النساء . واحدة بعد الأخرى ، (١) . هذه المتطور من قصة هنري نازيوس ، الخسيس ، نادلاً هل مظاهر مربة من اللاهوتي . مظهر يسير على شارع من شوارع باريس . تعصه الزمبات المشتملة فيه من عبء من الناس تحدة . وان الحاجة التي تسبها في نفسه للنساء ليست حيوانية تماماً ، فهو يستمر عالمة .

« راجع شكلاً (١) في الجزء الثاني من الكتاب .

« ولم نستطع المقاومة » فتبع دون أي صورة مرسومة ، بعد أن رأيت ذلك
 ترقبني من زوايتها ثم سرنا جنبا إلى جنب ، « ولما جئنا إلى الباب » ، أحاطني معها
 إلى بيتها ، « ومن المشهد المعروف » ، « ومن » وكأنه يصرخ تحت مفاصله .
 « ورأيت نفسي على الرصيف الثانية » ، فلا أشعر بالطمأنينة التي كنت أتمنى
 نفسي بها ، وإنما أحس بالضطراب عرصب . كنت وكأنني لا أرى الأشياء
 على حقيقتها . كنت أرى أكثر من اللازم وأخفى من اللازم » .
 وبطل البطل بلا اسم خلال صفحات الكتاب ، أنه ترحل إلى الملاهي القديمة
 يعيش خارجاً . يأتي أد . باريس من الريف ويجد وظيفة في أحد البنوك ، وغرفة
 لدى إحدى الأسر . ويعيش في غرفته وحيداً متأملاً . وليس لدى هذا الرجل
 شيء من البرع ، لا غاية يتحققها ، لا مشاعر ذات قيمة يسعها : « لا أدرك شيئاً
 ولا أمتحن شيئاً » وبالرغم من ذلك ، أشعر بالحاجة إلى تعريض : « (٢) وهو
 لا يكثر للدين » ، « إذا بحثت الفلسفي فانه يلوح عديم المعنى » ، لا شيء يمكن
 اختياره ، لا شيء يمكن تنويمه . « أنا الحقيقة » ، « فإني أرى إذاً يتوحد بها » (٣)
 وتنتقل الحكايات بصورة غامضة عن حب فديم . وما فيه من ملاجيسية ، أن
 ألوت .. « الموت » ، « أهم الأفكار إطلاقاً » ، ثم يعود إلى مشاكله اليومية « يجب
 أن أكتب مالا » ، « ونجاة يرى ضوئاً منعكاً على الجدار » . أنه متعثر من
 الغرفة التالية . ويقف على الفراش ويراقب الغرفة التالية . التي انظر وأرى ..
 الغرفة التالية تدعوني إلى حربها ، « (٤) وهكذا تبدأ القصة » ، فهو يقف على الفراش
 كل يوم ويراقب الحياة الدائرة في الغرفة التالية من ثقب في الجدار ، ويقتل على
 تلك الحال شهراً كاملاً ، يراقب من مكانه الجاني مكانه الشلط . كانت
 مغامرته الأولى هي أن يراقب امرأة كانت قد شغلت تلك الغرفة لتتفقد فيها
 الليل ، « وكان يلهو ويستخدم بيته وبين نفسه كما أنها تتعثر » ، أن هذه الصفحات
 تتميز بالآثار المتعددة التي بها كتاب فرنسا بعد الحرب . عبت يستطيع
 كبلر ووجيرو أن يكتب قائلاً : « نعالج الوجودية الحياة كما تعالجها قصة » .
 وتأتي المرحلة المهمة . فيحاول في اليوم التالي أن يجد تمثيل ذلك المشهد في

حياته . وعاش في ذلك - قائماً كما عاش في محاولته لتحول الملاهي الحسية
 التي كانت تدع حبه السليقة : « تركت نفسي تعرف في محاولة لاستخراج
 ما في كعبه لا أعرف التجربة بنفس شلتها - أنها تأخذ أشد الوصيات المارة
 فلا ، كلا - فليس ذلك حقيقياً - هذه كلمات ميتة لا تستطيع أن تدعيني
 أن أشعر بما كان » (٥)
 « في ليلة القدر يقدم البعض بقل القصة الأسمى إلى زماني كان يقص على
 الجماعة لأصابعه فعدة قال أنه مستور في كتابها - وبما أنه تقاطع العجب - ذلك
 القصة التي يقصها الروائي لمور على رجل يقف جدار غرفته لم يرب كل ما
 بحث في الغرفة التالية ، ويذهب الروائي هذا كل ما كان قد رواه الكتاب .
 « بعضنا سمعوه بعضهم » ، « رافق - حاج هائل » ، « أنا اللامعني فيستعج بكتابه »
 « ينشر الروائي هائل » ، « التي وعدت أن قلبه الأصابع لم أجد شيئاً أصابعاً
 في هذا القصة يتكلم الصامت لقد كان من المطلبة بحيث أنه كان رافقاً ، أنه
 صامت عموماً من خارجته » ، « ذلك هو ما يريد أنه يصور » ، « وبها يميل البعض إلى
 الحلال فليس إلا أن الحقيقة » ، « ولما يشر اللامعني بأن » « أنه كان الحقيقة » (٦)
 « ولما يشر الآخرة » ، « ومن ثم أقرأ هذه القصة بعد نصف قرن من ألبها .
 لا يستطيع أن يجد شيئاً عذراً من حقيقة الروائي وحقيقة العقل - أن المشاهد التي
 أنها لم تعد الحياة الدائرة أماماً ، « ومن أحياناً أخرى بلدوني بالسكني حيث
 أريد أن أكون شيئاً يصير الحياة أكثر » ، « صابرة صابرها على الدائم والحواشي » ،
 على أن باريس شخص - كما أنه هذا الملل الأول - « طبعاً عن الحقيقة » ، « هو
 من الألفاظ التي يمكن لبرعة » ، « وسوج في تحت القرن العشرين »
 « أنا اللامعني باريس » ، « تلك كل خبرات هذا البرع » ، « فهل هو لا يترى لأن
 حائل » ، « وهو الذي » ، « التي على هو » ، « وهو الذي يستعجز حقيقة الحقيقة إلى الوحدة »
 « من ذلك متعثر » ، « الخس » ، « الحقيقة » ، « وأما من هذا القصة » ، « أنه يستعد أن في غاية
 القصة بحيث أنه المتعثر بعد الثور » ، « رجل كان قد الخس » ، « هو فدا
 حقيقة » ، « وبعض المسح » ، « بها بلحظ اللامعني الآخرين بالعدل وهم

يسمعون الى التفاصيل البشة :

« شرعت ام شابة بمغادرة المكان مع طفلها ، الا انها لم تستطيع التوصل .
وكان احد الرجال البسطاء بنفسه بصعوبة .. بينما كان هناك رجل آخر تمخذه
ملائح البروجوازيين المحايدة يحدث صاحبه الشابة بأحداث نافذة ، وبصعوبة
شديدة ، وينظر اليها وكأنه يريد ان ينفذ الى اعماقها ، ويحس بأن نظراته
النافذة أقوى من ان تحتمل فيخجل من ذلك » . (٧)

ان حالة اللاوعي هذه عند المجتمع واضحة كل الوضوح ، فالرجال والنساء
جميعاً يملكون هذه الدوافع الخطيرة اللامعية ، الا انهم يظنونها عن انفسهم
وعن الآخرين ، وليست ادبياتهم وفلسفاتهم الا محاولات لصقل وتعديل شيء .
حيواني غيبف غير منظم ، غير متقن ، وهو لا يتم لانه يريد ان يجد الحقيقة .
تلك هي حالته . الا ان شلوه وانطوائه يفلان من ظهورها . انها تلوح
في الواقع ، بمحاولة للتعبير الذاتي . يقوم بها انسان يعرف انه متحط ، مريض ،
مورع النفس . اجل ان هناك تدور نفسي . ان الرجل الذي يرقب المرأة وهي
تتمشى ، له ما للفرد من حين حمراء ، الا ان الرجل الذي يرى عاشقته شايخ
تجلسان معاً لأول مرة ، ويشعر اليها بالعطف والشعور للرفيق ، ليس حيواناً
بل هو انساني جداً . على ان الفرد والانسان يستمران في جد واحد ، فاذا
تخلفت رغبات الفرد اختفى ليحل محله الانسان الذي يشتر من شهوات الفرد .

تلك هي مشكلة اللاوعي ، وسواجهها بأشكال عديدة في صفحات هذا
الكتاب ، وعلى مستوى مبنافيزيكي . مع الإشارة الى سارتر وكاميو (حيث
تدعى المشكلة بالوجودية) ، وعلى مستوى ديني ، مع دوستوفسكي ، الذي
انقلب فناء صغيرة وكان مسؤولاً عن موتها أيضاً . على ان المشكلة هي في
جميع الحالات واحدة ، وانما الغاية من ذلك هي تلي كل ما هو بعيد
عن المشكلة .

فأما بارويس فانه يقول ان كون بطله يرى اعنى من اللازم هو ما يجعله
لا متنبأ ، ويضيف أيضاً انه لا يملك نبوغاً ما ، لا رسالة يقوم بتحقيقها . الخ

وستطيع أن تلاحظ من تاريخ بطله الشخصي . خلاله لمصول القصة ، ان لا
يستطيع أن يشك في قوله هذا ، ادلا ريب في انه البطل عادي ، لا يعرف كيف
يكتب رسالة الى عمل شوكولاتة . بينما يطنع الكتاب بالعبارة المذكورة
والاشبهات . ويجب أن تؤكد على هذا ، لأننا نريد ان نتجنب كل ما يفرينا
عن اسرار اللاوعي فناءً ، فاذا قلنا ذلك بسطنا السؤال التالي اكثر من اللازم :
مرض هو أم بصيرة ؟ وليس في كثير من النسخ المعطام شيء من اللاوعي .
لقد اكد شكسبير ودائي وكينس جميعاً ، وبكل وضوح ، اشخاصاً طبيعيين
مصلين مع المجتمع كل الانفاق . وليس فيهم شيء يمكن أن يقال عنه انه مريض
أو نفس عصبي فلما كينس الذي يميز تمييزاً رومانسياً شديداً بين الشاعر والانسان
العادي فانه لا يملك شيئاً من عقد النفس أو النور الجيبا الحسية في صميم ذهنه .
لا شيء من معاني مستوى د . هـ لورانس الانجماهي . لا شيء من حاجة جيمس
جويس الى الاعلان عن نفوه العقلي ، ولحق ذلك كله . لا توافق مع سلوكه
أ كيريل بطل قصة فير دو ليل آدم التي اصعب بها كينس كل الاعجاب .
وكينس بالأصافة الى ذلك ، يعتبر قاعدة واساساً بين الشعراء المعطام اكثر
منه شاعراً فقط . قد يكون اللاوعي طائفاً ، إلا انه ليس من الضروري
أن يكون انسان لا متنبأ .

انه ما يمكن ان يقال في معرض تمثيل اللاوعي يوحى معنى من الغمزة
واللاصحة . لقد كتب كينس نفسه ان برلون قبل موته بهام واحد فائلاً :
« اني اشعر وكأنني فيك منذ زمن » ، وانني انما اعيش الآن حياة ما بعد الموت .
والله هو معنى اللاصحية ، الذي يمكن ان يرق في سماء شديدة الصفاء . إلا أن
الاعصاب القوية والصحة الجيدة تجعلان ذلك امراً غير ممكن ، غير ان ذلك
قد يكون لأن هذا الرجل الذي ينتج مصحة جيدة يفكر بالاشياء الأخرى دون
أن يخطر في الاعاء الذي يحسن فيه الشك . لأن من يخطر في هذا الاتحاد لا يستطيع
أن يرى العالم كما كان يراه عليه من قبل من استطاعه . لقد أروانا بارويس ان
اللاوعي الانسان لا يستطيع الحياة في عالم الوجوديين المربيع المعزلة ، أو قبول

ما براه وبه في الواقع . . انه يرى اكثر واضحا من اللازم . وان ما
يراه لا يخلو من الغرض . ان الوجود جوهري يرى العالم مكاناً منظماً تنظيمياً جوهرياً
يرجع فيه كل شيء مغلق مغرب غير متعلق . إلا ان انشغال الوجود جوهرياً
بما به الوجودية يجعله مضطراً الى افعال هذا المنعرج . أما اللاهوتي فانه لا يرى
العالم مغلقاً ولا يراه منظماً . وحين يفكر في معانيه الوجودية في وجه دعة
الوجود جوهرياً ، ليس ذلك لأنه يشعر بالرغبة في قلبه معاني الاحترام باهاته
لانها . وانما لأنه يحس بشعور يبعث على الكتابة . شعور بأن الحقيقة يجب أن
تعال معها كلف الأمر . وإلا فلن يكون الإصلاح ممكناً . بل ان هذه الحقيقة
يجب ان نقول حتى اذا لم يكن هناك أمل ما . (ان النموذج الذي نتحدث عنه
الآن يعتبر أقرب النماذج . ان اللاهوتي انما استيقظ على القوضى . ولم يجد
سبباً يدفعه الى الاعتقاد بأن القوضى انجانية بالنسبة الى الحياة . بأنها جوهريته
الحياة . ان عبارة « توهرهوهو » التي تعني « غرضي » في القابلة اليهودية
هي وبكل بساطة حالة يكمن فيها النظام ، فاليفضة هي قوضى الطائر .
إلا ان الحقيقة برغم ذلك يجب ان نقول والقوضى يجب ان نواجهه .

ان أكثر اعمال هـ . ح . ولز يعطينا مثلاً على هذا الاستيفاء . ألا يعتبر حسداً
تقريباً من الاثام ان ترى في « العقل في معنى حدود الاحتمال » شيئاً مثل هذا :
« تجد الكاتب شيئاً مغفولاً يدفعه الى الاعتقاد بأنه قد حدثت حلال منه
يمكن حسابها بالاسابيع والشهور لا بالقرون : تغيرات جوهريه في الظروف
التي سارت عليها الحياة منذ بدايتها . ليست الحياة الانسانية فحسب وانما كل
وجود ينشع بأدراك ذاتي - فاذا كان تفكيره هذا حاسماً . . فان نهاية كل شيء .
تدعو به بالحياة صارت قريبة جداً بحيث لا يمكن تجنبها . وبسبب ذلك بعد هذا
النتائج التي ساق الواقع عقله اليها . وهو يظن انك ستجد فيها من الصحة
ما يدفعك الى حراسها . إلا أنه لا يحاول أن يفرض عليك ذلك . » (٨)
ان الجملة الأخيرة جديرة بالملاحظة لخطتها الغريب . ان اعتقاد ويلز في ان
الحياة سائرة الى نهايتها هو « كما يقول ويلز نفسه . رأي هائل : فاذا كان ذلك

حقيقاً فانه يعني كل ما جاء في ذلك الكراس . ما دام يعني الحياة وما
هو من طرف الاشياء ان ويلز واضح . من غير ان يشعر بالانقض . انه
سواء تحت ظروف يدعو اليها الندامة العلمية التي اضطرته الى محاولة
« مسح العالم ونصبح افكاره الى الحدود التي تسمح بها قلوبنا »
« ان ذلكاه للتجديد بنفسه في مواجهة حقائق هربية مقبحة من القوة
والسلطة ما نجده . لو كان واحداً من أولئك الناس المتطهين المغفولين
الذين يدعي اننا ننسى الهم » . يفكر ليل نهار بتوكيز متحمس وعكبر
« ككناج الذي حيد . في الكارثة النهائية التي ستواجه الجنس البشري . أما
من غلبت من هذا الطراز . وانما نحن نعيش في خرابنا الانسية . لا
نموت اننا نستعمل ما كانت لا يمكن تجنبها . » (٩)

« ويلز ويلز في معرض تعليقه على كتاب سابق يدعي « قهر الزمن » ما
يؤيد مثل هذا القهر الذي يقره هذا الكتاب هو من صنع الزمن لا الإنسان .
فان الزمن هو كالجداول الجاري ابدى . الذي يحمل اياهه سجداً .
مع تلاشون كما يتلاشى الحلم عند مطلع القجر . » (١٠)

« انك قد نظمت شكبير الاصيل سواء في ما كتب أو يسمون : وانما
الحياة مدعته من رحل كان ملية حياته واعطاً : « ذلك حياتك ان هي
لي تسبكت » . الرجل المصنوع صاحب « بشر كالآلة » . « يونيوربسا
عالم » . « وصرح ويلز قائلاً : انه اذا كان الفاردي يود متابعته . فانه
يذكر ان السب الذي حذاه ان يعبر نظره الى الامور »

« ان الواقع منع سرود وفسره على أولئك الذين يستطيعون ان يظلموا
انهم هم حرة او احدهم للوال المحير الذي اهلك الكتاب المهم يكسبون
انهم انهم قد دخلت هذه الحياة . ان ولع الكاتب المذاد هو في حقه
الامر بالغد ومن الاشياء التي يسلكها ان يبين سيقود هذا ؟ وكان من الطبيعي
ان الحس سيكسبه له حدود الاشياء وسواءت جديدة سوف تظهر . إلا انها
سوف تكون دمعته . « محفلة في الماء ذلك بالنسبة للطبيعي في الحياة

عن واقع موضوعي .

ولن يدعنا أن نعلم أن هذا الكرسي لقي قليلاً من العناية من معاصري ويلز .
إن تصديق النتائج التي خلص إليها ويلز في نهاية كرامته يتطلب ما كان في يد
شومنهاور من سلاح جنلي صارم في « العالم كإرادة وفكرة » أو في « تدور
الحرب » لشنجر . لقد سمعت كاتباً معاصراً لويلز يعفده بأنه « اقتجار من
اللعنات ضد عالم رقص إن يتخذته مسيحاً » . هل أنا إذا قبلنا بالمستوى الذي
كتبه عليه - متفقين مع كل عبارة من عباراته - شعرنا بأننا في المشاكل التي
الروح متداخلة مع نفسها . فلماذا كتب ذلك إذا كان يعتقد بأنه ليس هناك من
أمل في الانقاذ ؟ وإذا كانت النتائج التي وصل إليها تنفي حياته الماضية والمستقبل
المحتمل لكل الجنس البشري ، فأين سيبلغ بنا الأمر ؟ يرى ويلز أننا لن نكن
ذاهبين إلى أي مكان - كنا نتبع ضلالتنا معضدين بأن أية حركة هي أفضل
من لا شيء . فيها الحقيقة هي أن المكس ، الاحركة ، هي الجواب النهائي .
جواب السؤال : ماذا سيصنع البشر لو رثوا الأشياء كما هي ؟

هنالك بعد شائع بين اكتشاف المسرحيين ، بدل حياتك إن هي لم تعجبك .
وبين ، لا طريق هنالك إلى الخارج أو إلى ما حول أو إلى الداخل .
لقد قادنا باربوس إلى منتصف الطريق نحو الحقيقة حين قال : الحقيقة ،
أرى ماذا يعنون بها . تلك العبارة التي يمكن أن نسلها عبارة « التغيير ؟
أستطيع أن ببذل شيئاً ؟ » أما ويلز فقد سار بنا المسافة كلها وأوصلنا إلى
باب مشكلة الوجودي : أتجيب أن ينفي الفكر الحياة ؟

هنالك نقطة أخرى من نقاط المقارنة بين باربوس وويلز يجب أن نعلق
عليها قبل انتقالنا إلى مظهر آخر من مظاهر اللامتنس . ذلك أن بطل باربوس
هو لا متهم حين نقابله ، بل من المحتمل أنه كان لا متنبئاً دائماً . أما ويلز فقد
كان متنبئاً طيلة حياته . لقد أنجز واجباته نحو المجتمع دون كلال ، وزوده
بمنصائح ممتازة ليجعل نفسه أفضل . لقد كان ويلز الروحية الطليعة مجسدة .
وقد استمر في تاريخ الحياة واستخلص نتائج كثيرة ، وكان في ذلك يعتبر من

حفلة الانسانيكولوجيين الفرنسيين . لم يقطع ابداً عن جمع الحقائق والتحقين .
كان متوقفاً من عبارة « الحقيقة ؟ ترى ماذا يعنون بها ؟ » أن نكون لديه
استنتاجاً ملخصاً لمختلف الأفكار التي دارت حول الحقيقة في تاريخ الحضارات
السبع . أنه لا يمر عمن أن يصبح الإنسان لاهتمياً ، عمن إلى درجة أننا
نجد أنفسنا مضطرين إلى البحث عن سبب بدني لهذا التبدل . كان ويلز
مريضاً متنبئاً حين كتب : « لنقل في منتهى حدود الاحتمال » . ألا يمكننا إذا
أن نقل هذا كسب رئيسي كامن وراء هذا الكرسي ؟

لنوه الحظ لا . فقد صرح ويلز بأن استنتاجاته موضوعية ، فإذا كان الأمر
كذلك فإن قولنا بأنه كان مريضاً حين كتبها لا يعدو قولنا بأنه كان برتليني
وشاحاً . إن وليجنا هو أن نبين ما إذا كان من الممكن أن نرى هذا العالم بالطريقة
التي تجعل استنتاجات ويلز لا يمكن تجنبها ، وإن نقرر ما إذا كانت مثل
هذه الطريقة في النظر إلى الأشياء هي أكثر صحة وأكثر موضوعية من الطريقة
التي نمرودنا عليها . وحتى إذا قررنا مقدماً بأن الجواب سيكون : لا ، فإنا
سنعلم كثيراً من تحرقنا على تغيير وجهة نظرنا .

بدعي اللامتنس مثل الذي يدعي بطل قصة ويلز « بلد الصبيان » . أي أنه هو
وحده الذي يستطيع أن يرى . أنه يرد على من ينهيه بالمرض والنزول الجيا قاتلاً :
« الأمر في بلاد الصبيان ملك » . إن حالته هي في الواقع كونه الوحيد الذي
يعرف بأنه مريض في حضارة لا تعلم بأنها مريضة . ويذهب لا منشون معينون
منعت أمرهم في الصفحات القادمة إلى أبعد من ذلك ، إذ يصرحون بأن
الطبيعة الانسانية هي المريضة وإن اللامتنس هو الإنسان الذي يواجه هذه الحقيقة
المؤلة . هؤلاء لا ينفقوا الآن . لأننا في وضعية سلبية يقول اللامتنس أنها جوهر
العالم كما يراه هو . تلك هي « الحقيقة ؟ ترى ماذا يعنون بها ؟ » و « لا طريق
هنالك إلى الخارج أو إلى ما حول أو إلى الداخل » ، وإلى هذا يجب أن
نصرده أنشائها الآن

حين جعل باربوس يظلم يسأل السؤال الأول لم يكن يدرك أنه إنما كان

بتحج أساس مشكلة فيلسوف التاريخ ، في كبرها من عام ١٨٤٥ كان
سورين كيركغارد قد قرر أيضاً أن البحث الفلسفي لا معنى له . وكان يستند
في ذلك إلى ما استند عليه ويلز من أن الواقع يعني الفلسفة . أو كما قال
كيركغارد : الوجود يعنيها . فلما هجوم كيركغارد ضد كاد موجهاً ضد
هيجل المينافيريكي الألماني . الذي كان . مثل ويلز تقريباً . يحاول أن
يجرد علاقة الله بالإنسان بالكلام عن هدف التاريخ ومكان الإنسان في انقراض
والفرس . كان كيركغارد ذا روحية دينية عميقة . خلاص له ذلك كله
مطلعاً فحلاً هناك . « إذا أردت أن تفهمي ، ضعي ضمن نظام ، أنني
لست رمزاً حسابياً ، أنني أنا . »

من الواضح أن مثل هذا الموقف المنطقي والتحليل الضيق نال عريه .
أن علمنا مبني على القرضية القائلة بأن لعبارة « كل الأجسام تسقط بسرعة ٣٢
قدماً في الثانية ضمن منطقة الجاذبية الأرضية » معنى محدداً . فإذا وضعت صحة
المنطق فانه يصبح هدراً . وإذا لم نعرضها . فانه من الصعب جداً . إذا ظننت
تتبع هذه الخطوط . أن نلوم ويلز أو حوى متوارث من . ولهذا فإن كيركغارد
يسوغ ذلك في العبارة التالية : هل من الممكن قيام نظام وجودي أو بضرورة
أخرى . هل يستطيع أحد أن يعيش فلسفة دون أن يعني الحياة أو الفلسفة ؟
يقول كيركغارد عيماً على هذا السؤال : لا . وإنما يستطيع الإنسان أن يعيش
شيئاً دون أن يضطر إلى نفي الحياة أو الدين . ولا يحتاج أن الشك في ما نلتزم
في الس الذي فاده إلى هذه النتيجة . وإنما الذي يستحق الملاحظة هنا هو أن
هذا التأكيد على القيم المسيحية لم يمتنع من مهاجمة الكنيسة بعنف لأنها حلت المشكلة
على حساب الحياة وجعلتها تلائم المسيحية . لقد كان كيركغارد وبنشته مكرين
قديريين . وقد صرحا بفخر أنها لا متبنا . ولهذا يجب علينا أن نبحث في
أعمالها عن دفاع قوي عن اللاهوتي ومركزه . وذلك ما نجده لديها بسهولة .
قد تم بنشته وكيركغارد فلسفة كان اللاهوتي نقطة انطلاقها ونحن اليوم
نستعمل عبارة كيركغارد في الإشارة إليها فنقول : الوجودية . ونحن نطبع
فذلك . كيركغارد في ألمانيا حوالي عام ١٩٢٠ . أحد الأساتذة تلك الأفكار

واستبدوا بها النتائج الأدبية واستحووا على التحليل لبناء ما يدعى بالفلسفة
الوجودية . وهذا ما هم انما حاولوا تأكيده من اللاهوتي والقوة على مينافيريكية
هيجل : انه . نبع ذلك ان شهرت الوجودية في فرنسا في أعمال جان بول سارتر
والله نامو اللذين أعادا التأكيد على اللاهوتي . ووجهة في النهاية إلى
رأبها الخاصة في عنها سؤال : كيف نحاش الفلسفة . وقد فعل سارتر
ذلك في « مصف الشئ » التي سكت في الفصول القادمة . أن كاد
قد كان . ابن لا متبناً . ونجب علينا أن نتحقق كلاً من هذين على حدة :
نسمع سارتر عبارة غائقة في أولى قصصه . الفتيان . كل المقاطع التي
محتسها حتى الآن في معرض حديثه عن ويلز وباريوس : الاحتمية . رفض
التمقيس المنطقي . وأجراً وشاشة آليتها التي تعرض الوجود العادي
. أي لا طريق بها إلى الخارج أو ما حول أو إلى الداخل . له . الفتيان . هي
سجل حلال فخرج يدعي : وكانان لا يملك ما يملكه ويلز من ابصاره
التاريخ الفلسفي . وإنما هو مؤرخ ادبي يعنى بدراسة حياة سبلي بارخ
من الحقن فيلوسوفية يدعي ويلز . يعيش روكنتان وحيدة في هفت من
له . أما حياته فهو سجل متصل من الاعتاش . الاحاديث الدائرة في المكتبات .
والاصالات الجنسية مع صابرة الكارينو : أعيش وحيداً . وحيداً تماماً .
ولا . ألم أحداً إطلاقاً . لا أحد شيئاً ولا أعطي شيئاً .
إلا أن سلسلة من الاطام تضاربه يدفع كل الشاعلي . يلتفت حراً مسطوحاً
أعده أيضاً على الماء . وهجاء . : أنت شيئاً ماثني بالاشعاع . ولست أدري
. أنا ان ذلك . الحجر أم الحجر . ويضي بالحجر ويعدد المكان . (١٦٣)
أنا سجل روكنتان فهو محاولة لإبلاغ الموضوعية على ما يحدث له . انه
يعيش في ذاكرته ويصمم ما يصح . كان قد حدث شيء ما في الهدد العبيبة .
« وأريد ملامته يوماً إلى سنة أخرى في البحار . وكان على وشك فمها
. من بين وصفا . لنفقط من أعلاه ست سنوات . ولم منقطع أن أهم
لها . كنت في الهدد العبيبة . وأما كنت أعمل هناك . وفاد كنت أسعد .

أولئك الناس . ولما خبرته ملائمتي بكل تلك المصائب . كان اسمي غير راض
بكل وخوف . حر حائل . فانه لا حيل له . ولم أرى بوصوح ماذا كان
إلا أنه ملائمتي بالاشتراك . حتى أنني لم أجد أستطيع النظر اليه . (١٤)
لا شك في حدوث شيء ما وراء كل ذلك . هناك حياته الاعتبارية . بكافة
المروض التي تحملها . من معنى وحذف وغلبة . وهناك تلك الإحداثيات . أو
بعبارة أخرى تلك المواقع القبة التي تطلب أعماق حياته الطولية . إن السبب ووضح
فهو بلاسط الأشياء بمدة وإمانة أكثر مما يجب . وهو . كويلو . يسأل عن كل
شيء . إلى أين سينود ذلك ؟ انه لا يملك بلاسط الأشياء . انه يعلق على صاحبه
الكازينو غاملاً . « يجب يخلو الكازينو يخلو رأسه أيضاً » . إن حياة هؤلاء الناس
هي مصائدات تعتمد على الحوادث . فإذا توقفت الحوادث . أنني لم يحدث
شيء . فانهم يتفكرون عن الكيفية . أقطع من أولئك جميعاً هم القنائون . أولئك
« الكلاب القفرة » الذين يرى لوحاتهم في معرض المدينة التي وأولئك المشهورون
في المجتمع . الواقفون من أنفسهم . المتأكدون من أن الحياة ملكهم وإن وجودهم
ضروري لها . وهنا يوجد نقد روكاتان على نفسه . كان هو أيضاً قد قبل
معاني كثيرة يجد الآن انها لم تكن كذلك . هو أيضاً يعتمد على الحوادث .
وبما هو في كازينو مزدحم . نواه يخشى النظر إلى لدج من البيرة .
« إلا أنني لا أستطيع أن أوضح ما أرى .. إلى كائن من كان .. أنني
أخوض إلى أعماق الماء .. إلى أعفوف .. » (١٥)

وبعد أيام قليل - يصف الظروف التي يهاجمه فيها الفئران وحفاً دقيقاً . ان
اشتمارته يتركز هذه المرة على حالاته بظنون صاحب الكليتين . وبهذا نرى
أن هذا الفئران هو تأكيد على دقة عيطروكانتان . (يذهب مارتر الى أحد
بما ذهب اليه في كتاب من قبل . في التأكيد على - الظلام والقدرة -
اذ لم يبين أن أعطى جيسر جويس أو دوستوفسكي مثل هذا التأثير
عند وصفها العقل الفاروق في الدلالة الجسدية .) ان ذلك يشكك مشاعر
وكانتان " ذلك القصد الروحي الذي يقابل هذا الشعور الجسدي العنيف .

سحب الخواصث ثيابها وغاصكها . ويتركة ذلك القتل «معتداً» في حله عن
الحق على الأشياء التي يراها وبعبارة محمد : أما شكوكية هيرم - التي تسبح
فيه بطورية - مدمرة . على أن كل ما براه - ويلمسه لا يمكن تمييزه . لا نيت
الذاكرة ، كصورة شيء ، مأثور مأخوذ من رواية غير مأثورة . أنه ينظر إلى
مقتده ويعيش في تخيره وانتم متعرجاً . أنه مقتد . إلا أن الكلمة
ينفي على شقي . أنها ترفض أن تطلق وتستر على الشيء . كذلك الأشياء
قد طلقت من اسمائها . التي في وسط الأبياء . . . الأشياء اللامسة : (١٨)
وتأتيه طبيعة الألام الكاملة حين يجلس في الحديقة العامة معاً للنظر في
ملودر صحرة الكنتا

و لم أستطع أن أتذكر أنه كان جنراً . لقد انجنت الكلمات . وانصرفت معها
مذلولات الأشياء . وطرف استعاطها . ونقاط الإشارة الضعيفة التي يشعها الناس
على سطوحها . كنت جالساً ... أمام هذه الكتلة الممتدة تعقيداً وحشياً
تماماً . الأكبر الذي اخاعي . بل تركي مكون الانفاس لم أكن انهم
بمعنى كلمة الوحوشه قبل الأيام الخالية الماضية . كنت مثل الآخرين .
و كنت أقول مثله . ان المحيط أخضر وان تلك البقعة البيضاء الموجودة
هناك هي أحد طيور النورس . إلا اني لم أكن اشعر أن ذلك الطائر كان
موجوداً . و فجأة رجع الوجود البرق عن نفسه . لقد فقد ملامح الصنف
الطير . و صار صيغة الأشياء . و لاح كان هذا الجنب محزون بالوجود .
شعرت في هذه الأشياء بالقلق . كنت أود لو كانت هذه الأشياء موجودة
أقل من هذه الجبرية . يخفاف أكثر . بتجريد أشد . (١٩)

وهنا يصل إلى نهاية الاحتقار النفسي ، فعلى الأشياء صارت قيمة ، إن
بريتة مألوقة لدينا ، خاصة حين نواجه الأشخاص الآخرين ، شخصية أو اعتماد
تتطلب أن يفرس نفسه بالروح من مقاومتنا ، بل إنه المدينة نفسها ، كما فيها
بعض في حركة المرور ، والكائنات البشرية ، نتطوع أن نسيطر على
نفسه صريحة ونشعرها بلا معناه ، وروكنا نال بحسبها اللامعي في مواجهة

الاشياء ، ويقتون هذا انفي الذي يشترط من اذنه ان سعد على تلك الاشياء
سعد ، ووجوده محققاً أما ضرورة بيع جميعهم فقد تدهورت ، ولهذا
سعد معارف ان محل رولوي تحل ان عنه معارف اخرى
لا اعتماد الشيء الا ان تبقيت مروده عن حياة رولوي لم يجر هناك
سعد ولم يجر العقودات لتبع اعتبارها الاخرى مما كانت قصصه في ذلك ان
سعد انفي من رقة الوجود الخاتم الطاري هو وحده الذي يبيع
الوجود الذي يترك ذلك الاعضاء

[illegible][illegible][illegible]

امتيازات ، وانما تلقده الإيمان . ونهك فيه القوة على الأداء . ان علم هذه الملكية هو علم بلا قيم .

هذه هي الرخصة التي مجلبنا إليها بطل باربوس . والتي تلوح واضحة في رغبته التي أذيلت النساء المرتفعة ، ولم يكن رغباً في الاتصال الجنسي . وانما كان يريد نوعاً من الحرية لا يمكن تعريفه ، يمثل في النساء وفي عرين المسور . كانت الرغبة الجنسية موجودة في ذلك كله . إلا أنها لم تكن لوحدها فقد كان هو مستاءً مملوفاً كالمليون باعتراف عاتر ضد وبكة باريس المسرعة ونسائها الاتقيات . إلا أنني مع ذلك أريد شيئاً من التعويض . وبالرغم من المدينة التي فرضت عليه لا معنوية حتى نؤكد لديه أنه لا يملك شيئاً ولا يستحق شيئاً ، فإنه يشعر بأنه يملك حقاً في في ماذا ؟ الحرية ؟ أنها كلمة أمي . استعمالها . اننا نقتصر ، الجحيم ، باحثين عن تعريف له دون جدوى . لقد قررنا سائر دويلز ان الانسان ليس حراً مطلقاً ، وأنه من الحبس والخافة بحيث لا يلاحظ ذلك . واذاً ، لما هو ذلك الشيء الذي هو من حق اللامتنع . ينقلنا هذا السؤال الى غاحبة أخرى ، الى لامتنع تولد للبهم شيء من لا اهراك لطبيعة الحرية .

الفصل الثاني

عالم بلا قيم

قبل اللامتنع الى التعبير عن نفسه بمصطلحات وجودية ، ولا سيما التعبير عن الروح والحد ، أو الانسان والطبيعة ، ذلك ان مثل هذه الافكار نتج تفكيراً دينياً وفلسفة في حين انه يرفضها معاً . ان التمييز الوحيد الذي يسمه هو بين الوجود والعدم . وفي ذلك يقول بطل باربوس : الموت . انه اهم الافكار اطلاقاً .

مثل باربوس ودويلز مفهومين مختلفين للمشكلة . فلما مفهوم باربوس فيمكن ان يقال عنه انه غريب . ذلك ان بطله ليس مفكراً ، فهو يقبل العيش ، وانما يرفض فهم هذا العيش . انما دويلز فيسند أكثر في رفضه ، بل ان نتائجه لتصل الى حد الهيولانية (الأيلحية العنمية) ، ونتائجه هذه مثل نتائج هيرم ، استدلالية . أما في حالة دوكاتان ، فانه يصل الى نتائجه بواسطة تعاون العقل والتجربة ، إلا انه يبالغ الى حد الهيولانية بواسطة التصور العقلي أيضاً . ان شعاع الأمر في (انباء) يأتيه من مستوى تجريبي لم يؤثر عليه التفكير الاستدلالي ، انه يأتيه من امر له نتيجة تعي . بعض تلك الأيام ، ان العقل يقود الى الطريق المسدود ، ولكن كان هناك حل فانه يجب ان يوجد . لا في العقل . وانما في رفض التجربة .

يقوله بصوت عميق مؤثر :

« يا حضرات المحققين - أود أن نلاحظوا أن هذا الرجل ذهب في اليوم التالي لوفاة أمه إلى بركة السباحة ، وهناك بدأ علاقة غرامية مع إحدى الفتيات وذهب معها لمشاهدة فلم حزلي - ذلك هو كل ما أود أن أقوله » . (٥)

أجل ، كان ذلك كل ما يحتاج إليه ، لأن مرسوله يحكم عليه بالأعدام ، ويؤرؤه للقيس في ذنائبه ملجأ عليه بالثوبة . ولجأه يرى مرسوله نفسه غير قادر على تحمل كل هذا الحمق ، فبسله بياقة القيس ويحب عليه جام غيظه :

« لقد كان واقفاً من نفسه جيداً ، كما ترى . إلا أن أية حقيقة من حقائقه لم تكن لتساوي غصلة واحدة من شعر امرأة .

... لا شيء .. لا شيء مهم أقل أهمية ، وقد عرفت جيداً لماذا .. لقد كان يحب علي من أفق مستقبل المظلم نسبه مستعرجي .. وكان ذلك التسم ببادل كل الأفكار التي حاول الناس أن يمحروها في ذهني خلال السنوات الاحتمالية التي حشنتها .

... كل شيء سيجعل عليه بالموت يوماً ما ، وسيأتي دوره أيضاً كالأخرين . ترى أي فرق هناك إذا كان سيعدم بعد أن أشبه بالقتل . لأنه لم يترك في جنازة أمه ، ما دام كل شيء سيتهي إلى النهاية نفسها بعد حين من الزمن » . (٦)

وتهدية ألكاره الأخيرة قبل نومه في ليلة اغتياله ، إلى نوع من الاحراك : « لا بد أن أتي شعرت ، حين اقتراب الموت منها مثل هذا الاقتراب ، بشعور من يقف على حافة الحرية مستعداً لبدا حياة جديدة .. وأنا أيضاً شعرت باستعدادي لأبداً الحياة من جديد . انه يلوح ان هذا الغضب المتدفق قد نطقني . وأفرضي من الأمل ، وبينما كنت أخلق في السماء المظلمة ... فتحت قلبي إلى عدم الاكتراث الكوني البديع .. لقد كان شعوري بذلك كشعوري بنفسي .. جعلني أدرك أنني كنت سعيداً ، وأنها ما زلت سعيداً . كل ما بقي لي ، لكي أقل من شعوري بالوحدة ، هو أن أمل ازدهام المكان في ساعة اغتصابي بلقمتين الذين سوف يحيطوني بصرخات السباب واللعنات » . (٧)

لقد كشفت الصفحات الأخيرة من القصة عن سر مرسوله ، عن مسبب عدم إيمانه . وكان ذلك السبب هو شعوره بالاحتمالية . وقد ظل يعيش حياته كلها من المعنى الذي عاش به روكانتان : كل هذا هو غير حقيقي . غير أن معنى الاحتمالية لا يطالب كما علب روكانتان ولا ينتهي الفصل الأول ، لأنه يقبل احتماله . شعور القيس والطعام وأجساد الفتيات ، ويقبل الاحتمالية أيضاً . إنما الأمر الذي أوجعه « إيقاظاً وحشياً مرعاً » كما يقول ويلز ، هو الاحتمالية . لقد وقع الموت . فيه فيه ما بث الفئان في روكانتان . غير أن بقائه ... بعد ما يعنيه الأمر ، متأخرة جيداً . إلا أنها أعطته على الأقل فكرة من معنى الحرية الحرة هي الفكك من الاحتمالية . « لقد كنت سعيداً ولم أزل حياً ، ولكن أين هي حقيقة كونه سعيداً . إذا كانت السعادة ما تزال محتملة من الأدراك بنظر كفيف من الاحتمالية ؟ لقد وضع ساتر ادراكك ... في عبارة : « الحرية هي الرعب » ، وهو يلاحظ في « معاهدة الصمت » انه لم يخسر بكامل حريته وحياته إلا في أيام الحرب ، حين كان يعمل في المصادمة السرية . وهو في خوف دائم من الخيانة والموت . انه لمن الواضح ان الحرية ليست كونك تعمل ما تريد ، انها شدة الإرادة . وهي تظهر في أي ملء فم الإنسان ويبحث الحياة في إرادته .

ان القارئ ليعتد شام أعمال كامو مع أعمال فرانز كافكا . ذلك ان كامو يبرر مفهوم الاحتمالية بالتقصير في استعمال أسلوب الحلم . يستيقظ بطل « المسح » ذات صباح فيجد نفسه قد تحول إلى خضراء كبيرة . أما في « الضميمة » ، فإن البطل يقص عليه ويعدم دون أن يعرف لماذا . ويلوح انصافاً بسيطاً بهذا السؤال : إذا كنت تعتقد بأن الحياة حقيقية . فما كنت في هذا ؟ بل انه لم يأمره صراحته بحريته ، إلا ...

أولئك الذين يعتقدون في « صرخة » حياتهم يلاحظون تناقضاً ، فحاشية ، « المعاهدة » والاعدام . أو « تحول إلى شكل أسطى من أشكال الحياة » . ان « المسح » قادراً على أن يبدأ في رأي يودي من الست .

بذكرها كما في الغرب ، ويكاتب حديث آخر هاليج متكة الحرة
 أيضاً ، هو أوست همنوي . ذلك ان المستوى الذي ترمي اليه ، الغرب ،
 هو نفسه ذلك الذي يتحل في القصر ، وطري الجندي ، غير ان مقارنتها
 الواحدة بالأخرى توحي لنا ان أعمال همنوي كلها لها دلالتها حل متكة
 اللامشي الوجودي . ان مساهمة همنوي في هذا الأمر تستحق الاهتمام من
 هذه الرواية .

نفس لنا ، وطن الجندي ، قصة جندي امريكي عاد من الحرب بعد
 سنة ١٩١٩ بقليل . وكان كيريز هذا قد التحق بجامعة مقلدة قبل ان يشترك
 في الحرب . أما حين عاد فإنه قد اكتسب كل انفعال يربطه بعائلته وحياته السابقة ،
 وليس هنالك من يرغب في الانسحاب الى تجاربه السابقة . في أيام الحرب ،
 ما عدا القمص الواقعية على أي حال .

اما ثلاث اعناق كيريز كراهية لكل ما حدث له في الحرب وكان
 ذلك سبب الاكاذيب التي رواها . ان كان تلك الاوقات التي كان بإمكانها
 ان تجعله يشعر بالوضوح الداخلي والنفوذ ، حين كان يفكر بها . كل تلك
 الاوقات التي كان يفعل فيها شيئاً واحداً ، الشيء الوحيد الذي يعطيه الانسان
 بسهولة وبصيرة طيبة ، وحين كان في مكانه ان يفعل شيئاً آخر ، كل تلك
 الاوقات فليمت الآن رسوخها وتوحيدها المتأخرة . بل ثلاثه هي نفسها (٨)
 انه ينس في بلاده بنوع من المسؤول يجعله يقضي اوقاتاً بين القراءة والتمارين .
 انه يريد فناء ما . غير انه لا يستطيع ان يتغلب على حوله فيزجج نفسه بالبحث
 عن واحدة . وتخطأ أنه قامت صباح عندما كان يتناول طعام الاطباء . فأنقذ
 = « خلق الله لكل انسان عملاً » . ولهذا لا تجد يوماً كسولة في متكته .
 ان هذا الذي نقوله انه يحدو لا معنى بالنسبة الى اللامشي . ولهذا نعبها فتلنا :
 = « انت في ملكك » .
 = « انا جميعاً في ملكك » .

وعين كيريز بالضييق والاشترار ، كالعادة . وسأله انه .

١٠٠ تحت لثك يا عزيزي ، ١٠٠

عند اليه عبر المسعة . وتلقه حياها . ثم نيكلي . هيمول لوييل
 التي لا أحب أحدًا .

لم يبق احد بعيداً على حال . فانه لم يستطع أن يهربها . لم يستطع
 ايدياً ترى الأمر . كاد من الصعب أن يخل ذلك . فحينئذ تبرز .
 لم أفسدك اقول اني لا احبها .

ه انا أدرك . بعد ذلك حبيب ثاني حين كنت ملثمة صفر أجداً ...
 وعند لوييل المرض . بالبيان (٩) وتذكر أنه على أن يرقطاً معاً
 وبصايا . لا أنه لا يستطيع أن يفلح حين سأل أن يعمل ذلك ،
 وطولاً . عند ذلك انه حاول أن يجد حياة لتعقيد . وحياته ما
 اقول محضه . كان قد شعر بالأسف لأنه . التي جعله يكتسب .
 الناس حين يبحث عنها من حل .

الشيء الذي حدث بين لوييل وتامور غير سوله . مع فادف
 هو أ حاله كونه انطوية هي بيعة حارب من روح واحد . في حين
 = « حول » عليه هي طيبة . جداً بالنسبة اليه . وأولاً ذلك لاصطفا ان
 يضم ذلك منها في مكان آخر . بل ان هذا الفادف مهم جداً . ان
 = « انشغل » . انشغل والحدود في ليلة أعداده . وكان ذلك متأثراً
 في . أن كيريز وحده مع . الحزن حاداً تجاربه السابقة في
 = « أنا الآن » . بعد ذلك . فانه . بأنه هذه الخسفة
 فانه لا يحس ان الذي بالخريف . فانه . فانه . فانه .
 = « أنا الآن » . بعد ذلك . فانه . فانه . فانه .
 = « أنا الآن » . بعد ذلك . فانه . فانه . فانه .

استيفائك محاولاً أن تذكر من كان معك ، بينا نجد العالم كله شيئاً
 حقيقياً غارقاً في الظلام ... (١٦) . ونحن بدأ فردريك هنري
 معاصرته الغرامية مع الممرضة ، فإنه لا يحتاج إلا إلى عبارات ثلاث ..
 « لقد قلت أنك تحبني ، أليس كذلك ؟ »

أجل ، كنت كاذباً ، لقد أحببتك ، ولم أقل ذلك من قبل .. (١٧)

انه يجد نفسه في مثل وضعية ميرسول وكريز ، فالحب مستحيل حين يكون
 هناك معنى مشلوط من اللاتيقية ، انه لا يدرك انه يحبها حقاً إلا حين يجد نفسه
 جريحاً في ميلائو ، والممرضة نفسها تحتر عليه ، وهنا تتلاشى اللاتيقية
 ويبدل جو الغريب ليصبح جواً آخر يشبه ذلك الذي عده في تريستان وايزولت .
 التي يعتبرها همنغواي روميو وجوليت بالنسبة اليه . ان « دفاع السلاح » قصة
 رائعة تفوق عند المقارنة أية قصة من نوعها ، أي قصص الوسائل في الأدب
 الحديث . ويشير كل مشهد من مشاهدنا بحجوبة رائعة خفية ، كما ان همنغواي
 يبلغ في المشهد الذي يصور فيه موت كاترين وهي تنص طفلاً تلك الروعة
 التي تتجلى في المشهد الأخير من « تريستان وايزولت » .

لقد فصح همنغواي بقوة على تلك التجارب التي جعلته يشعر بالبرود
 والوضوح الداخلي . كما أنه يربنا في هذه القصة قابلية على التأثر على
 تقاريه ، ذلك التأثير الذي يقصده سارتر حين يقول على لسان طاه ..
 « أنني مأخوذ ، وأحس بأن جسي هاديء هذه آلة الضغط . »

أما المراحل التالية في أعمال همنغواي فإنها أقل إرضاء . كانت المشكلة لديه
 هي في كيفية الانطلاق من الجدية والشدة التي تخلقها الحرب الموجودة دائماً
 في ماسبه . وإن محاولاته العديدة في الصيد الخطر ، وصيد الأسماك وسط البحار
 لم تنجح . واعتبراً انطلاجه إلى أسبانيا حال اندلاع الحرب الأهلية فيها . تلك
 كلها محاولات تكشف عن فشله في حل مشكلته . ان للقاعدة التي اتجهها في كتبه
 التالية نلوع وكأنه حصل عليها من تفكيره في العناصر التي اعتقد بأنها كانت
 لسبب في نجاحه الفني السابق .. الواقعية ، الصنف ، والحزن ، والحرارة ،

معبداً أباه بشيء من الاختلاف . وإن العناصر التي تهب أعماله الأولى
 أحيوا لها هزيمة : المؤلف من مزيج من اليأس الديني والتموض الطبي
 البعائي . تلك العناصر اعتضت وحل عليها عناصر يمكننا أن نجدها لدى
 ستة آخرين من كتاب أميركا . أو في الواقع لدى الماديين التاريخيين السوييت .
 وبالرقم من ذلك فإن جانباً من أعماله الأخيرة يتجمع في أظهار مرحلة جديدة
 من مراحل مشكلة اللاتيقية ، لا نجدها عند ميرسول أو كريز . ذلك ان معنى
 اللاتيقية يتلاشى عند فردريك هنري وسط انبطار الحرب ، وحين يحس
 بعبه لكاترين . (ويجب ان نلاحظ هنا أن كاترين كانت تحبه منذ زمن
 بعيد قبل أن يدرك هو حبه لها ، كما أنها لشد تحاسكاً فطرياً ، وأفضل
 تأثراً بالجدد منه) . ان الشعور بأن الكلمة النهائية هي للسيرة ، موت
 كاترين ، هو ادراك النضج من الشعور بأنه ليس هناك شيء ذو أهمية .
 وتحتوي قصصه القصيرة التي كتبها بعد سنة ١٩٣٠ حل جارات يمكن
 أن تعتبر أسئلة لطيفة همنغواي واسلوبه . ولنبداً بفردريك هنري حين
 يرى كاترين وهي تموت :

« سموت كاترين .. لقد كان ذلك ما فعلته أنت أيضاً .. لقد مت ، ولم
 .. لتعلم علام كان يدور الأمر ، لم يكن لديك الوقت الكافي لتعلم .. لقد
 هابك في النهاية . ونستطيع أن نتعلق . ابن قريباً وسيفلتونك .. » (١٨)

أو الضابط في قصة « في بلد آخر » . حين تموت زوجته :
 « يجب على المرء ألا يتزوج .. وإذا كان عليه أن يفقد كل شيء
 فإنه يجب أن لا يصح نفسه في موقف يفقد فيه ذلك .. يجب عليه أن
 .. أن .. لا يمكن أن يفقدنا .. » (١٩)

أو رائي الشراء القاسي القلب في « المقامر والراهبة والراديو » :
 « الذين آفون الشعوب .. أما الآن فإن الاقتصاد هو آفون الشعوب بالاضافة
 إلى التوفيق .. ماذا عن الاعتقال الجنسي ؟ أليس ذلك أيضاً آفون الشعوب ؟
 حل في الشراء هم الآفون الحاكم . الآفون الرابع . مع أن بعض الناس

يفضلوا الراديو ، الذي يعتبر أيقونة آخر الشعوب .. (١٥)

هناك أيضاً الدل المجوز في قصة « مكان تطيع نفسي » التي يصلي .. « لا تعبد شيئاً ، وليس ليك شيء ، إذن فلا أحد معك .. » وهنا تصبح مواجهة الموت مواجهة اللامني ، مواجهة اللاشيء في الحياة . ان القية الوحيدة الباقية هي الشجاعة ، كما يرينا ايها سالتباغو في الشيخ والبحر ، حين يقول : « من الممكن تدبير الانسان ، ولكن ليس من الممكن قهره » . على أن هذه الشجاعة مشكوك فيها . لأن الموت بنفها ، في حين أن الأسباب التي تبثها هي عادة أيقون الشعوب .

هناك قصة قصيرة كتبها همنغواي قبل عام ١٩٣٣ وهي تعبر عن فلسفته في الحياة باعتصار . تلك هي التجربة الفاشلة في الأسلوب ، التي تدعى « التاريخ الطبيعي للأموث » . انه يبدأ هذه القصة بحديث منكرو بارك عن القنبلة التي توضع نهاياتها ، ليلذكر كيف أن الطقس يتهك في الصحراء ، ويرى زهرة صغيرة فينبهنا : « هل يمكن لذلك الذي خلق وصفى وانضج هذا الشيء الذي يلوح عديم الأهمية ، هل يمكن له أن ينظر بلا اكترات الى شفاء المخلوقات التي خلقها طبقاً لصورته ؟ » ويتشجع هذا ليراصل سيره حتى يجد الماء . أما همنغواي فينبهنا : « هل يمكننا أن ندرس التاريخ الطبيعي دون أن يزاد ايماننا وحبنا وأملنا ، تلك الأشياء التي يحتاج اليها كل واحد منا في سفره خلال مصائب الحياة ؟ » وهنا نرى إذن أي الهام يمكننا أن نستوحيه من الاموات . (١٦)

وتصبح القصة بعد ذلك وصفاً ماعزاً لتجارب الحرب ، فيذكر التفصال المعطلة السيفان في « أزمير » : « التي يذهبها الجنود تنرق في المستنقعات .. » متنبين رسماً لغير مثل كويبا ليصورها ، بالرغم من اني اذا أردت أن أردد أفهم حرفياً ، لا أستطيع أن أدعي بأنهم تمزحوا حقاً حضور رسام مثل كويبا ، لأنه لم يكن هناك إلا كويبا واحد ، مات منذ زمن بعيد ، ولأنه من المشكوك فيه أن هذه الحيوانات ، اذا كانت قادرة على الكلام ، سترغب في تمثيل تصويري لوروطنها ، وانما أراها على الأكثر استدعو أحداً ليرحمها وينقلها من عليها . (١٧)

وحتم كل الباذخ التي بنشأها همنغواي ، لحقل ملاحظاته « عذبة ودموية : ان أول ما نعهده من الاموات هو انهم يموتون كالحوانات حين يدهمهم صدمة سريعة كافية . انني لا أعرف ذلك بصورة أكيدة ، إلا امر أستطيع أن أقول أن معظم البشر يموتون كالحوانات ، لا كالبشر (١٨) » . أما في معرض الموت الطبيعي ، فانه يقول : « اني اريد أن أرى موت كل من يدعي بأنه انساني » . لارى الوجود البليل الذي يدعي به . ان « التاريخ الطبيعي للأموث » ، تعتبر أوضح الأمثلة على وجودية همنغواي ، كما ان عبارة « معظم الناس يموتون كالحوانات ، لا كالبشر » هي جوابه على ادعاء الانساني بكمال الانسان . انه لا يستطيع أن يضمن بالرب الذي يدعو اليه الاعمى بنظر وباليه في دحواها . لأن هذه للتكرة تلوح غيلة الى جانب حاتم الوجود الحشة . ان اقرب عباراته الى المثل الأعلى الديني هي « يجب أن يجد أشياء لا يمكن أن يفقدنا » . على أنه سرعان ما يرجع عن هذا حين يقول : « ليس هناك شيء لا يمكن فقدانه » ، وهذا لا يعني ان الحياة مدونة القية . بل بالعكس . ان الحياة هي الأمر الوحيد الذي له قيمته . في حين أن الافكار هي التي لا قيمة لها .

• •

لح ان مساهمة همنغواي في مشكلة اللامني ملية ، إلا ان المحرص الدقيق ربما « مادة صفات إنجابية » . هناك الامامة . والحب الشديد للأشياء الطبيعية . ولوح مبعثه الأولى بصورة خاصة دراسة لماضي ، وغالباً ما يجد القارئ نفسه « بها مطلقاً بادعاء وتائر » بحيث أنه يشعر بأن هذا البحث لا بد سيوفده الى شيء ما . إلا أن هذا يتلاشى في كتاباته بعد عام ١٩٣٠ ، أي في الوقت الذي بدأ فيه يعلبه الاقتصادي حين صار شغفياً عامة وشيئاً من أسطورة . كان يسطر عن « ح الصغيلة » وعدم امالة بالثقة أو الآم التي تلوح في « وداع للسلاح » ان بعد ان شيء . إلا انها لم تفعل ذلك . ولم تعد تحس . في قصص ما بعد سنة ١٩٤٩ ، مما لنا تحس به من روع في حضرة همنغواي كضمان عظيم ، كما

أن همنغواي نفسه ، المفكر الذي كان قد عرّبل مختلف الأشياء واختار منها عناصر اعتقاده ، بلوح وكأنه قد انخض تماماً .

لقد لا نكون مصيبين في لومنا همنغواي على تأثره بنجاحه . فإن المشكلة صعبة جداً . ولا يقول سارتر في « الوجود والعلم » إلا قليلاً عما قاله همنغواي في « وداع السلاح » . ولهذا فإن سارتر باعتبار أسلحته العقلية القوية ، فشل في إيجاد موقف انجاسي . إن فلسفته الخاصة « بالتسليم » والقالة بأنه ما دامت الطرق كلها ستقود إلى اللامكان ، فإنه لا يهيم أي الطرق يختار لنلقي فيه نشاطنا وفعاليتنا . كانت هذه الفلسفة قد سبقها اكتشاف هنري جيللي قصة همنغواي ، أن الشهور باللاحقية يخفي لديه حلاً يجد نفسه غارقاً في الحرب .

على أننا إذا قارنا كامو وهمنغواي بسارتر ، لا نجد ما على ما هو عليه من فكر قاطع . إن كامو يتوسع أكثر في « أسطورة سيسيف » في الأشياء التي قالها في نهاية « الغريب » . ويستنتج أن للحرية يمكن أن تتولد بمواجهة الموت . يستطيع أن يرفضها المتحضر أو المحكوم عليه بالأعدام ، أما بالنسبة إلى المحي الفعالي فإنها مستحيلة . وهو يدرس في « ثورة الإنسان » حالة هذه الثورة ضد المجتمع لدى أشخاص مثل دوما وبارون ، ثم يخصص محاولات مختلف الفلاسفات العقلية الانجاسية التي قامت بالبحث عن المثل الأعلى للحرية الذي يشهد مثل هذا الفائر . ولهذا فإنه بلوح مستحيلاً أن نقبل بعد « الغريب » و « أسطورة سيسيف » أي جواب انجاسي لمشكلة حرية الإنسان . إن كامو يواجه هذا الاستنتاج في نهاية « ثورة الإنسان » ويصطدم بنفس مع سارتر الذي قادته نظريته في « التسليم » أو الارتباط إلى احتياق شوجية محمودة ، وهكذا يلعب كل منها في طريق مختلف . بعد أن كانت رقيقة في الوجودية . أما همنغواي ، فإنه لم يفكر في جواب انجاسي ، أو في الحقيقة ، بأي جواب علنا ما يخص الفلسفة القوية من التمسك بالفضيلة ، وعدم الاكتراث للذة أو الألم ، وكان ذلك هو الأمر الوحيد الذي شكاه من فقدان الأمريكيين عند همنغواي .

لقد أوضحنا إذن كيف أن مشكلة الحرية ليست مشكلة انجاسية . ومن المفكر أن نعتبر مشكلة لامتسي باريوس مشكلة عدم اتفاق انجاسي ، ومن الممكن أيضاً اعتبار كراس ويلز قضية محلل نفسي ، غير أن مشكلة « القياس » نفت صاعقة أمام أي هجوم ، علما الهجوم الذي يستخدم اللغة الهامسكية ، في حين أن كامو وهمنغواي يتخللان إلى الانجاس إذا استعملنا معها كلمة البنية المتطورة . على أن هنا أمر مشترك إلى نهاية هذا الفصل ، يعود الآن إلى مواصلة بحثنا عن : الحرية واللاحقية .

الحرية هي حرية الإرادة ، وهذا أمر واضح في الكلمة ذاتها . إلا أن هذه الإرادة لا نستطيع أن نعمل إلا حين يكون هناك دافع ، فإذا لم يكن هناك دافع ، لم يكن هناك إرادة . تمت أن الدافع ينشأ من الاعتقاد ، فأنك لن تعمل شيئاً ، لم تعتقد بأنه ممكن وذو معنى . ويجب أن يكون هذا الاعتقاد اعتقاداً في وجود شيء . أي أن هذا الاعتقاد يعني بما هو حقيقي . وعليه فإن الحرية تعتمد على الحقيقي . أما معنى اللاحقية لدى اللامتسي فإنه يترجم حريته من هذه . فيبعد أن حارسه لهذه الحرية مستحيلة في عالم لا حقيقي ، فاستحالة الفهم حين يكون المرء في حالة القنوط إلى أسفل .

والتوسع في الحالة التي يفهمها « بيتا كل من كامو وهمنغواي لها يخص الله في الانسانية . وهذا يجب علينا أن نعود إلى مسرحية ظهرت فائري أراصل في ذكر عام ١٩٢٠ . هي « الحياة السرية » ، فإذا قلبنا الفقرة من « تاريخ كامبرج الوحيد للادب الانكليزي » لجورج صامبون ، لالنا سلوك مدني أعينها في تلك المرحلة :

« الحياة السرية » : مسرحية بحيرة مريكة من مسرحيات ما بعد الحرب ، من العالم الضل مطلقاً إلى روحية نيلسندية ، ولا شيء فيها من التركيز التاريخي . وأما شعب الأشخاص فيها ويأتون فقط ، وبلوح الحب فيها ذراً لا دافع فيه ، شيئاً لا حبة فيه ولا منتج ، أما الحوار فهو نازة مسرحي احتيالي . - وبارة أخرى لطفي محير ، كما لو كان المتكلمون لا يكونون دافعاً

يدفعهم الى الكلام أكثر من رغبهم في سؤال الألفاظ التي لا يمكن أن
تحل . ولا نفي أن كتاباً آخر استطاع أن يوحى بالانحياز للرؤى التي
مبته الحرب كهذا الكتاب . (١٩)

تهمس هذه المسرحية على سياسة حزب الاحرار لما بعد الحرب .
ويتركز الاهتمام فيها حل شخصين رئيسين . هما ايفان ستراد ، وهو
سياسي قديم ، في منتصف العمر . وابنه أوليفر كورنيليت ، الذي عاد من
الحرب ناقصاً اسدي ذراع . أما هيكل المسرحية فأبغاضه سهل . فقد
كان ستراد يشتغل بالسياسة قبل الحرب . إلا أنه تقاضى مع رئيس الحزب
واستقال . أما الآن فإن الحزب يريد أن يعود .

أما أوليفر ، فإنه يعود من الحرب مشوهاً وينصب الى المدينة عشاً من محل ،
ويقضي عليه بتهمة الفرضوية ، ويسره ذلك لأنه ضلعه من نشاطات المدينة .
إن الامر الوحيد الذي يغيره هو ايفان ستراد (ولا يعرف أوليفر في بداية
المسرحية أن ستراد هو أبوه) . كان أوليفر يتظاهر من طفلة ستراد
الجبارة وإرادته القوية أن يكون سباً في نجاحه في حفل ما . ويريد أوليفر
أن يعرف لماذا فشل ستراد .

تلد المسرحية مشهد غريب في بيت ستراد ، الذي يقع على ساحل البحر .
حيث نجد ستراد وجهاة من رفاقه المايطين في الخدمة ، مجتمعين بخوف تريستان
وايسولت ، على البانير . ويتهمون من الغاء ثم يتحدثون عن ذكرياتهم في أيام
الصبا ، حين يبدأ سالومونز بالتحفت عن حبيته كيميائي محلي .

سالومونز : إن تستطيع أن تعلم ماليتك إذا لم تشترك في حرب صليبية .
لا تدع الفن والدين والوطنية تضيق ولو لحقت واحدة بأفك نبي أكثر
ما نفعل ، وإنما نفج بجانب القديس . حين يبلغ الأمر مبلغ رمي الانبياء
بالهجرة . والآن يجب أن نعترف .

اليانور - قبل أن نحصل على جواب ؟

سالومونز - ليست الاجوبة الا أصحاء . (٢٠)

... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل
... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل
... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل

... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل
... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل
... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل

... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل
... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل
... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل

... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل
... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل
... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل

... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل
... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل
... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل

... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل
... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل
... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل

... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل
... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل
... الذي كان ستراد يحيا منه ومن بعيد قبل

وهنا يتوقع ان تملكه جوان عما اذا كان من الأفضل لها لو لم يلتصقا :
« ستراود : كلا.. ان ذلك لتجديف ، على الأقل لا يجاري للترغاة الجاحدين
الذين يصرون : اعمل شيئا ، اي شيء منها كان ، فكل شيء سيكون على
ما يوام ما دامت المجلات تدور - ما دامت تفعل شيئا ما ...
جوان (يصرخ) : ولكن فتنس أولا على ملكة الحق ، لتجرب
من الرغبة في كل الاشياء الاخرى .

ستراود : (بساطة) أنا مجرد منها ، ولست افسد . ولا ادعي فصلا في
ذلك ، ولست اول من اوجد بعض المعتقدات التي لم يستطع ان يضعها في جيبه
كما يضع قطع العملة الصغيرة . ولكن ، امل ان اوفضها من ليل ذلك كله .
أترينا هذه المقاطع صلة ستراود بالامتصين الذين ذكرناهم سابقا ، لانا
نجد لديه هذه الإيمانية من القوة ، هذا الاتصال بالواقع ، والتصور بالفترة
الحديثة من ادراكه ، تلك الاشياء التي حصل عليها أثناء تجربته الانشغالية
الاجرة مع جوان (كما كان الأمر مع كريبز وبغل كامو) . هناك ايضا
البحث الدائم عن الدافع ، وتحليل قوى الاشخاص الآخرين وغوته الجيزة
هر ، كما في قوله : « السياسيون الذين يرقبون بقولهم الصغيرة ... و في
قول روكافان ، الكلاب المقفولة ... » بل ان ستراود يتحدث في احد
المقاطع بعنق ما يتحدث به ويلز :

« جوان : اطلق نفسك يا ابنان من يأسي هذا الجحود ..

ستراود (يعبوس) : حين يبلغ الحمار متحمس حلود امكانياته ، ويكون قد
أكل كل ما في علفه ، يبدأ بالفقر والرهس .. أليس كذلك ؟ (٢٣)
لقد انهار البائع ، وانكسر الاستمحي شكلا من اشكال الواقع اسمي .
كان يعرفه من قبل « وهو » كنتيجة لذلك ، يفقد ذلك الادراك .. ويبدأ ان عليه
ان يقبل ادراكا آخر اقل من ذلك جودة . على ان ذلك الادراك الأفضل جودة
موجود ، اذ نجد ان جوان تعترف بأنها انما قبلت الزواج بموقف مذهبي بسيط

والتي معه ، وتكون في زاوية مهتلة من دولها العالم ، لأنها شعرت
... .. كانت أكثر مما تسحق . أما ستراود فإنه لم يتدخل
... .. على حياة الدرجة الاولى . واما فضل ان لا يفعل شيئا
... .. للحصول على تلك الحياة صعب المال .

... .. جود البارود نهاية المشهد لتخبر جوان بأن روحها قد ماتت
... .. كل ما جاء الكاتب في هذا المشهد يتحقق الآن .
... .. التي رصبت نهاية الصفحة التالية . فبدأت حتى هذه الحياة .

... .. الفصل الثاني أن تعود الى الحياة السياسية . في حين
... .. في بعض ستراود ذلك . ويعود
... .. التي اعلم الآن ان ذلك من أوليهر وستراود يتمها
... .. مشهد مهم يشرح فيه أوليهر لماذا يريد ان يعمل مع
... .. انه يريد أن يعرف هذا ستراود . ونقوله له جوان
... .. هذا ستراود . غير أن أوليهر لم يكن
... .. هذا ستراود .

... .. لي مثل هذا البصر اذا كان يشهده
... .. الى تلك
... .. لا يجول المرء

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

سوزان : هذا هو مكالمه الوحيد .

اوليفر : لو عاد هو او غيره ، وسهر الأغلبية المتهاة منا

سوزان : لماذا لم تتوجه جيان ؟ لو كانت فعلت ذلك لئلا يضر السعادة حل الأكل ، ولساعد ذلك كثيراً ..

اوليفر : (كمن يبدل مجهوداً آخر) انك تسألني لماذا لا تحقق الحياة النهائية السارة والمنازع الجميلة .. ألم تتضح لك الأمور بعد لتضحي ؟

سوزان : لا تسخر بي ثانية يا اوليفر .

اوليفر : انني آسف .. لقد فعلت ذلك لأنني اعتقدك . (٢٩)

اما خاتمة المسرحية فانها لا تلوح خاتمة حقيقية بحال من الاسوال :

سوزان : ألا تريد ان ترتفع وسط هؤلاء الأموات ؟

اوليفر : كلا ..

سوزان : ستكون كذلك ، بطريقة ما ..

اوليفر : احدثت ان تعلمي انني لست بالمتشاك يا سوزان ؟ (يخرج) (٣٠)

لا امل هناك في بحث أحد من عالم الأموات ، لأن ذلك يعني وجود دوافع جديدة وأعمال جديدة .. بل ايمان جديد . لقد استسلمت في بداية هذا

الفصل عبارة « اللغة الدينية » . وقد كان الوقت لشرح هذه العبارة . ان ستراود يسأل اوليفر في بداية الفصل الثالث ان يتأكد له من صحة إحدى الصارات المقبسة .

« ستراود : هلا اضطيني الانجيل ؟ انني اريد ان اتعرف شيئاً .. اظن انها موجودة في »

اوليفر : ما هي العبارة ؟

ستراود : يا إلهي ، منذ حياتي لأنني لست الفصل من آياتي . أليس ذلك اقرب الى التضحية وخيبة الأمل الحديثة من جانب إلهيا ؟ ترى لماذا يعرض

له موجود لا ؟ (٣١)

ذلك هي المشكلة ، فان ستراود ايضاً يفرض انه موجود . وكذلك يعمل اوليفر .. رغم انها لا يصفان ذلك صراحة . وهناك رغبة عند كل الاثنين

في « الضم » . ألا ان ستراود يدرك ادراكاً أكثر مما يجب أن ذلك الضم المربوط ليس تعلقاً اجتماعياً . « ليس أفضل من آياته » - أي أنه ليس احكم . « ولا أقل ثقافة ، ما دام خاصاً لروحي للضمف وللمعاجات نفسها تلك التي سمحوا لها . وما يزال الانسان عبداً لمحيطة المباشر ، تماماً كما كان أباه » . « عاشوا في الاكواخ البدائية . أعطه أهل درجات الفكر وأسمى ما وحل الله الضل حيا ينص مكان الانسان في الكون ومعنى التاريخ ، ويستجد أن ذلك كله يصبح حياء لديه اذا كان جالماً ، أو متضيقاً من صراخ أحد الاطفال في الآه . ليس . انه مرتبط بالضمفة . ونجس ستراود وأوليفر بهذا كله ، إلا أن احساسها هذا ليس قريباً بما يكفي ليصلها مبالغ الى القيام بمحاولة في هذا الصدد . انه الضمف الانساني ، ونحن نقول جيان ستراود في نهاية الفصل الثاني إنها لا تستطيع أن تتوجه . ترى ستراود يتسم وحده : « دحكتك يا إلهي ، يا من خلق المخلوقات لتضحي دون ان تفهم لماذا . » (٣٢)

« لا يصلح ضد . وانما ينبغي استغرابه من الألم الذي يحس به ، ومن نقطة الضمف به . الضمف الانساني . ان قصة هنتراي التي تدور على الضابط الذي يموت رجوت هي في الحقيقة تأمل طويل في هذا الضمف ، ونحن نعلم ان مثل هذا التأمل لا يقود إلا الى التفكير الديني . وكذلك يفعل هنتراي حين يقول : « حسد أن يجد شيئاً لا يمكن أن يفهمه » . ويفقد هذا بالتالي الى تطوير نوع من الواعية التي تركز على النظام وبذ الوافه . انه يقود الى ادراك أن الانسان ليس شيئاً ثانياً غير متعدل . انه شخص ما في يوم ما ، وهو شخص آخر في يوم آخر . انه يسي بسهولة . ويعيش في لحظه ، وفادراً ما يجارس قوة الإرادة وهو اذا حل عليه يستسلم بسرعة . إذ انه ينبغي هدفه الأصلي ويتحول عنه الى هدف آخر . ولا صعب اذا أحس الثراء مثل هذا اليأس حين يلوح لهم أنهم قادرون على الشعور . حاله من الادراك أشد عمقاً . إذ يعلمون مباشرة أنهم يستطيعون ان يفعلوا شيئاً بالاحتفاظ مثل هذه الحالة . ونعتقدنا هذه الفكرة نفسها في أعمالنا . « دحكتك يا إلهي » . والبوصلة في أعمال كتاب مثل

ب. من البيت . وأندرس هكلي . إلى السؤال الثاني : كيف يستطيع
الإنسان أن يكون أكثرية ؟ كيف يستطيع أن يقلل من عبوديته لظروف ؟ ولقد
ذات أعمال هكلي خالية من النتائج علواً . منطقاً . لأنه يلوح أنه يعتقد
بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً في هذا الصدد .

عمل أننا لسنا في مركز يسمح لنا بتفحص هذا السؤال وعليه قيل ذلك أن يعرف مفهوم التمرد هذه المشكلة. أي المهدوم الروماني. وأن نقول أن يعرفه إلى أية درجة يمكن تطوير هذا المفهوم لتوسيع نطاقه. ولما كان هذا للمشكلة محاولة السيطرة إنما يعتمد على الملاحظات التي تظهر في الفصل القادم.

الفصل الثالث

اللامتنبي الروماني

محيط اللاهوتي الوجودي كثره جداً. إن هؤلاء الناس مفيون، صمد
لاهم يخلو في عرقهم. مجرد من التوائف، يقنون الله ليس هناك
مخوفات قبل شيء آخر. إن هذا العالم المجرد من القيم هو عالم النجس
في حين أن عالم الطفل النقي وإن جره فواح بالأمل. ويلوح مخزون
في عيد الميلاد وكأنه عالم جديد. إلا أن اللاهوتي مريض الروح
هذا العالم الجديد في بيوت على الرصيف لأنه يحمل بالنسبة إليه آية
منه. من النعمة. شمع خطوط الاسطوانة. والذي يلوح

في الحقل - عالم الخلق هو في الوقت نفسه أحد العروق

يعد بناء نحن الذين عاصرنا حروبين عالميتين، ونعيش في زمن القنبلة الذرية، أن نذكر أننا كالباقين الذين يلومون أطفالاً. ولم تكن استدلالية القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عديمة الجدوى، أو حالة مزعجة من حالات العقل، وإنما كانت فترة نقالية لا علة فيها، نقالية لم يجهد قسماً كثيراً، ولم تنضب في منطفها بعيداً، لأنها شعرت بالحرية شعوراً لم يتوفر لها من قبل، بل كثيراً ما شوهد حكماء العصر الفيكتوري وهم يرفصون ويهتفون في منازلهم.

ونجد أن اللامتنى في مثل هذه الأحوال هو ذلك الشخص الذي لا يميل إلى هذا الحساس. وقد يكون ذلك لأنه لم يستطع أن يترك حقيقة أن تلك الطوباوية التي كانت ستؤسس قبل نهاية القرن ستكون حقيقة واقعة. وعلى كل حال، فقد كان يعتبر طفلاً في عصره لأنه كان يشتد مفوماته من الأرض. أنه لا يستطيع أن يكون مثلاً نيلسياً مثل سارتر وكامو في عصر كان الفلاسفة فيه يشبهون رعاة البقر (الكابويز) حين يقومون بلعبة من ألعابهم، ولم يستطع أن يعتقد بأن الخطأ كامن في الطبيعة الانسانية لأن البحث العقلي كان قد قضى ذلك، بالإضافة إلى فقيه كل ما كان خالفاً من العقائد المحافظة كمسألة الطبيعة الأولى مثلاً. كان عليه إذن أن يعتقد بأن الخطأ كامن فيه هو، وليس في الطبيعة الانسانية التي أحدث الفلاسفات التي كانت خالصة على ذلك العصر بإمكانية إبلاغها الكمال. تبع ذلك أن اعتبر اللامتنى انساناً وليس من هذا العالم. وأما مات شاباً مثل شلي أو كان مريضاً مثل نوافليس وشيلر، أو مدعماً على المخدرات مثل كولبرج، فإن ذلك كله شيء من الطبيعي أن يحدث له، ولم يبق له. لكي يضي معنى من الاحترام على حياته، إلا أن يهدي بأنه مثالي أطلافي في عالم. في حين كان البرجوازي يقره على حقه في الحياة. فكانت لهذا اللامتنى مكان في هذا المجتمع باعتباره حليلاً غير عملي. ذلك هو الموقف الذي نجده في بداية القرن الماضي في أوروبا. وقد اخترع غوته هذا اللامتنى الخيالي في نفسه. آلام فرتر، حيث نرى فرتر من ذلك النوع من الشعراء الذين انتعاشوا في ثلاثين الشاشرين، والرجال في وقت واحد معاً، في حين أخذ أن الضيق الذي

بديه الاسي كان يجتر في القرن الثامن عشر شخصية هزلية :

«يستطيع هرجه الشاب أن يدير عطفها ؟

إذا فشل هرجه اللبتي، صحة في أن يفعل ذلك ؟» (١)

ألا أن فرتر الشاب لا يأتيه بوجهه صاحب، وإنما يطلب صاحب. وتبع ذلك «الصوم» و «دون كارلوس» وشيلر. ويضع نيتشه على لسان أحد الصكربين القول التالي : «لو علم الله بقصة (الصوم) لما خلق العالم، أصل أن هذه القصة ترفع من القيم الانسانية وتؤدي وجود المقدس إلى هذا الحد». كلكت فعل نوافليس، العالم الروماني، الذي خلق هابترينغ لون أوفن ذلكن، الشاعر الذي قدر له منذ يوم مولده مستقبل عظيم في الشعر. وأصبحت الرومانية الاثنية إلى انكفرا حيث ترجم كولبرج أعمال شيلر ونشر مايرون، تشيك عزولده. أما «آستور» شيلي فهو شاب يلوب شوقاً وأسى لأنه لا يستطيع أن يجد في هذه الأرض فتاة تشبه تلك الفتاة التي عاشته في حلم من أحلامه. أن هذا الحلم نفسه يوحى إلى هابترينغ لون أوفن «من بطريرك مستقبله» وعلى مهلة لأحت صطور شبابة زرقاء تسطع على جوانبها عروق الشعب وكان ما حوله يفيض بالفضاء الهادي الجليل، في حين كانت السماء لونه صافية الأديم. (٢)

ويكتب ولج موديس بعد نصف قرن من ذلك عن رؤيا طوباوية الاجتماعية، هذه هي «حلم جون بولد» كاتلاً أن اللامتنى الروماني «يعلم بعوالم جديدة». أنه ليس مثلاً لا قلب الذي وجدناه في حالة إيفان ستراند، وإنما لأنه عالم بطبعته ولأنه «الغنى الخامل في يوم من أيام القراخ». ونستطيع أن نسميه من «فرتر» لغويته و «توبو كروجر» لتوماس مان. أنه يعتبر أباً لعل باوموس «وجيل ثقب الحائط». وروكانان وميرمول. أن القرن العشرين. أنه يقدم لنا طريقة جديدة، إنما بشر بالحاجة إلى وضعه في محيطه الخاص. وهذا نمح ساحة هذه الصكرة أكثر دقة وتحليلاً. حيث تخفي

اللال وكهوف الجبال من المشهد، لرى بطل ياربوس في عرفة في مدينة حديثة. الا أنه ما يزال رومانياً، كما أنه ما يزال مشغولاً بفكرة أن يحيط بلوح غير قابل لاحتياج رغباته. انه يخشى ألا يكون العالم مخلوقاً لمواجهة متطلبات الروحية البشرية. وهو يلوح اليوم متزعجاً غيماً، ويخشى ان يموت وهو مترع عجب، لا يحملك شيئاً عدا القليل من التجارب التي تشيع جزءاً قليلاً من رغباته لتخطفه على النهوض من غرفته في الصباح.

ولستطيع أن لأصل التبدل الذي حصل في تقديم مشكلة اللامتنى لدى كاتب مثل جيمس جويس، الذي احتفظ لنفسه بموضع قدم في قضيتي الواقعي الرومانسي والواقعي الاجتماعي، ذلك ان وفاته، سنين بعد الأوس يبدأ حياته باعتباره معداً ليكون شاعراً.

ضايقه صراخ الاطفال وهم يلعبون، وجملة أسوانهم الحصاد بغير بأنه مختلف عن غيره من الاطفال، ولم يكن راجياً في الحب، وانما كان يريد أن يلقي في هذا العالم بالصورة المصونة التي يحفظ بها في نفسه دائماً، ولم يستطع أن يعرف أين يذهبها أو كيف.. (٢)

ويكتب جويس قائلاً:

«لقد دفعه ذلك الاضطراب في المساء الى التجوال بين المناطق غطاً عن درسدس (بطله قصة دوحاس - الكونت دي مونت كريسو)، وملاً نفسه بدم رمي غامض حين نظر الى أوصفة الضن والى النهر والافق، الا أنه استمر في تجواله هنا وهناك، يوماً بعد الآخر، وكأنه كان يبحث حقاً عن الشيء الذي يحرقه..»

يشبه هذا الأسلوب أسلوب مادربوس الايتوري في إيقاعه، وهو يعمل طابع التفرغ المنطلي لان الكاتب تصد فيه أن يوصي بما يشبه جو الأحلام. ونجد عكس هذا الأسلوب تماماً في صفحات «الملاحظات» : «وصلت صوت كريمة عن التلبد السبع الذي كان يجلس على درجات السلم السفلى، فالتفت إليه دكون قائلاً بصوت واثق :

— هل نكرم أحد الملائكة ؟

وافقت كراتلي أيضاً، وقال بمتعة ولكن بدون غضب :

— كوكانس، هل تعلم أنك تلعب الشياطين الذين رأيتهم في حياتي ؟ (١)

ان المصطنع الأول والثاني هما أسلوب «عقن غطل في يوم من أيام القراع»، أما المصطنع الثالث فتشتمل فيه رجة عنيفة في «التسلق بالحقيقة بدلاً عن الخيال»، ولم تكن كتابة مثل هذا الأسلوب ممكنة قبل عام ١٩٢٠. ويحمل هذان الأسلوبان عودين لجهود اللامتنى الواقعي الذي بحثه في الفصلين السابقين ولجهود اللامتنى الرومانسي.

ان الفرق بين هذين الأسلوبين كبير جداً، اذ بينما يسأل الواقعي : «الحقيقة ؟ نرى ماذا يتصور بها؟» لا يحلم الرومانسي بمثل هذا السؤال، وانما يقول : «أين أستطيع أن أجيد الحقيقة ؟» وهو لا يشك في (١) كما جاء في كلمات شاعر كثر بدأ حياته لامتنباً رومانسياً :

«ان ما تبحث عنه مليون شقة في هذا العالم

لا بد موجود في مكان ما ..»

وأحد هنا أنه قد حل محل السلوك الوجودي نوع آخر هو سلوك المثالي الانطاطي. انني يبحث عن الفكرة (الصورة المصونة التي تراها روحه) «كأن» ان مارثر كما نراه في «التيان» لا يتصور جويس كما نراه في «صورة المرء شام» مثلاً. كما أن دعوة سينف الى «أن أصنع في مصنع روحي صير صبي اللاعلاوي» لا يمكن أن تقف الى جانب الاعتقاد في أنه «لا مظارة هبات» على أنه اذا كان مفهومنا صحيحاً فان اللامتنيين: الواقعي والرومانسي شاملاً في أمر عام، ذلك لأننا نفترض أن الانسان يصبح لامتنباً حين يعيش في «ال» انه مصدأ أسئلة دوحاس (مشاكل اللامتنى). ان الفرض من هذا الفصل هو معرفة مشاكل اللامتنى كما يمر عنها اللامتنى الرومانسي. ولهذا لم يكتبها أن لا تركز أي واحد من الشراء أو كتاب القصة الرومانسيين، فتجد

أشياء عتيقة ، وكان هناك محس . إلا أنني كنت أجد مهرباً من ذلك كله حين أشاء ، على صدر أبي الخنوع . (٧)
كانت صدمة عتيقة لسكندر أن يكتشف أن ذلك العالم المظلم قد وصل الخروج عن حدوده واختصام حدود البيت أيضاً . حيث لا يعود في استطاعته أن يلمح إلى شيء . أنه ليكذب لئلا استصحب أصغاله . ويجد منه في قبضة برانك كرومر أحد أجلاف المدينة وابن أحد السكيرين . ويجد نفسه مضطراً إلى إرضاء كرومر ليسرق من البيت ويغدع أمه . وهكذا يجد نفسه حينئذ يارادته عن ذلك العالم المادي المنظم .

كانت حياتي في ذلك الوقت جنوباً . كنت خجولاً . عشت مديناً ومكافئ شبح وسط ذلك السلام المظلم في البيت . (٨)
المشكلة واضحة الآن . فهناك نظام يقوم عبده حالة من القومسي . ويقدم عيس حلاً لهذه المشكلة في الفصل الثاني . فهناك عبي في مقدمة اسمي سنكلير يقدم ماكس دميان . يلوح عليه أنه أشد نفسياً من بقية رفاقه . ويتحدث دميان مع سنكلير في موضوع الأنجيل . هايل وهايل المعلمين بتلألأ العالمين . ويوحى إليه بأن قصة الأنجيل هذه ما هي إلا مثاقيل يفسره للذين عن الواقع . ويقول بأنه ربما لم يكن هايل شريفاً إلى هذا الحد لئلا يفتل انحاء بلانغ الحسد . وما كان هناك شيء آخر في الموضوع . كأنه يكون في ملامح وجهه ما يوحي بالذكاء أو الشجاعة . مما جعل البشر يخافونه . ويحرمون قصة علامة هايل لينحسروا بها حينهم .

ويرث سنكلير حين يسمع بالقصة بحيرة هذا التمويه . فهي بشكلها هذا إنما تحيي الانحدار إلى العالم المظلم قد لا يكون شراً إلى هذا الحد . وإنما هو خلاص من حلاقات الشجاعة والذكاء . وقد يكون هذا الذكي الشجاع دميان عبد الذي تقول الشائعات الدائرة حوله أن له علاقات حميدة مع كثير من الحكام . بل مع أنه لا ي حين أن دميان هذا هو الذي غرر سنكلير من رقة برانك في الشريعة . ويوحى إليه الله إنما يتحدث إليه لانه أسمى من رقة البرانك ولا

أشياء من تمكلمهم بقليلة . إلا أن سنكلير لا يملك الشجاعة الكافية ليمنح
التي التي يقدمها إليه دميان . هل أنه سرعان ما يعود إلى ملام البيت
والجلاء من قبضة كرومر . وليني أطايقه الحسية القديمة . وهو
الذي من القطة الذي يحس به المهندسون . ولا يترك سنكلير إلا بعد
دولة سرقة أنه يجب أن يتوجه بأهواله إلى دميان نفسه . لا إلى أمه .
ولا لانه وقد عاد إلى أفكاره السابقة من العظام . لم يفعل أكثر من أن يشيع
وه عن القومسي . إلا أن هذه القومسي ما تزال موجودة .

من كتاب . عهد فيها وصفاً لمراعاة سنكلير وبطقه الجسدية . إلا أن
في السؤال ما يزال يشعل فيه . أنه لا يستطيع أن يتخلص من القومسي بمجرد
ملمح لظلمتها . ويظهر دميان ثانية . في حين يترك سنكلير في حوائجه .
ويقدم . أن سنكلير في أمه . فيجد هذا فيها جواباً على سؤاله الخاص بمشكلة
العالمين . أنها تمثل الطبيعة والحياة والألم . أو ليليت . التي تلتقي بها الانحدار .
وهي القصة هذه من ذوات مثلها المادية . بحسب أدل القاري والارومالي
الذي كانت تحليلات عيس الدافئة . مركزاً انتباهه خلال القصة . وذلك هو
الشعر الذي عاد في معظم قصص عيس . وليس ذلك هو سيق من الرومانسيين .

في دميان . واصفحة مع هذا . فالمشكلة هي مشكلة الادراك
في ذلك لأن أوله حالة النظام والعيش في طاهيا لا يمكنها . وأما ما الحس
الذي من هذا الجلس . الحرية . بحسب ان يراعي الاتان القومسي
مفضل على نظامه المفضي بعد هذه المحس . وذلك هو ما ينبغي إليه
الدمعة من أمانه في ادلوب القوي . على الإنسان
رومانسي . وهذا هو ما ينبغي إليه
محبته . القاطنة إلى الجسد والشعر .

عن فوفه عليا تشتمل عليها مما لم تحصل منكلم هل شي - ١٩ - هذا الكتاب
حين دفع ان يراجه الكثر - ونشره المخطوطات الندية اليهودية في غنى في الميرة
الآنية ٢ - ان اولئك الذين يرفضون ان يحسوا بسوا الا اموال - ١ -

اما قصة هيس التالية فاما توضح المقتضى ما هنا تقدم حلولا "شاكل كبيرة".
الا ان ذلك ليس صحيحاً . وقد كتب هيس هذه القصة "ميفارنا" بعد عودته
من الهند . وهي تعتبر احسن القصص الخمس وأكثرها مثالية . (ولتذكر هنا
ان ستروندبرك لم يستمد عقله الا بعد ان درس القصص اليهودية والمنطوية) .
هل ان هذه القصة تعاني من ذلك النقص فقه الذي تنكروا به وديون . فان
القارىء يشعر بان هيس لم يكن يعرف شيئاً عن عظمة القصة حين بدأ بكتابتها .
يرى في هذه القصة ان سيدارلا هو ابن احد الرعاة . وانه ولد في زمن يوزفا
(بين ٥٦٣ - ٤٨٣ قبل المسيح) . ان حياة الرعاة المشغول تجعله جيداً
فيترك يته شاباً ويؤمن بتطبيق نظام صارم على نفسه ليكتسب سيطرة قوية على
جسده وعقله . لقد ذهب سيدارلا اذى الى الهند مما وجد فيه بطل ياربوس في
مشكلته . انه يشعر بان هذه السيطرة التي يفرضها على نفسه ليست الادراك
النفسي الشدود ، فليس للاصابع الى مواضع كوثاما ما كيانوني الذي ينعوه
اياه (يوزفا) ، ويخرد كوثاما للتأنيب القاتلة بان سيفارنا قد اتم مراحل وان
الطرف في هذه ليس ضرورياً بلوغ الادراك النفسي ، ذلك ان هدف الادراك
النفسي هو اختبار الارادة . ويدعو يوزفا الى طريقة معتقة تعتمد على تحقيق حالة
من التأمل او الاتصال التام من جميع العمليات الشريفة . وما كان هذا رابع
لقد حقق هذا ونفى على كل حيل فيه لا ادراك نفسه من طريق جسده وهوايته
وعشائره وعقله . فانه يعرف ان نفسه صارت الآن مهيئة عن ذلك كله . وانه
بدأ يحقق حريته " كائنات مولود من جديد " .

ويشمل هذا، إلا أنه يشك في أن المادة بهذا صحتها في الأدلة
النفسية (وفي هذا يقول كولمان وآل) - مع كل التأكيد على جزئية داخل
بعضها، ويضيف صلباً ثانياً لتأكيد من أتباع بوفل، فيما يتعلق حجة

الامتدادية ،

فقد يصرح من بعض الأهل بالشرقية على ذلك، فيقولون إن القتل القلبي تسبب به القصة راجع إلى عدم استطاعة هيس أن يعجز جوهر اقتصادية أو كوفية، وأنه كان عليه أن يقرأ رامادريشتا أو انديش للثيني فيلاديا فيحصل على الحقائق عن هذا الطريق، قبل أن بشرع مكانة قصته. قد يكون هذا صحيحاً على أننا لا نملك الآن إلا أن نضل للقصة التي في يدينا على أنها ذات خاتمة، ومعتبرها جزءاً من محاولة هيس لتعريف صياكك الخاصة.

لم يكن جيس صاماً... وذلك ما نلاحظه في عمله الثاني، سيعبر
وولف، التي ظهرت في عام 1928 - والتي يعود إليها أن موضوع السابق
مستخدماً كل ما لديه من الحقائق والتفاصيل مثلاً من جديد. وتعدنا أن
نعتبر هذه القضية مسألة مهمة من جانب جيس في مشكلة الأ.أ. في
أنها أقوى دراسة ظهرت حتى الآن بعد هذه المشكلة.

ان «متن» وولف، هي قصة رجل في منتصف عمره، وهذه مصر ما
يحملها هذه قصة، ذلك لأن الروايات، عالم ما تجد معه في رتبة التناظم، وليس
مبدأ الحياة، لاسراره الشديد هل أهمية الشيايب. (ويمنع ويمنع بروك
موضحاً هل ذلك) لما شغل وولف غايه اترك عدم أهمية الشيايب. ويشعر
فيس أنه امين جيد في هذه البيئات، في بكسها «عازي العالم» متحد
في ذلك «أما أنت» هو «متن» وولف.

[illegible]

* * * قبل سنكلير لم يكن في شريط العمر مثله ، ولم نعد حالاته
التي حدث له ، وانما صار غير قابل . والامر الحقة .

رواة البيهقيات يومئذ يوم نحو ذبي من أيامه، معروف انه غير الإله، ثم
بعد ذلك يتمنى في هزله، ويأكل. ثم يتعامل قد عساه، ثم
ثم إذا أطلق عليه القيل بدأ يشعر مشهور من يره أن غري
من العائلة. ان أسوأ ما يضيقه هو أنه لا يستطيع أن يجد ما
الرفقة التي يعتز فيه غداً ستأكل، ويخشى بأن عليه أن يكون
حالة لأنها تحقق المثل الأعلى في الانقطاع والوحدة أنه قدس بأن
بعض ما، ولكن ما هو؟ ويذهب إلى حله المأقود. غلب: الإله
من اصنام وحشوات ببعض المراسم، ومجاهد تحت نفسه في الطبع الذي
المعقول عليه مابقاً

استقر له اعطائي صخلته معشر .. صخلته حتى بعيداً كغفلة صابرته ..
م ... عارفاً وراة ذبيلة واجبة . ولذكريت نزل ما
قدكرت وتواروت والكواكبه . واسنبر ذلك حاحه
... كمن سلاطه محكوم الانفس . (٩)

[illegible]

الإنسان هو اتفاق يودجوازي ، (١١٤)

ليس ذلك الإنسان مخلوقاً كاملاً . وإنما هو تحد تروح ، انه سبحانه بعيد
يخشى من أكثر من كونه مرغوباً ، لأن الطريق الموصلة إليه ليست مهيمة إلا في
جزء صغير منها . أنها مخلوقة بالقلب والكبرياء والذوق المصروع . وان ذلك
الجزء الصغير المهيمة هو مشقة عهده اليوم وتحد ذراعه غداه . (١١٥)
يعلم متيقن وولف جيداً لماذا هو شفي متعب مزعج . انه يطمع بذلك
لانه لن يدرك ما هو عهده ليتبعه بكل كيانه

« انه يقرر أن ينسى ان تحركه اليأس بالفي ونسكه اليأس بالحياة
بطلان الطريقة الوحيدة الاكيدة نحو الموت الطائفة » . (١١٦)

ويعرف هاجر انه حتى اذا اشهر اللاهوتي كيمبري عالمي ، فان ذلك راجع
الى مقدرة الطبيعة على التسليم وسعانة الطلاب . وان عدم اكتماله لقتل
الهورجوازي ، ولصبره على تلك الوحدة المتطرفة التي تنفي صفة البشرية على
حيث العالم الهورجوازي . وتجعله نوعاً من الاكبر في اريد حول اوتيك الذين
يقاسون من اجل ان يصبحوا بشرًا ، تلك الوحدة التي تشبه وحدة المسيح
مخلوقاً على صلبه . (١١٧)

« لقد اكتشف ستيفن وولف هذا انه ما يزال في بداية الطريق
المطلوبة نحو هذا التوافق المثالي كلاً ، ان العودة الى الطبيعة ثانية طريق
مزينة تقود الى لا مكان . انها تقود الى الضباب واليأس . كل شيء مخلوق .
حتى ابسط الأشياء ، هو في اساسه خاطيء متعدد . ان الطريق الى الله ،
الى اللا مخلوق ، الى الله ، تقود باستمرار ، لا الى الخلف . الى الخلف و
الطفل ، وانما ابعد نحو الطبيعة . نحن نحو الحياة الانسانية وبعبارة
ان نقوم بتضييق عالمك وتبسيط روحك ، ستلتحق العالم كله في وحدتك . هما
كذلك ذلك . (١١٨)

ولما التحركت الأعيرة في هذه المقالة فلنا تذكرنا بحكمة ذلك من ، ان
مرياته دوينيس ، الذي يستطيع من تصدع الناحية الى واحد فله

الانسانية ككل .

« لو كان بين الخالدين - لو كان قد بلغ ذلك الهدف الذي يلوح ان
هذه الطريق الطبيعية تؤدي اليه - فاشد عهده لو نظر الى الخلف . الى
كل ذلك الضباب والاياب . كل ذلك التردد والتعرج والعودة التي تنصف
بها الناس أي مزيج من التشجيع والطمع ، الاصف والبطء ، سبيل في
انسانه فلما السنين وولف ١٩ ، (١١٩)

لما تشير هذه لقاطع الى طريق الخلاص الذي يبحث عنه اللاهوتي . انه
جسم على هذه اللحظات شوة ، هذه اللحظات التي يترك فيها اتجاهه وعهده ،
« انه في مثل هذه اللحظات يقوم بوضع التواعد التي تساعد في التمسك
به هذه رغم انه يضع الاتجاه . وليس من الضروري أن تضيف الى هذه التواعد
اعايد البشر الآخرين أيضاً . لأن أهدافهم لا تختلف في شيء عن هدفه .

تعد أيضاً ان هذه المقالة تلقي بعض الضوء على ما قصده جيس في قصة
« سيات » . انه سيدارنا تار ضد النظام الذي ، صديق العالم وبسيط
الروح . ولكنه حين خلقه عنه مسرح الراحب . مثل في أن ، يأخذ العالم كله
في « » . وانما بالمعكسر ، ضيق روحه لشعني على عشيقه وبيت فحسب .
في الجهود التي يبذل في « توسيع الروح » . يجب أن يكون خاصصاً لنظام
في « » . تحقيق شيء بالانقطاع عن الإرادة . كل ذلك يعرفه ستيفن
وولف الذي جيداً . الا أنه يفضل ان لا يعرفه .

« » من شعور أن تكون مقالة عن ستيفر وولف ، حاجة الكتاب ،
« » من الضمائم لثمة الأول ولم يعمل هاري شيئا أكثر
« » . انهم محبوبون تعظيماً عقلياً . وكان عليه أن يحامي التحارب . التي
يعمل حبله . « » . له اليه . وعليه فلم يتخلى من « قصة التأريج
الشخصي » . في هذه القصة أكثر من الثلث

« » من غرامه انما ، وحسن » . في
« » . ان ذلك هو « » . ان يكون

هذه أقدم مرة يعرض فيها إلى مثل هذا الحق ، والأماهه مبشر في المرة القديمة قبل أن يبلغ هذا الحد ، ويتخطى هذه العقبة ، فيترجم قليلا ، ويترجم . مثل المقالة كما يراها القارئ أقوى نواحي الكتاب التحليلية . إلا أنه ما يزال أمامه شيء واجب ثم عليه أن يبرهن كيف سيحل مشغله وكيف أن بطل الفكرة الثانية ويتخطى عن فكرة مثل نفسه ، فعمل ذلك في حلقه من الحواشي غير محتمل الوقوع . كان الرجل الذي يحمل المناقشة قد ذكر اسم لندون ، وذهب هاترا إلى ذلك الفلتحة حيث يلتقي بفناء ، تعني هيرمين فأنه يذهب وتعلمه الرقص وتعلمه يستمع إلى موسيقى الجاز وتقدم إلى أسد . هي . وإن يابلو التي توسعته الشمس ، وإلى ماريا . الفتاة التي يتميز بجمالها بالاناء ، الحبسة الشفافة ، والتي يجدها في فراشه حين يعود إلى بيته ذات ليلة . ويخرج هاترا خلال الجوارب حسنة كمثل التي يمر بها سبارتا . ويستعيد هاترا كل ما فيه وهو في الفراش مع ماريا . فيجدها حائلا بالمعالي (الأمر الذي لم يستطع أن يفعله ، وكان كائن) .

وكانت قلبي عن الحفان بغير لحظات وحرقت في جس من العطف والفرق
حي استقلت كم كان أرق حباتي ملياً ، وكم كانت روح شيعتي وولفت منتبة
مكتنفة بالكرامك العالية الخالدة . كانت حباتي قد أصبحت أيا متصلاً . بعد
أن جاءت في تلك المشاهدات المبررة التي ليس فيها الا التقاء ، والتي لم تعد الا ان
بذل كل شيء . بل انها قامت في الاشياء ، ولم تقل عن سريرة العظم الذي يمنه
عليها الاشياء الانسانية ، على انها خلقت ثروات ، ثروات يمكن ان يصر بها
لقد كانت حياة فيلة : فهم ما كان فيها من متعة . ولكن ما كان من سرور
الطريق الصغير الى الموت . لقد كان لب حياتي وجوهه نبيذ روح حدي
عله الحياة من مصدر علوي . ولكنها لم تخمد على السحاب ولا . . .
انما اعتصمت على الكواكب . . . (١٧)

عكسنا أي ضمير هذه التجربة جوهر الرومانسية الأصلي لمجرد من افشله
المصرية والموسيقى للعلم المادى ، وقد أصبحت نوعاً من التأكيد الذي ولا
شك ، لسوء الحظ ، في أنه هناك صعوبة كبرى في فصلها عن التشتت

شوطاً بعيداً من أجل الحل النهائي ، ومرت حاله . في مشهد الحلق الأخير - تمن
النظر في الكلمات التالية (تات تمام آسي) ، التي تعني (أنك أنت) والتي
هي إحدى قواعد اليوانيشادين . ونفسها بل : يكشف الإنسان الطبيعة
في قلب وجوده الخاص . ويعلم حاله بفلت بغاية . كما أنه الطريق التي
نفوذ من شقاء الاحتمال إلى هذا المركز الحادي . هي اتباع نظام معين من
الزهد والوحدة الشاملة ، وهو يرينا أدراكه لهذا في « مقالة عن ستيفن
وولف » . إلا أنه يعترف بأن ذلك صعب جداً عليه . ويرينا في نهاية
القصيدة أنه يوجد بعض الشجاعة الضرورية لمواجهة ذلك .

ونحن ثلاثة ارباع القصة بدراسة كولدعائد وجهه : للكثيرات ، ونحوه .
والصوابات التي تعرضه ، ويصبح كولدعائد ثماناً يتبع طريقة سيكل ايجلو في
التأكد على الحياة ، ويرى الوباء ينشر ويحدد الثامن حصصاً ، ويعد ثقله الى

١١ - حين يرى صورة مرسومة على جدار كنيسة مهجورة ، تغفل رغبة
الذي تبدعها في كثير من تعطولات القرون الوسطى ، والتي غبى عنها
ما آل عليه نردفي مسح الرهبان وملابس التجار والشحاذين والمساكين ،
التي بعد بكتفها الموت جميعاً . ويترك هذه الصورة متراكماً انه : حين
أول وسط الحياة ، فأننا في الموت ، ويعود كولشمانه الى البيت .

[illegible]

1. $\frac{1}{2} \times \frac{1}{2} = \frac{1}{4}$ (Probability of getting two heads)
 2. $\frac{1}{2} \times \frac{1}{2} = \frac{1}{4}$ (Probability of getting two tails)
 3. $\frac{1}{2} \times \frac{1}{2} = \frac{1}{4}$ (Probability of getting one head and one tail)
 4. $\frac{1}{2} \times \frac{1}{2} = \frac{1}{4}$ (Probability of getting one tail and one head)

من الشباب الذين يوجهون الحياة مثل ابطال هيس بالسؤال التالي : كيف يمكن ان نعيش هذه الحياة ليحصلوا منها كل اعظم ادراك نفسي ؟
ان رودريك هيس ، بطل اول قصته الخاطئة ، تحت يشعر بالضييق والازعاج في مدينته الصغيرة وعطيت بيت . يائس رجلاً يحزن في روما ويكفبه مؤونة الانبياء في عمل مرهق في إحدى الدوائر من اجل تحصيل رزقه . ويتورط رودريك في غرام نرس ، فيفقد مثاليته وموهبته . ويرينا جيمس كيف ان كل آمال رودريك في الحياة تبخر حالاً ينغم فيها .

اما في « صورة صيدة » فبرينا قصة شابة تواجه الحياة بلذات السؤال ايضاً . وبدفع نجاحها الكبير في المجتمع الانكليزي احد التورادات الى طلب يدها ، الا انها ترفضه ، لأنها تشعر بأن امكانيات الحياة المشرقة اوسع من ان تستحق التطبيق الى هذا الحد الآن . الا ان هذه الامكانيات تنتهي بحب فزواج فاشل يتركها شاعرة بشبح آمال مستقبلها . كما في حالة رودريك هيس ، ان الحياة قد ظلمت عليها هي الاخرى ، وكان سبب ذلك عدم استطاعتها ان تعيش الحياة على تلك الشدة بصورة دائمة . ويشعر جيمس على قدر ابطاله . كلما كان الأمر غمماً بمشاكل الامتناع ، على انه يعود في السرايا التالية من حياته الى مشكله الادراك النفسي ، فيضع كل لسان لامبرت سترير . بطل قصة « الفراءه واللب » هو في منتصف العمر . القول الآتي : « حش .. حش كل ما استطعت » فانه لمي الحظ ان لا تفعل ذلك . « الا ان محاولة سترير نفسه التي ينفذ (يتأخذ) العالم في روعه » فشل فشلاً حزيناً . انه يأتي الى باريس من إحدى المدن الصغيرة في اميركا ليجد شابة غامضة لا يريد العودة الى اميركا لأنه يحب باريس . ولا يجد سترير نفسه في باريس حتى يدرك كم كانت عذارته عظيمة بقصاته العمر في ذلك المحيط الضيق . فيصبح الشاب بدمع العودة الآتي من من الأسباب ويبدو بأنه هو نفسه صينى في باريس . وينتهي به تيار ادراكه نفسه الى ان يترك حياته الوظيفية السابقة التي خلفها في اميركا وينضم لسنبل غير مضمون . وهنا يتركه جيمس .

واخيراً نجد ان الفكرة التي تتركز عليها قصة « أخته الحماة » هي عن فتاة شابة « تمشق الحياة » . الا انها تعلم انها لن تعيش اكثر من سنة شهود اخرى ، مما يجعل المشكلة اكثر تركيزاً . ويشعر بإمكانية ظهور حل ما . الا ان ما يحدث بالفعل هو ان صديق ميكي آليل وحييها يفرها ويتركها لتبوء شاعرة بأن الحياة والموت قد دمجاها معاً . « واعتبراً كرهت الموت » . وكانت على استعداد لتفعل اي شيء في سبيل ان تعيش . « وهكذا نترك مشكلة الامتناع ومشكلة الادراك النفسي من غير حل . ويمكننا تلخيص مساهمة هنري جيمس في هذه المشكلة بكلمات ايلروي فليكر « ان الاموات يعرفون شيئاً واحداً فقط : هو انه من الافضل ان يكون الانسان حياً . »

ماتحت من الحقيقة، إلا أن هناك عنصر آي لورنس لا يفيد في همنغواي، ذلك هو ما لديه من عقيدة حينة توجه طريقته في رؤية الأشياء. ان صورة الصحراء وعنفها، واحتقارها للجسد يتبدلان معاً في كفتين متضادتين، أما العقيدة التي توافق بينها فإنها الاعتقاد بأن هدف الحياة هو غلبة الروح على المادة. ان العرب يملكون وسيلة الاقتصاد الفعيلة: «إذا كانوا بلا عقيدة، سهل أحلهم إلى أركان الأرض الأربعة، رغم أنهم يسمون أنك لتأخذهم إلى الجنة، وذلك بأراضيهم ثروات الفلاس وملاحقها، ولكنهم ما يكادون يرون في الطريق نياً بعمل فكرة ما. لا مثلك بيتاً ينال فيه ولا طعام إلا ما يقدمه إليه الكرام والطوبى، حتى يتركوا إلى ثرواتهم وملاذهم من أجل وجهه...» (٥).

ان ما يلوح بصورة واضحة جداً في «أعمدة الحكمة السبعة» هو أن لورنس لا يصرح به جديداً. لقد رفع الموجة كما لو كان يبأ يدعو إلى فكرة ما، أما هو في قوة الإنسان الذي يمكن أن تمتلكه فكرة ما، يقوم بإضافتها إلى الآخر... انه بعيد دالماً قوله إن حرب العربي كانت حرب تبشر، لا حرب معادية. أما الفترات التي عانى فيها الشفاء والخللان، فإنها راحية إلى حفيظة... على هي أنه لا يستطيع أن يؤمن بالفكرة التي يدعو إليها.

لكن كنت محملاً في مشورتي للعرب، لكنك نصحتهم بالعودة إلى... والتخلي عن المعاداة لأنهم من أجل مثل هذا...

هل أنكرهم من هذا الاعتقاد، فالروح القيادية والشيء أوجت لورنس... كان يحتاج إليه من تعجب نفسي، انه يعترف في مكان آخر قائلاً:

«كان كل ما طمعت إليه طيلة حياتي هو ان تكون لي القوة على العصر العصري على شكل حالي»

وهو هذه الحرب اندأناً نفسه، أما كان الأمر مع كيريز، في الاوقات التي «عمل بها أمراً واحداً، الأمر الوحيد، وقد أتاح له ذلك ان يرى ما هو...» (٦) «الملك والخطوط» أما هو على التحليل النفسي، فهي حد جديد انه لا يستطيع ان يرى نفسه وحده دخل، إلا انه يستطيع ان يلاحظ صورة... يخرج من

ويوضح تعاملات لورنس مع هؤلاء الاتيابه في كتابه هذا أشد الوضوح، إذ تصبح الصحراء لديه رمزاً للقائه، ورمزاً للهروب من كل ما هو بشري... وان بلوي الصحراء الذي يولد وينمو فيها، قد احتضن هذا الصراخ بكل روحه، هذا الصراخ الذي لا يحتمله حتى المتطوعون أنفسهم، أما الله في ذلك فقدرته أكثر منه واضحا، ذلك انه يجد نفسه في الصحراء حراً حرية لا شك فيها. ان هذه العقيدة الصحراوية مستجيبة في المدن، وإنما في وقت واحد أشد غربة وبساطة واستجابة للحواس من ان يؤمن بها كائن من كان (٧).

وينتهي الفصل الخاص بالدين بتأكيد هام على قواعد دينه لورنس:

«كانوا قوم نجوم، المجرة أقوى دوافعهم إلى الشجاعة واللامتناحية والتنوع. أما النهاية، فهي اللاشيء». لقد كانوا كالماء تنيراً، وكما ستكون الغنية قهراً، فإنها قد تكون لهم. وكثيراً ما انطلق، يرتطمون بساحل الوجود البشري، مثل حجر الحياة، وبموجات متتابعة... وقد تطلعت كل موجة من موجاتهم على ذلك الساحل، كما هي الحال مع أمواج البحر، مؤثرة تأثيراً بسيطاً في مسطوره التي تهاوى عليها... على أنه سيأتي يوم، بعد عصور طويلة، حين يطننون لا بمنهم شيء إلى ذلك المكان، حيث كانت العلم المادي موجوداً يوماً ما. ان ذلك سيقفل الله على سطح الماء... لقد رصت موجة واحدة من هذه الأمواج (لا آخر موجة) وأطلقها أمام أبناس فكرة ما، حتى بلغت ذروتها عليها تهاوت. كان سقوطها على دمشق! (٨).

وهناك مشاهد في الكتاب يصف فيها لورنس الضعف والفساد، ويلوح وكأنه يخلص إلى نتائج همنغواي نفسها، أن البشر يموتون كالحشرات. لا كالبشر. إلى هناك مقاطع تلوح فيها عزلة الحامية من أي كون من ألوان الماطقة، نوعاً من القسوة، نوعاً مبرعاً من اللذة الساذجة، وذلك ما لا يمكن التوفيق به وبين الضرورة التي يرسمها له أسدغازه. ان هذه المقاطع هي التي تزودنا بأوضح الأمثلة على حلول لورنس. إن عركه هذه تشبه عزلة همنغواي، لأنها تعبر عن رغبة في

مختلف الاجزاء ، ولا نعلم ان كتاب «أخيلة للحكمة السبعة» يتضمن أحد هذه الاجزاء . أما أهم ميزاته فهي عدم استطاعته ان يتوقف عن التفكير ، فالتفكير يسجنه ، والله لشقاء لا نهاية له ، لانه يعرف معنى الحرية ، من تجربة كهذه : «بدأن في التفكير للتفكير يوطئ الحواس مع الفسوس ، في حين يظل العقل ، الذي أوجبه تفكير الليل ، قائماً . وتتفنى ساعة أو ساعتان في مثل هذا الصياح ، تصالح فيها الأصوات والظهور والألوان الانسان واحدة واحدة ، وبصورة مباشرة ، لا يعيقها التفكير ولا يسلجها . لقد لاحظت في تلك الاشباه وكأنها تتسع بوجوده بكني ليحصلها قائمة بذاتها .. ولم يعد تنقص النهاية في الخليفة يبدو مقلداً بالمرء ..» (٦)

ويقول لورنس حين يسأله ليهل أن يكون مستشاراً له : «قلت اني أكره المسؤولية . وانني في حياتي كلها كنت أرى السعادة في الاشياء أكثر مما أراها في الأشخاص . وفي الأفكار أكثر مما في الالباء ..» (٧) ويؤكد كل من عمله على هذا أيضاً ، فيقول ي . م . فورستر : «وهم أنني كنت صريحاً معه ، فاني لم أجده صريحاً معي قط . إلا انني لم أعمل عليه لرضاه أن يكون كذلك . ان هذا يفسر لنا لماذا كان قائداً عظيماً فرجان . كان يستطيع أن يرفض الرد . دون أن يقطع أسباب المحبة .» (٨) على أن لورنس لم يكن في جوهره مولعاً بالبشر :

«لقد نجب المخلوقات العادية ، لانا نقتل قتلنا في الحصول على الحقيقة الحقيقية . فإذا فرضوا أنفسهم على كرهتهم . ان وضع يدي على شيء حي . يعتبر تشويهاً له .. ولهذا فانهم يعملونني لارتد إذا لموني أو أيدوا اصحاباً أكثر من السلازم بي .. ولقد كنت أميل إلى عكس ذلك لولا عنادي .. ولم أتح على نفسي يوماً كما كنت أميل إذا رأيت جندياً مع فتاة ، أو رجلاً بداعب كلباً .. لقد ددت أن أكون سطحياً .. كاملاً ، في حين كان يبيدني سجانني دائماً ..» (٩) ويتحدث عن العرب فيقول :

«أمامي سلسلة من المسؤوليات والأوامر التي تثير الإشماع في طبعي التي

نعم ما أفكر في . لقد شعرت بالضعف ، حين وجدت أن علي أن أعمل على رجل مل . ذلك لأن مقاييس قيمي كانت رد فعل ارادي تقايسهم ، وقد احتقرت مساعدتهم . يا طائلاً جاءت بروحي لأقل مما نعتك ، ذلك لأن حوامي المتاملة التي لا تشبه حواس معظم البشر ، في حاجة إلى الاتصال المباشر لتتفقد التحسس .» (١٠) انه لما ينقل إلى العرب ميزاته ، واصفاً اياهم بحب الخواء مثله . أو أنه يحمم ذلك حتى يشمل نفسه :

«عن عروب هذا العصر المقد ، الرهبان في زقزاقات ايماننا ..» (١١) الا ان لورنس وحده كان «راهباً في زقزاة جسده» وكان الانسان الذي لم يستطع أن يحقق المباشرة في التحسس لانه لم يستطع أن يتوقف عن التفكير . لقد كان «أنبوباً تسرب منه الحياة ..»

«لقد كان واجباً صعباً علي أن أفوق بين الشعور والعمل ..»

«الحالم ، بالنسبة هذا الشخص . مكان لا يكون له بدرجة لا تصدق . لا شيء .» «من الاحساس بالمرؤى او المخلوقات التي تستطيع ان تحول المتابعه عن البشر وغوالبهم . أما شريحة ذلك فهي جهد عقلي لا نهاية له :

«لم يعني الا القصف من الانتحار العقلي - الذي يشغلني في واجبه طويلاً . حتى هذه الكاوية المثلثة في ذهني : لقد كونت افكاراً عن الأشخاص الآخرين . إلا انني لم أخلق شيئاً خاصاً بي ، ربما لانني لا أستطيع ان احسب حتى الاشياء ..» (١٢)

هذا الشعور الذي يشبه لورنس ضد الخلق يشبه في طبيعته شعور أوليفر «الجاهلون والمخدوعون والسطحيون هم السعداء وحدهم بيننا» ، أو اليهم المخلوقات بينهم . والله لكثرة الجنس البشري ، «للفروغاء الأثرارين» «مطبخ المشايخ» (١٣)

«ها نرى ان لورنس يجمع بين المزيين الرئيسيتين في دوكاننا ولامتسي ..» «كان ..» «انسان قد قال : «كنت مثل الآخرين» . وكنت اقول مثلهم أو الشبهت أحدهم . وان تلك البقعة البيضاء الموجودة هناك هي أحد طيور

النورس ، الا انني لم اكن اشعر ان ذلك الطائر كان موجوداً ، وان عدم
تمكن لورنس من الحرب من طبعته التي تحبها افكاره ، ولدت فيه ذلك
التألم نفسه ، فكل شيء هو غير حقيقي . وانه مثل لامتي باربوس ،
لا يستطيع ان يكون مجيداً في المجتمع لأنه يرى اكثر وأعني مما يجب . وقد
التحت حرب الصحراء لورنس مطلقاً يرى من الصواب الانساني ، كالتعب التي
كان يتلخص منه بطل باربوس في عرقته في الحقيقة . وكانت تلك الحرب
ضرورية له ، كما كانت ضرورية للامني باربوس ، لان العنف قلبي في
تلك الحرب التي عاشها في الحرب لم يدع مجالاً في ذهنه لصداقة
الحضارة التي تركز على التسليم والاضيق الاجتماعي . لقد بدد العنف تلك
اللاحيثية ، على انه مما كان الامر . فانه لم يكن ليصل الى اتفاق مع
التسليم الاجتماعي . انه يصف افئدة لاحدى القبائل التي رفضت ان تشترك
مع الفية مع احدى الفضلات العسكرية :

«أوضحنا ضم . . كيف ان الحياة بين الجماعة هي حياة حية فقط ، نعيش
وتحب وهي على منتهى ما تكون عليه . ولا يمكن ان تكون هناك اماكن راحة
للنوار ، ولا صعب من لبطنة يوزع عليهم . ان روح الثورة متدنية ، وعلى
الآثار ان نحمل ان نمر ما نستطيع حوائص الاحياء . وان يستندم كل
خطوة نخطوها في هذا السيل لئلا نقتار جديده : عاطفة مدحرة حرمان
أعني ، انك اشد . ان الحسن لا يتقدم ولا يتأخر . وما العاطفة المحسوسة
الا عاطفة مدحرة ، وتجربة ميتة دفناها بالتعب عنها .

ان يكون الانسان من الصحراء يعني ، كما كانوا يطوفون . ان يرتبط حرب
لانهاية فامع عند ليس من هذا العالم ، ليس من هذه الحياة . ولا مر اي شيء .
آخراً . انه الأمل نفسه ، وما أفضل الا الحرية التي يقسمها الله في البشر . وقد
تألمس هذه الحرية بمجرد رفضنا ان نقبل ما في استطاعتنا فعله . واذن ذلك نفس
بأن الحياة نفسها . وانما دحرناها لاننا جردناها من قيمتها . اما الموت فهو
لحسن أعمالنا ، وتكون المخلص حراً يمكننا ان نقوم به ، في المتاع الاجتماعي .
فليس ، حين نرى هذين القطبين ، الموت والحياة ، هو الامتناق والانهيكة

انني كنت متشبع بوجهها من هذا الانهالك (الأساس الحية) في كل شيء . هذا
المرحى بتركة ، وان التمسك بالامتناق ، وهكذا يزيد من لا انجازنا . وقد
كانت البعض من الذين لا يتوفر جميع شيء . من الطيبة الخلاقة ، الذين
يعتقدونهم بالخطاف والجندي ، الا ان فعاليات امثال هؤلاء ستكون مادية
فقط . في حين اننا لكي ليدفع الاشياء الامادية ، الاشياء المساعدة في الروح
في الحسد ، يجب علينا ان نكون عبيدين على وقتنا . وان لا نهلك في
مصادم الحسد . ما دامت الروح حرة ، في معظم البشر ، أطول مما تفعل
الحواس . وما دام الانسان لم يربح شيئاً من عبوديته للجسد (١٤)
«نحن ان نأخذ في بعثة هذه الجارات . الا انها نوبنا لورنس منطوقاً
في ترجمته الاسبوية للعالم ، قروح الحرية الحديثة . ولاسلط مثل ذلك لدى
من دولت أيضاً . ان انه بلغ باحتقاره للسلل البورجوازي الإجمالي حد
الاستاء في عي العالم .

«لورنس نتائج شيعن دولف حله . أي اكتشاف حاله بأنه
لا مكان . حين من الأنا فحسب . وانما لديه مئات من الآتيا المتضاربة :
«حين احد نفسي الآن متفهماً ان اجزاء . . فلما جسدني المهزوك فانه
«جوداً حياره دول خطف . لأن انقيس العديدة تقول انه ليس هناك
«دولتي التفكير فيه شكل مرود . . . كانت تلك الانفس اجزائي
«فقط . . . وقد بلغ . تيليسوس . هذا امر يمثل حله التجوية فحزاً الروح
«دول كان بلغ في ذلك متفهم الانهالك . . نراي عرقاً كاملة من
«دول . . . وانشاله وشاعره تصطب حول و كأنها مخلوقات متعلقة بظلمة
«الذين ان الشيء الذي اضاعها الحياة وهو غير بينها . . (١٥)

«هذه الظلمة التي يحل بها لورنس في احبال الألم الجسدي تعتبر الاساس
«دول . . ان عقليته الصادقة لم تستطع ان تتوكل معنى الحرية
«الاساسية ان لم تصاحبها الحرية الجسدية أيضاً . اما الألم فهو الضمير الذي لا يقبل
«الامر ولكن يضر . معنى الحرية الاخلاقية . الا ان جيلينته انضمت اكثر حين

الآن بعد ان مفهوم يقوم بناء الجسد يصل الى لعل أهدافه بتحقيق اكمل آية
في مفهوم صرفة يومه وميلك ، أما الفكرة الثانية فانها تقوم
في تنظيم للمعروض يؤدي الى تذب الخواص ايضا .

... لا تلتزم أصولاً صلياً كاملاً . ويلاحظ
... لم يكلف نفسه مؤونة التحليل المسمى . بل ان هذا التصديق .
... التصديق . فذلك ان التصديق بين القديس الذي يرى الوجود كله مفهوماً .
... الذي يسميه بصورة ثامة من الوجود . ولو كان لورنس قد حل ذلك
... سهل علينا فهم السنوات الخمس عشرة الأخيرة من حياته .
... أنه يتخلل من التحول العظمي . اذا انضم الى سلاح الطيراني .
... له صورة اقل صعوبة . الا ان لورنس تصد ان يفقد مشكلة
... الاعتقاد بأنه يمتلك نفساً ليدركها . وقال الحقيقة التي
... التي أستطيع ان اراها وأسميها . (١٨) خبر أنه لم تكن
... كيفية اكتشاف النفس التي لم يكرهها . النفس التي أدركها
... الحواس مع انفسه . في حين يظل
... كان لورنس يمتلك كل القوى التي تؤهله لينال عوالات
... وقد مثل لأنه لم يكن لديه هدف يوجه ارادته
... أيضاً ان عدم استطاعته تحليل النوايا الغامضة
... وتبسيط ضوء الإدراك عليها .

في عام ١٩٤٥، كان يتركز الاهتمام بالبحر في فرنسا على دراسة البحر المتوسط، والذي كان لورنس في رسائله المؤرخة ٧ يشهد
على أنها "التي لا يمكن دليلاً على أن لورنس رأى الصلابة
في عام ١٩٤٥، كان يتركز الاهتمام بالبحر في فرنسا على دراسة البحر المتوسط، والذي كان لورنس في رسائله المؤرخة ٧ يشهد

حل ص ١٠٠ ج ١ شرح سورة فاتحة الكتاب ما كتبه في ١٠ جمادى الأولى ١٢٠٠

وجد انه غير قادر على تحمل التطرف في الآلم الجسدي ، وكان في ذلك حين
 خربه الجنود الأتراك ضرباً مبرحاً ، إذ قور لا يصرح مطلقاً ، إلا أن الآلم
 قلب على إرادته . غير أن النتائج التي يحصل لفيها تشير إلى الحرية الاعتلاقية النهائية .
 « غالباً ما كنا نرى - خلال ثورتنا - أطواراً يقولون بأنفسهم أو يشعرون إلى
 أقصى نهايات الاحتيال ، إلا أننا لم نلاحظ لديهم ما يدل على الانقياد الجسدي . إن
 الانقياد إنما ينجم من ضعف لاعتقالاتي بنظر الجسد ، هذا الجسد الذي إذا ترك
 وحده دون أن تخضع عناصره من الداخل ، فإنه لا يستطيع أن يسيطر على الإرادة .
 كما ونحن نلاحظ صيوات جسدنا ، لا نحس بأجسادنا ونحن عرفنا ، فإذا ثلاثي هذا
 الانقسام في المناقضات ، ورأينا أجسادنا ، كانت رؤيتنا لها تصنف بالعدم ، بمعنى
 اعتقادي . ولها بلغت أعمل أهدافها ، لا كآلات لسيرها في الروح ، وإنما لأنها بتوسطها
 وانحلالها لا تفعل أكثر من بث الخصوبة في أرض صالحة للمزكاة . » (١٦)
 الإرادة مطلقاً ، إلا أنها في نظر شوبنهاور لا تستطيع أن تخافس حربيتها
 النهائية إلا بالنفي . غير أن الاعتقاد بامحيتها الجوهرية يحطينا محتاج جسد
 لودنس ، فإنه لم يتفصح عن تجربة قوة إرادته .

٥ أن مثل هذا التصور - الصيام عن الطعام وقنوم - هو نتيجة حواس
من البهامة - قد يعتبر الاستخدام المهيمن درساً للرجولة - وقد جعل من شخصاً
مناسباً بصورة هزيمة للعمل الذي تقوم به . الا انني اكتسب هذا التصور بانتميني
والمحاولة .. وقد بذلت في ذلك جهداً . بعكس الغرب . وكان ما حصلت عليه
مكتوبين لذلك هو هذه الطاقة العامة الموجودة في اعماقي . ان ارادته ينهار
لعل انهار اراقتي . وهذا ما يعطيني . تقارني بهم . الفرح قوياً صلاتاً . (١٧)
ويلوح لنا شيء من الصلابة بين المتعلمين للباحثين . فانه عبارة - قد يعتبر
لاستخدام المهيمن درساً للرجولة . التي يفتنهم فوراً من امرسون . تب بصورة
تلقية عبرته الاول التي يقوله فيها . ان حواسه بحاجة الى الاصل المباشر لتسقط
بجسده . اذ زعمه فهو محاولة . كما يقول بيليك . لتطبيع أبواب الجسم .
لأن هذا لا يتطابق مع المتعلم الاول الذي يتكرر الجهد الزائد تماماً . فان الحكمه

متابها بمصر. فمجدبة لثقل الذائع الذي أصاب نخسكي وبينه وبين مصر
وفد قال متبعين دولف في لا طر في أثر الخلف ... وأما ان نازره ، أهد في
الخطية ، أمض في الحياة الآتية . . إلا أن اللاعني غلباً ما يقبل إلى مرحلة
من الجهد لا يستطيع أن يتعداها . مرحلة تكوّن فيها معتقدات أكثر من اللازم
وعنا لا يعود اللاعني يطلب شيئاً غير الراحة . وقد جعل لورنس إلى هذه
المرحلة . بل إن تيريد متبعين دولف بدلائل ليلوح تنديلاً في حياة لورنس
أكثر من اتعاده العقلي بالمضامين إلى صلاح الطريق ، أولاً أن لورنس ظل يملك
بعض الأشياء التي كان باستطاعتها أن تثير انارة بالمرحة ، بالرغم من طبيعته
التي حوتها أفكاره . وكانت السعادة إحدى تلك الأشياء ، بل إن هذه
السعادة هي التي فلتت حين أدار قلبه دواجن البخاوية بتداعي دهر خلاص
كلانا على قمة التل . اصطدم بأحد الحواجز بسرعة ٧٠ ميلاً في الساعة .
فقد زدونا كتاب لورنس معهم جديدة عن مشاكل اللاعني .
وممكننا رؤية هذه الماهم بوضوح باستعراض الصفحات السابقة ثانية ونحيز
لورنس الميزات التي تلوح في اللاعنين الذين بعثهم ماضياً . كما أنما يستطيع
أن نجد لديه المراحل التي رأينا بعض أولئك اللاعنين في طريقهم إليها
لستطيع أن نرى ، في حالة بارويوس ، أن مشكلة اللاعني هي مشكلة ، نذكر
التصير الثاني ، وهذا ينبر السؤال التالي : هل هي مشكلة اللاعني مشكلة
اجتماعية ؟ أمأ ويلز ضد فردا في كرمه الذي يقدم لنا فيه مضمر لا ينبغي
إلى روكاتنان ، حيث ولينا أن المشكلة في الواقع هي مشكلة ميسيريك .
كامو ومضنواي فقد أكلنا على طيبة المشكلة العملية . أنها مشكلة حية ، مشكلة
المخالف أو الأسلوب الذي يجب أن نعاش به الحياة . أن اللاعني هنا قد
الشخص الذي لا يستطيع أن يقبل الحياة كما هي . والذي لا يستطيع أن يصر
وجوده أو وجود أي فرد آخر ضرورياً . أنه يرى أعين وأكبر من حب
وهكذا فالمشكلة ما تزال مشكلة نصير ذاتي .

والتي هي عبارة عن مجموعة من النظم التي تسمى بالنظم الفرعية ، والتي بدورها تتكون من نظم فرعية أصغر ، وهكذا حتى يتم الوصول إلى النظام الأساسي الذي هو النظام الكلي .

1. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} \left(\frac{1}{2} \frac{d^2 x}{dt^2} \right) = \frac{1}{2} \frac{d^3 x}{dt^3}$
 2. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} \left(\frac{1}{2} \frac{d^2 x}{dt^2} \right) = \frac{1}{2} \frac{d^3 x}{dt^3}$
 3. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} \left(\frac{1}{2} \frac{d^2 x}{dt^2} \right) = \frac{1}{2} \frac{d^3 x}{dt^3}$
 4. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} \left(\frac{1}{2} \frac{d^2 x}{dt^2} \right) = \frac{1}{2} \frac{d^3 x}{dt^3}$
 5. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} \left(\frac{1}{2} \frac{d^2 x}{dt^2} \right) = \frac{1}{2} \frac{d^3 x}{dt^3}$
 6. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} \left(\frac{1}{2} \frac{d^2 x}{dt^2} \right) = \frac{1}{2} \frac{d^3 x}{dt^3}$
 7. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} \left(\frac{1}{2} \frac{d^2 x}{dt^2} \right) = \frac{1}{2} \frac{d^3 x}{dt^3}$
 8. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} \left(\frac{1}{2} \frac{d^2 x}{dt^2} \right) = \frac{1}{2} \frac{d^3 x}{dt^3}$
 9. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} \left(\frac{1}{2} \frac{d^2 x}{dt^2} \right) = \frac{1}{2} \frac{d^3 x}{dt^3}$
 10. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} \left(\frac{1}{2} \frac{d^2 x}{dt^2} \right) = \frac{1}{2} \frac{d^3 x}{dt^3}$

التي تجدها فيها ما وجدناه في قلعة العموم من التقاف واضطراب وميلوط
مراء . وينعكس على اللوحة كلها ضياء الشمس . اننا نرى في حافة
اللوحة : الشمال ، ما رأه طاز كوخ في بستان المدينة .

قرو فان كوخ أن يدرس الرسم. وأشعره هذا بشيء من اللقطة الخيرة من الزمن. إلا أنه تورط في حب فاشل آخر في العام التالي. وكان غشه هذه المرة من القسوة بحيث أنه فكر في الانتحار. وبدأت حياته بعد هذا تتخذ مظهر الرجل الوحشي الذي يثير الشك والافتعال في نفوس أولئك الذين يعيش معهم. وزار جان كوخ أرباب القنصاة التي أحبها - وكانت أبة عمه - ليقنعهم بترتيبها منه. فأخبروه بأنهم لن تكن في البيت. إلا أنه استطاع أن يرى من ترتيب المائدة أنها كانت عاتلة. وأما حادث مكنائنا حاملًا أعلى قدمه. قد غشت يده إلى شعبة قريبة وقال: «هوني أراها حيلة المدة التي أستطيع خلالها أن أحتمل هذا الألم وهذه النار». واعتطف أحدهم الشععة. ثم سمحوا له برؤية القنصاة. إلا أنه لم يحصل على نتيجة مرضية من ذلك، وكانت تلك لقطة خيرة وأخيرة.

ومر عام آخر، وكان كوخ منهك في الرسم، والتقط امرأة سافرة من الشارع، بعد أن نخل عنه جميع أسدانه، باعتباره شخصاً مجنوناً، إلا أنه لم يجمع في حياته مع هذه المرأة أيضاً. وبدأ الرسم بخطف شيئاً من توتراته العصبية، فكان كلما نظب على نوبة من نوباته، يزد قوة في تعبيره وأصدائه. وتأثر بالانطباعين في باريس فأصبحت لوحاته أكثر اشراقاً. وكان أخوه تيو يساعدُه للمال ليعيش به وينصرف إلى الرسم، إلا أن تيو نفسه طبعه الدائم الوحيد. يستطع أن يحسن العيش مع هذا الرجل المتوحش، وأخيراً بلغ من ذلك نوبات العصبية المشددة عليه أنها ظهرت صحتته إلى حد كبير، فترك باريس وأقنع نحو الجنوب في عام 1888، حيث التقى هناك بـ جوجون، الذي يستطع العيش معه أيضاً، فافترقا، بعد أن هاجمه فان كوخ عوسى علاقته. وكان أن برز فان كوخ إحدى أزمته بتلك الحمى دوسيهما في ساحة من الشوارع المزدحمة وأودعها إلى إحدى فئات المذمة. ونعت ذلك

[illegible]

إلى غرضه ، حيث مات فيها بعد يومين ، وكانت آخر كلماته لثيو قوله :
 « لن ينتهي الشقاء » . وجاء في رسالته الأخيرة لثيو ما يلي : « أما بالنسبة لأعمالي
 الفنية ، فقد أصبحت بخيالي من أجلها ، ومن أجلها فقدت نصف عقلي ... »
 إن حياة فان كوخ تذكرنا بكلمات هيس في « ديان » إذ يقول : « إن
 حياة الإنسان هي طريقه إلى نفسه ، إلى الإدراك النفسي .. » أما في رسالة
 فان كوخ فإن الإدراك النفسي يعني التعبير النفسي . وهو بالنسبة لثيو ،
 كروسم ، فإن سقاً ، إلا أننا يجب أن نذكر أنه عاش أربعين عاماً ،
 ولم يدرك أنه رسام إلا في السنوات الثماني الأخيرة منها ، وثمنا لفترة
 طويلة أن يعيش الإنسان ثلاثين عاماً بدون أي اتجاه ، لأن معظم الناس قادرون
 على تكوين فكرة عن أنفسهم وعن الاتجاه الذي يتسبون إليه قبل أن يلحقوا بالمشي.
 وقد شعر فان كوخ بدنياً والفعالية الكامنة فيه بقوة أرادت قبل أن يبلغ السابعة
 عشرة ، إلا أنه لم تكن لديه أية فكرة عن الاتجاه الذي يجب أن يوجه هذه الفعالية
 نحوه . أنه يذكرنا بجورج فوكس الذي يحذره بشدة بأن لديه هدفاً ، إلا أنه
 لا يعرف ما هو هذا الهدف . « كنت فرداً غريباً بالأحرى في تلك الأيام » .
 - وستفحص لانتهاية جورج فوكس في الفصل الثامن من هذا الكتاب .
 على أننا والثقون من أمر واحد في فان كوخ حين كان شاباً . فقلت هو شعوره
 الديني الشديد ، ولست بذلك أعني شدة انصراله وتكريس نفسه للدين ، وإنما
 أقصد بذلك ما يوحى إليه بشي . من الهدف . ولا يختلف هذا عما أحس به لورنس ،
 حين اعتقد بأنه كان واعظاً أكثر من كونه جدياً . ويمكننا ، بتحليل ذلك بعناية ،
 أن نفهم منه أن هائل قوة أعلى من الإنسان في هذا الكون . وإن الإنسان يبلغ
 أقصى أهدافه بخدمة تلك القوة . إلا أنه من الضروري أن نتذكر في
 الوقت نفسه مفهوم هيس الذي يقول بأنه ليس هناك إنسان . (الإنسان
 هو اتفاق بورجوازي مدع) أي أن الفكرة الدينية الوجدانية من علاقة
 الإنسان بخالقه تتهاوى أمام قدر اللامتنى ، وهكذا يرجع اللامتنى إلى عدم استطاعة
 أن نجد إيماناً حديداً . ولأنه يميل إلى اعتبار جموده وإنكاره نتيجة لخطية ما .

هذا هو جوهر فان كوخ ، لا كفتان ، وإنما كلامهم يعتبر الحياة مدقاً لا
 مدقاً فاعلاً يتطلب منه أن يجد جواباً له قبل أن يعيش تلك الحياة . وقد
 مررنا بتجارب الأول أن الحياة هي أبداً مع الإنسان وضده . إلا أن حسبه
 مرحلة جعلته شاعراً بصورة غير اعتيادية بضدية الحياة وحسها ، بشقائه
 في العالم . فالعصر بكل غوايه باحثاً عن وفاق أصيل مطلق مع الحياة .
 ... كفتان . يجد بعض تلك اللحظات التي يكون فيها على وفاق مع
 ... ومع ... ، حين يشعر مثل جبريسول ، بأن الكون وقضه هما من
 ... واحدة . ذلك تلوح حياته هادئة ، بل بلوح شفاؤه أيضاً حاداً .
 ... بقية لوقاته فهي كفاح من أجل استعادة أمثال تلك اللحظات التي يدرك
 فلو كان هناك نظام في الكون ، ولو استطاع أن يفهم هذا
 النظام أحياناً ، وحس بأن نفسه على وفاق تام معه ، فإنه سيكون غادراً على
 ولله . مما يجعل تلك اللحظات ممكنة الاستعادة بإتباع أسلوب ما .
 إلا أنه مما يؤسف له أن تتعقد المشاكل أكثر لدخول عناصر جديدة
 ... من حاجات الإنسان النافذة التي تسطر على انتباهه . كالرغبة في مرافقة الناس
 ... وللشعور بالمشاركة في الحياة الانسانية الاجتماعية ، بالإضافة إلى
 الحاجات الضرورية طبعاً ، كالأغذية والطعام والشراب . ويجادل الفنان أن يصرف
 انتباهه إلى هذه الأشياء ، إلا أن ذلك صعب أيضاً ، لوجود عدد جهم من
 الأشياء الأخرى الهامة التي يجب أن يفكر فيها أيضاً ، ويزيد الطين بلة ما
 فيه الناس من عبادة تجعل الإنسان يسأل نفسه دائماً : هل أنا مخفي ؟
 ... هذا الفنان اللامتني أحياناً إلى التفكير بالانتحار ، إلا أنه قبل أن
 يصل إلى هذه النقطة يحس بأن الكون صار يعني شيئاً من جديد ، ويدرك
 شيئاً من الهدف . زد على ذلك أن هذا الشعور بالوفاق لا يشبه ما يلوح
 على الطفل النائم من دعة وانسجام . وإنما هو اشتغال لكل الجوانب ، وشعور
 تلك ... الإدراك لا يدها البورجوازي العادي . أنه يشعر بأن هذه الحالة
 هي الأكبر الوحيد الذي أحمله حين جلس يحاسب نفسه عن موقفه الحياة منه .

كم هي معاناة وكم هي مؤنية ؟ وقد يدعو المسيحي هذه الحالة « بالشعور بألم الله » وقد يدعوها اللاهوت « بالشعور بألم الله » ، الأمر الذي يفعله الصالح الذي يعمق تلك الحالة على أنها شعور يشبه امتداد الطفل إلى أمه ، ومعها تعددت التعاليف فلها جميعاً تصف هذه الحالة نفسها التي لا يعرف عنها البشر شيئاً ، مما يجعلهم عاجزين عن التعبير عن هذه الحالة حين يشعرون بها .

وإذا عدنا إلى لوحات فان كوخ : وجدنا هذا الفن معبراً عنه بلغة الرسم بدلاً من لغة الكلمات . وقد سخر الكتاب الصوفيون من مثل هذه المحاولات باعتبارها غير كافية لتصوير الفن المطلوب ، إلا أنهم لا يلاحظون أن هذه المحاولات - على ضعفها - تحرق كل ما يعرفونه عن الواقع ، وتخرج عن حالات عدم فان كوخ بتسليم وقبول لا انتقاديين ، كشعوره مثلاً حين يصعب رموز الرياضيات العالية ، فلما جرى فيها أكثر مما نراه لو نظرنا مسلحين بسلاح الفهم والمجرد العقلي . اننا حين نرى لوحاته على هذا الأساس ، نشعر بأنه قد عرقد طبيعته التي يجربها فكره « من لوحاته » ، وأبرز فيها بدلاً من ذلك ما من إليه لورنس دائماً « المباشرة في الإدراك الحسي » ، بالإضافة إلى شعوره بأن « استجابة الحياة ومعكستها » قد اختفت في هذه اللوحات ، لأنه ما دامت الحواس قد استقبلت ذاته لم يجبر المجدي للبحث عن المشاء الإنساني . هناك شعاع ساقط ، إلا أنه لا يسم ، وإنما المهم هو هذه الحالة فحسب . هذه الحالة التي يحاول فان كوخ أن يعبر عنها في لوحاته بالشكل والبيئة ، تحرق الخطئة التي تحرق في شلال الضياء الذي يكاد يولم اللون سطوحه . بالبيئة التي تبرز فيها النجوم والتي يلوح في سماها ما يشبه النفاذ الأخير للتدفقة ، تلك السماء التي لا تعود نجومها نقاطاً عجم رأس الدبوس ، وإنما حلقات ودوائر من الضياء ، وبأشجار السرو التي نشه اللهب الأخضر ... بل إن فان كوخ يصور المناظر الداخلية ، كوسياً وحدها حقيقاً ، وكومة من الفصل ، بالطول الذي يصور به إيل غريكو المردم .

إلا أن فان كوخ لم يكتب المرحبة بصورة نهائية . إذ أنه في اليوم التالي لرحلته كوسياً ، بطرقة لم يرسم بها أحد من قبل ، شاجر مع كوكبان وكتب رحلته حاصفة إلى نيو ، في حين كان فنه يلوح في أوقات أخرى متوسماً به ، شيئاً . لا أمل فيه إطلاقاً . إن آخر كتاباته لثبو هي كتابات انسان يشعر بأنه الانحدار لا مفر منه ، وإن الحياة عبارة عن مصيدة تحبوس على نزول من الظلم ، انسان يشعر ليهرب من ضرورة الوقوع في هذا الدخ - ثابته . ولا تصور آخر لوحاته منظرأ طبيعياً مصطنعاً بطبيعته المتخاذلة المشوكة فحسب ، وإنما تتميز ملتصقة بحياته كلها عرفها هو ، ولغيبه هذه الحياة .

إلا أنه يرى في لوحات أخرى تأكيداً على الحياة لم يأت بمثلها لسان آخر « باستثناء إيل غريكو » ، ونسبوا عن المروج لا يمكن أن يعبر عنها بالكلمات : « التصور الطبيعي » فقط . لقد كان وجوده متصفاً طبيعياً . وقد تميز عند تصويره عن هذا النوع من التصوف بقلية فائقة « مرعجهولاه » . يوم السماء الآخرين . دون أن يشتر ذلك في نفسه شيئاً من الانفعال ، أو الطبيعة ، الطبيعة التي تبحث على القطة .. الخ (كان ولهم بملك أيضاً صريحاً طبيعياً ولكن معنى أعمق . وقد خلق على هذه المقاطع في حواشي نسخة من - الزهرة - بتعليقات حنيفة جداً) . ونحن نعرف ان المتصرف الطبيعي الأصل إنما يمثل في بقوب يومه ، ونوعاً من تراصير ، الذين احيا . والله في الروح ، كاهناتها ، بالله في الطبيعة ، ولهذا لم يشتر أحد لها اعتباراً من صوفيون طبيعيين ، وينطبق هذا القول على فان كوخ أيضاً . إن الطبيعة تنكس ما يراه في داخله ، فلذا لم ير شيئاً ، قال لوحاته مستوحاة صورياً لطبيعة شبه الصور الفوتوغرافية ، أما إذا رأى شيئاً في أعماله - فان هذه اللوحات تعبر عن رؤيا لا يمكن التعبير عنها بالكلمات . لكنها تسم بانغاد مماكس .. فينما تسم الكتاب في انحاء أخرى ... تأخذ هذه النماذج أحياناً عوداً . أما نقطة تقاطعها فيبحث أن تدعى باليكوية وهذه

الكلمة هي الترجمة المطابقة لاحدى كلمات ايكهارت ، ، واذا قلنا لوحة فان كوخ ، ساحة السجين ، بالأصل الذي نقلها عنه والذي رسمه دوريه .
 فالتا نرى ان فان كوخ كان أكثر دقة فيها . فهناك المزيد من الضوء ، بالإضافة الى انها في الوقت نفسه أكثر واقعية من لوحة دوريه . ان كرخي ، فان كوخ أكثر من غيره من الكرخي ، وأزهاره الثلجية أكثر من غيرها ، أما كلمات روكفان : ، كنت كالأخوين .. إلا اني لم أكن أشعر بأن ذلك الطائر كان موجوداً .. فانها غريبة على فان كوخ ، ولا يمكن أن تطبق عليه بحال من الأحوال . كان فان كوخ اذا رأى شجرة مورقة ، شعر بوجودها بصورة شديدة ، الى درجة انه اذا أراد رسمها ، لم يستطع أن يرسمها شجرة (كما ينظر من كوستابل مثلاً ان يفعل) بل لم يستطع حتى أن يهبها المسحة العامة التي تتميز بها كل شجرة باستخدام الألوان (كما فعل مانيه والاسطاعيون) ، وانما يرسمها متفجرة بالحياة ، تلوح وكأنها مشتملة بلهب البهتان . وليست طريقته في ذلك بسيطة ، بحيث يستطيع أي مفضل أن يفعل ذلك ، وانما هي طريقة في الإيجاز . طريقة جبل عليها ادراكه . طريقة يمكننا أن نتأكد من اخلاصها وأصالتها بملاحظة التطورات التي عانتها رؤيته لهذه الشجرة في أثناء رسمها .
 بل نستطيع ان نقارن لوحته « منظر طبيعي قرب أوفر » بأية لوحة من لوحات سيزان التي رسمها هذه البقعة ذاتها ، إذ نرى ان تقارن بينهما ليس غافراً في الطريقة الفنية ، وانما هو غارق في طريقة الرؤيا ، فقد ترجم سيزان ما رآه الى ضربات قصيرة لا حد لها من الفرشاة ، ياذلا في ذلك جهداً كبيراً ، كما فعل هنري جيمس حين كتب صورته الوصفية عن المجتمع الأوروبي ، وتغيرت نتيجة ذلك بظهور نوع من النظام المنبثق عن اتباع سيزان لأسلوب معين . ويمكننا أن نفهم من لوحات سيزان كثيراً من التفاصيل عن سطح الشيء . الرسوم وسده عن المبنى . وعن اوضاع الرجل الذي قرر أن يظهر هذا الشيء بصورة كاملة ، إلا اننا لا نفهم فيها شيئاً عن أحاسيس سيزان ، في حين

نستطيع أن نلاحظ ذلك في لوحات فان كوخ ، ونستطيع أن نرى هذه الأحاسيس والاتصالات الخطيرة التي لا تقتصر على ما تثيره الطبيعة في الإنسان من مشاعر فصح ، وانما هي أحاسيس تتعلق بإدراك ملحوظ لطبيعة الحياة نفسها . ان رسم سيزان هو رسم فصح ، وأنه لرسم عظيم القيمة ، إلا ان رسم فان كوخ يتميز بميزات اللافتة ، انه رفض اختياري ، يقوم به رجل اعتبر حياته الخاصة تجربة في الحياة ، انه رسم يسجل بأمانة كل حالات مزاجه وتطورات رؤاه بطريقة تشبه طريقة « قصة التاريخ الشخصي » . وقد تلوح طريقته في تحليل لوحات فان كوخ للتفاد الفتيين طريقته أبداً ما تكون عن دراسته كفتان ، وذلك صحيح ، لأن أهداف هذه الدراسة لاجمها فان كوخ كرسام وانما كلامهم اختار الرسم التعبير عن نفسه . فلو انهم من اعتباره لامتنياً ، وجدنا التعريف الذي تحصل عليه من فان كوخ مشكلة اللامتنى تعريفاً مهماً جداً . انه يشبه لورنس في أنه هو أيضاً كان حائراً في الجملة إدراكه .. أين يجب أن يوجه قواه ؟ وغالباً ما دراه بقل من قيمة نفسه ويرفع من قيم الآخرين ، وهذا ما كان مختلف اسداء قوية في لوحاته كلها اتصل بالناس . أما غوته فقد بنى حول نفسه ، حين تقدم به العمر ، جداراً عقلياً ، لم يستطع الآخرون أن يفلتوا منه سواء كانوا ملاحين أو قاصدين . ولو فعل لورنس وفان كوخ ما فعله غوته ، لأخطت الحياة بالنسبة اليهما طريقاً آخر الى اتجاه مختلف من الاتجاه الذي اتبعه اليه . تلك هي الناحية السلبية من ساحة فان كوخ في المشكلة . أما ناصيتها الايجابية فلانما توحى ياغيه فكري هام . ذلك أنه هو ولورنس قاما بإدخال عنصر جديد على مشكلة اللامتنى . وهذا العنصر هو مفهوم النظام . إلا أن هذا النظام لم يعد عقلياً بالنسبة الى فان كوخ . وانما تطورت قوة إدراكه في اتجاه الاتصالات . وتواجهنا الآن حقيقة أن لورنس وفان كوخ مثلاً ، وقد سبق لنا أن نظرنا الى بحث فني للمعرفة الفنية الذي يسبب نوعاً من مراكمة النفس ، إلا ان مصادر هذا

الكل يختلف في الرجلين . ونستطيع أن نمر من هنا لأحداهما يقول
أن كان كوخ أحس يأكل مما يجب ، تماماً كما فكر لوروس يأكل مما
يجب . فالأول أحس بدون أن يفكر ، في حين فكر الثاني بدون أن يفكر .
وقبل أن ننقص مضامين هذه النتائج ، وعلاقتها بالانتماء بصورة
عامة ، علينا أن ننحصر عتصراً ثالثاً . ذلك لأن هذين الرجلين بسلما
بنوع واحد من النظام الجسمي . والمتألف والطوع . الخ . وكانت
مهمتهما الأولى في هذا النظام عداوات لتطبيق السيطرة على جسمها .
أن كل محاولة لمبدأ لاستنتاج شيء ما من دعاواه الانتماءي لكسب السيطرة ،
لم تكون مفعلة كالانتماء أن لم نسلها بدراسة لامتص كان معاً بصورة رئيسة
السيطرة على الجسم ، ولما يجب علينا أن نلتفت الآن إلى مثل هذا الانتماءي
على أنه يدعج أبعد في تعميق حالتنا لوروس ولأن كوخ على الآخرين . ولدينا
نظم من القديسين والسائل الذين يصلحون كمداد لهذا الغرض . إلا أن هؤلاء لا
يقولون مع الشروط التي لاحظناها ، والتي ندرس أن الانتماءي يجب أن سدا خبره
في الثالث بقدر ما يعني الأمر الذين ، إلا أنه يجب أن لا يبدأ بالدين . وإنما ينس
كأنه أن يقبل وبهمه ، بالعلم وأحياناً الانسانية . وهذا ما يعجز مدى
لكلها التي نبحثها الآن ، لأننا ونحن الخط غمك مثل هذه التوضيح
والإثبات نجسكي . والمهم البالية . الذي ألفت مع كتب كثيرة .
أن أهمها تاريخ حياته الذي كسبه زوجته . وكتاب القتل . ورومان
نفساً نجسكي ، الذي لا يمكننا أن نعلم عليه كل الإعتدال . ذلك
بأنه الذي نروها بالشيء الكثير عن تفاصيل حياته ، إلا أننا غمك ما هو أهم
هذا كله ، أنا غمك وذكوات نجسكي ، التي نشرت في عام ١٩٣٤ .
كثيراً لنا الطيرة إلى حالته العقلية مباشرة قيل أن يصاب بالمرض .
أنه يعتبر هذه المصادر كلها أكثر مما نحتاج إليه بفرض هذه الحالة .
أنه يعتبر المصادر موجودة في حياة نجسكي مع بدايتها . ضد
منه بالية دائماً . وكان أبوه رافضاً . ما أن جميع أعمامه .

اسماء تم ألقى مسؤولو لجنة الدائمة على أكتافهم ورحبوا

[illegible]

فلذلك التامد من غير - فصل في الممارسة الادارية المأمورة بالامور
ث - كذا - على ان يبنى اهر - انتهى فندوة جدي يوم الاثنين
وصبح - انونيكه - مخرج المائيسكي - وبلغ
وتم - فصل مباشرة - وكذا - المائة لكوني
من جموعة - ولم يبلغ العشرة اذ

وكانت هذه هي البداية الحقيقية للثورة.

جاءه الى الرضا في بيتهم فجلسوا الى العشاء

alle 11 p.m. (11.000) e 12.000 (12.000) e 13.000 (13.000) e 14.000 (14.000) e 15.000 (15.000) e 16.000 (16.000) e 17.000 (17.000) e 18.000 (18.000) e 19.000 (19.000) e 20.000 (20.000) e 21.000 (21.000) e 22.000 (22.000) e 23.000 (23.000) e 24.000 (24.000) e 25.000 (25.000) e 26.000 (26.000) e 27.000 (27.000) e 28.000 (28.000) e 29.000 (29.000) e 30.000 (30.000) e 31.000 (31.000) e 32.000 (32.000) e 33.000 (33.000) e 34.000 (34.000) e 35.000 (35.000) e 36.000 (36.000) e 37.000 (37.000) e 38.000 (38.000) e 39.000 (39.000) e 40.000 (40.000) e 41.000 (41.000) e 42.000 (42.000) e 43.000 (43.000) e 44.000 (44.000) e 45.000 (45.000) e 46.000 (46.000) e 47.000 (47.000) e 48.000 (48.000) e 49.000 (49.000) e 50.000 (50.000) e 51.000 (51.000) e 52.000 (52.000) e 53.000 (53.000) e 54.000 (54.000) e 55.000 (55.000) e 56.000 (56.000) e 57.000 (57.000) e 58.000 (58.000) e 59.000 (59.000) e 60.000 (60.000) e 61.000 (61.000) e 62.000 (62.000) e 63.000 (63.000) e 64.000 (64.000) e 65.000 (65.000) e 66.000 (66.000) e 67.000 (67.000) e 68.000 (68.000) e 69.000 (69.000) e 70.000 (70.000) e 71.000 (71.000) e 72.000 (72.000) e 73.000 (73.000) e 74.000 (74.000) e 75.000 (75.000) e 76.000 (76.000) e 77.000 (77.000) e 78.000 (78.000) e 79.000 (79.000) e 80.000 (80.000) e 81.000 (81.000) e 82.000 (82.000) e 83.000 (83.000) e 84.000 (84.000) e 85.000 (85.000) e 86.000 (86.000) e 87.000 (87.000) e 88.000 (88.000) e 89.000 (89.000) e 90.000 (90.000) e 91.000 (91.000) e 92.000 (92.000) e 93.000 (93.000) e 94.000 (94.000) e 95.000 (95.000) e 96.000 (96.000) e 97.000 (97.000) e 98.000 (98.000) e 99.000 (99.000) e 100.000 (100.000) e 101.000 (101.000) e 102.000 (102.000) e 103.000 (103.000) e 104.000 (104.000) e 105.000 (105.000) e 106.000 (106.000) e 107.000 (107.000) e 108.000 (108.000) e 109.000 (109.000) e 110.000 (110.000) e 111.000 (111.000) e 112.000 (112.000) e 113.000 (113.000) e 114.000 (114.000) e 115.000 (115.000) e 116.000 (116.000) e 117.000 (117.000) e 118.000 (118.000) e 119.000 (119.000) e 120.000 (120.000) e 121.000 (121.000) e 122.000 (122.000) e 123.000 (123.000) e 124.000 (124.000) e 125.000 (125.000) e 126.000 (126.000) e 127.000 (127.000) e 128.000 (128.000) e 129.000 (129.000) e 130.000 (130.000) e 131.000 (131.000) e 132.000 (132.000) e 133.000 (133.000) e 134.000 (134.000) e 135.000 (135.000) e 136.000 (136.000) e 137.000 (137.000) e 138.000 (138.000) e 139.000 (139.000) e 140.000 (140.000) e 141.000 (141.000) e 142.000 (142.000) e 143.000 (143.000) e 144.000 (144.000) e 145.000 (145.000) e 146.000 (146.000) e 147.000 (147.000) e 148.000 (148.000) e 149.000 (149.000) e 150.000 (150.000) e 151.000 (151.000) e 152.000 (152.000) e 153.000 (153.000) e 154.000 (154.000) e 155.000 (155.000) e 156.000 (156.000) e 157.000 (157.000) e 158.000 (158.000) e 159.000 (159.000) e 160.000 (160.000) e 161.000 (161.000) e 162.000 (162.000) e 163.000 (163.000) e 164.000 (164.000) e 165.000 (165.000) e 166.000 (166.000) e 167.000 (167.000) e 168.000 (168.000) e 169.000 (169.000) e 170.000 (170.000) e 171.000 (171.000) e 172.000 (172.000) e 173.000 (173.000) e 174.000 (174.000) e 175.000 (175.000) e 176.000 (176.000) e 177.000 (177.000) e 178.000 (178.000) e 179.000 (179.000) e 180.000 (180.000) e 181.000 (181.000) e 182.000 (182.000) e 183.000 (183.000) e 184.000 (184.000) e 185.000 (185.000) e 186.000 (186.000) e 187.000 (187.000) e 188.000 (188.000) e 189.000 (189.000) e 190.000 (190.000) e 191.000 (191.000) e 192.000 (192.000) e 193.000 (193.000) e 194.000 (194.000) e 195.000 (195.000) e 196.000 (196.000) e 197.000 (197.000) e 198.000 (198.000) e 199.000 (199.000) e 200.000 (200.000) e 201.000 (201.000) e 202.000 (202.000) e 203.000 (203.000) e 204.000 (204.000) e 205.000 (205.000) e 206.000 (206.000) e 207.000 (207.000) e 208.000 (208.000) e 209.000 (209.000) e 210.000 (210.000) e 211.000 (211.000) e 212.000 (212.000) e 213.000 (213.000) e 214.000 (214.000) e 215.000 (215.000) e 216.000 (216.000) e 217.000 (217.000) e 218.000 (218.000) e 219.000 (219.000) e 220.000 (220.000) e 221.000 (221.000) e 222.000 (222.000) e 223.000 (223.000) e 224.000 (224.000) e 225.000 (225.000) e 226.000 (226.000) e 227.000 (227.000) e 228.000 (228.000) e 229.000 (229.000) e 230.000 (230.000) e 231.000 (231.000) e 232.000 (232.000) e 233.000 (233.000) e 234.000 (234.000) e 235.000 (235.000) e 236.000 (236.000) e 237.000 (237.000) e 238.000 (238.000) e 239.000 (239.000) e 240.000 (240.000) e 241.000 (241.000) e 242.000 (242.000) e 243.000 (243.000) e 244.000 (244.000) e 245.000 (245.000) e 246.000 (246.000) e 247.000 (247.000) e 248.0

المجلس الأعلى للدراسات والبحوث

[illegible]
$$|f_0| \leq |f_0| + |f_0| = 2|f_0|$$

... ..

وغيرهم . أما دياكيليف شخصياً فلم تكن لديه أية ميزة جليلة ، وإنما كان رجل أعمال يس كل أولئك الفنانين . وقد جعله هذا بلوغ متجبراً ، أما اعتقاده بأنسه مبعوث لاقتاد الفنانين فقدميزه بتركيز ذاتي شديد ، وهكذا توغرت له كل الصفات التي يجدها في مرضى الشلوة الجنسي : الشهوانية ، والغرور ، والتمول الضل . كان أول ما دفعه الى الإصجاب بنجسكي هو شفوذه الجنسي . وفي هذا يحدثنا نجسكي في مذكراته قائلا : « لقد كرهته لأن صوته كان قوياً متدداً ، إلا أنني نجته - الى غرفة دياكيليف في الفندق - لأنني كنت أشهد المستقبل .. وبدأ ... فسكنت له مباحثرة به ... وكنت أكره ذلك ، إلا أنني تظاهرت بأنني كنت أميل اليه ، لأنني كنت أحرف أنني وأمي سنموت من الجوع إن أنا لم أقبل ذلك ... » (١٩) . وقد تلوح العبارة الأخيرة بالنفس من غارلاف ، إلا أنه كان مؤكداً أنه شر بالخاصة الى المساعدة في مساعدة حالته ، لأن نفقات الأسرة تضاعفت حين أصبح عضواً في الماريشكي ، وحين انتقلت العائلة الى شقة طالية ، بحيث إن مكاسهم لم تعد تكفي هذه النفقات كلها . زد على ذلك أن جنون شقيقه صار من نوع الجنون الخطر العنيف ، فطلب الأمر نقله الى أحد المستشفيات والاستمرار على دفع المصاريف من أجله . وبعد حرف دياكيليف أن الأمر الذي كان نجسكي يتقاضاه من الماريشكي لم يكن ليكفي حالته ، فغضبه الى فرقة الباليه التي كان قد شكلها حديثاً . فطلب نجسكي من الماريشكي السماح له بالسفر مع الفرقة ، وكان أن اشترك في أول حفلة الباليه الروسية في باريس في ربيع عام ١٩١٠ . وما انتهى ذلك الموسم إلا وكانت شهرة نجسكي ودياكيليف قد طبقت الأفاق ، ولقب القادة نجسكي بـ « ملك الرقص » ، وقالوا عنه إنه أحسن راقص عرفه العالم . واستمرت الفرقة الروسية تنجح حفلاتها في مختلف العواصم الأوروبية ، ثم عاد نجسكي أن يتوسل له ، متفقاً مع دياكيليف على منح عقد الماريشكي . وفي عامي ١٩١٢ و ١٩١٣ قدم نجسكي عروضاً على موسيقى دوبيسي ، وأسمه الحيوان الخرافي . - وموسيقى من مكني

« نجمة الربيع » . وكان الفضل في الأول لرقصه ، وفي الثانية لموسيقى سترافسكي . إلا أن الباليه الروسية انقضت بهما انتفاهاً عالياً كبيراً . ولم يستطع نجسكي الاستمرار على احتمال الحالة التي كان يعيش فيها ، إذ أن دياكيليف كان يعتبره « زوجة » وكان نجسكي في الوقت نفسه يعمل في قلبه شعوراً دينياً حقيقاً ، مما جعله يضيق ذرعاً نحو المسرح الذي لا تنتهي مشاكله ، ويجري الشهوانية مع دياكيليف ، وتتأجر معه مرتين ، وكان سترافسكي في كل مرة يفض الى جانب نجسكي . لقد ضاق نجسكي ذرعاً بشموه بأنه طفل موهوب لا عقل له ، في حين كان دياكيليف يمثل القائد الفني والفنان الذي يشار اليه باليدان .

وسافر نجسكي في عام ١٩١٣ ، في رحلة بحرية ليتزوج بعيداً عن دياكيليف . وخطب فتاة شابة تعمل راقصة أيضاً ، ومن الواضح أنها أخته . وتم زواجهما في باريس آيرس ، لما سمح دياكيليف بهذا حتى أرسل اليه برفقة بحيرة فيها بفصله من فرقة الباليه الروسية . واعتلأت السنوات الخمس التالية بالقوضى والارتباك ، كانت زوجته

هنارية ، وكانت هناريا في تلك الأيام في حرب مع روسيا وذهب نجسكي مع زوجته ليعيشا في بودابست باعتبارها مدينة زوجته ، إلا أن العام الذي قضياه دوماً كان مليئاً بالشغب والمكائد التي كان يديرها له أهل زوجته ، إذ كانوا يحرصون على الطلاق منه . وبدأ نجسكي في السنوات التالية لرواحه يشعر بأكثر من كل اللاهتي : القناعة الذاتية . وسافر ان أميركا وقدم في نيويورك حفلات باليه . وبعد ذلك على فرقة الخاصة . ولم يتركه ميل المصاحب والشاق في تلك الفترة . لأنه لم يجر تلك غايليات الرجل الضعيف ، وإنما كان منطوياً متأملاً . وقد لاحظ المتدرون ان وجهه كان يشبه وجه الامام اليسوعي ، أو بودا في أحد أوضاعه . أو أحد البائس الفرعونية . وكانت متطلبات العالم لها من جانبها لا تجعله لا يطاعة له به . وازدادت الحرب الطعن في جسد راقص . وقد جعرة تصور له الحدود التي وشاهد الحرب المخرقة

كان مخلصاً . عادلاً . يحيط ما كان يحيط الأمر مشكك من سلطة . انه يقول لنا في صفحات أخرى : « أحسن بظرف نافذة حقيقي . » لما زوجته فتقول عن هذا (انه كان احبتي أخيلته البصرية . . (٢٢٢) وبغض جنسكي عليها قصة فيقول : « دعوت بعض الأصدقاء لزيارة المرحلات الى مالوجا . . . إلا أنه يسى ما كان يقصه عليا . وينقل الى موضوع آخر . وقد يبدو هذا للتفكير في الأسلوب . ووالله الجنون التي تنفج من تلك المبررات القارى الى إعمال المذكرات بعد قراءة صفحة أو صفحتين منها . إلا أن من يواظب على قراءتها يشكك نوعاً من العقل . غريباً . مخفياً تحت هذه اللاهوتية : « لا أريد موت الطواص . أريد أن يفهم الناس . أنني لا أستطيع أن أذرف الدموع لها أكتب ، وأما أبكي لي أعلق . » (٢٢٣) « سأقول الحقيقة كاملة ، وسيكمل الآخرون ما بدائه . التي مثل زولا . إلا أنني أريد أن أكتب ، بدلاً من رواية القصص . ان القصص تمنع الانسان من فهم المظاهر » (٢٢٤)

« إنني في غيبوبة ، غيبوبة الحب . أريد أن أقول أشياء كثيرة إلا أنني لا أجد الكلمات . أنني أكتب في غيبوبة ، وهذه الغيبوبة تدعى بالحكمة . كل انسان هو كائن عاقل ، وأنا لا أحب الكلمات غير العالقة ، ولهذا ظنني أود أن يكون الجميع في غيبوبة عن المظاهر » (٢٢٥)

« ان كل حياة زوجي وكل حياة الجنس البشري هي الموت . » (٢٢٦) أريد أن أشفي زوجتي ، في حين أنني لا أستطيع شفاء نفسي . أنني لا أريد أن أشفي ، ولست أعاف شيئاً ما صاموت الحكمة . أنني أريد الموت العقلي . ولن نجح زوجتي لو قتلت عقلها . العقل هو الحق ، أما الحكمة فهي الله . » (٢٢٧)

لقد اختطف هذه المقاطع بلا اختيار من صفحات الكتاب الأولى ، إلا أننا نستطيع أن نميز شيئاً من العقل فيها ، يتصل من عبارة إلى أخرى . وبنسبتي مصطلحاته الخاصة ، فهناك الشعور والحكمة والله . ونستطيع

أن نقول إنها مترادفات بالنسبة إليه ، وهناك العقل والموت والحق . وان العبارة التي نجعلنا نفهم طريقة جنسكي في رؤية البشر هي عبارة : « ان كل حياة زوجي وكل حياة الجنس البشري هي الموت » . وبمر بأحد المتناقض بعد أن يقضي وقتاً طويلاً متشاكاً فيقول :

« شعرت بالدموع تجول في عيني ، حين فهمت ان الحياة في مثل هذه الأماكن هي الموت . البشر يرحلون ، والله حزين ، أنها ليست خلقة البشر . » (٢٢٨) هذا الانسان الذي نشاهده هنا هو اللامتني يصبرته العميقة الشديدة ، ويشعوره بالهتزاز جانسي . من البشر الفارعين ، الذين يفكرون دون أن يشعروا بالحاجة الى التراجع الى أعماق نفوسهم ، ولهذا لانهم لا يقدمون لتكرار خاصة بنفوسهم ، أو خاصة بما يحتمل أن يكونوا عليه من : « أنني اظن في جسد ، وكل انسان يحس بهذا الاحساس ، إلا أن أسداً لا يستشعره . » (٢٢٩)

وفي صفحات أخرى : « الله هو فار في الرأس » . (٢٣٠) وأنه لما بشر الأمي في جنسكي دائماً أن تكون زوجته التي يحبها كل هذا الحب . من ذلك النوع الفارع ، غراشة على سطح الحياة . وبسبب جنسكي بعد قوله ان حياة زوجته هي الموت . قاللاً . « لقد شعرت بعدة وفقت لشيء : كم سيكون الأمر جميلاً لو استمتعت زوجتي لي . » على أنه لا أحد يريد أن يشع اليه . تماماً كما كان الأمر معه في السنوات السابقة . في مرة قبالية الرومية : حين كان يامله ويأكيه وسر الجنسكي باعتباره عقلاً لا عقل له . وهذا ما يشغل ذهن جنسكي دائماً ، فهو مثالي طبيعي . معاند على التراجع الى أعماق ذاته . جاسماً فعلياًته في ملف حكم . يعود بعد ذلك ويطلقها من عقدها في ضمير ذاتي . إلا أن هؤلاء الناس لا يعرفون شيئاً من التعبير الذاتي . وما هو موجود في أعماقهم . أم صبري دانه يحلم بأنه . « أما الله في جسد » . يعرف ذلك لأنه

أدراكه هذا وإثارة علة مرث حين كان يرقص . حقاً ذلك الشوق الذي
شعره الإنساني وبالغزة التي في أعماقه . لقد رأى تلك القوة . وهو
يقول : أنا الله . أنا الله . أنا الله .

إن الرقص هو تعبيرة اللاتني الطبيعي . أما إذا لم يكن يرقص . فانه
له كل مشاكل اللاتني الاعتيادي . انه مثل بطل باربوس الذي تسكن
له شوارع باريس محققاً في الساء المازات . ولكنه حين التقى إحدى قبياه
علمته كل شيء . تأكد لديه أنه لم يكن في حاجة الى هذا بالذات :
انه كسب مصدوماً . وقلت لها الله مما يدعو الى الأسف لقد فعل أشياء مثل
هذه . أخبرتني بأنها ان لم تفعل هذه الأشياء ماتت من الجوع . (٣٦)

هناك دائماً تلك الأسف المزمق المدرس . وذلك هي أنفع مشاكل
جينسكي . انه يحب زوجته . وهو يأسف لأنها ليست سيدة . إلا انه
لم ينل حبها هي الموت . أن الشقاء والموت مزوجان عمادة العالم . وقد
مدتها حين كان طفلاً وكانت العائلة تعاني الجوع . وعرفها في مدرسة
الرقص أيضاً . لأنه كان موجوداً في بيرسبرك خلال ثورة عام ١٩٠٥ .

حين في الحضور المنهين الغزل بسوفهم وسحقوا حياضهم بالبطاط .
بعد أن مرت فترة الرعب . خرج جينسكي مع ولاته الطلاب في صف
طويل باحثين بين أكفاس البيت للفراسة عن جنة شقيقة . يتبعه
دراة التي كانت في السابعة عشرة من عمرها . والتي كان عليها كمل
ويبعد منهم سراً . إلا أنهم لم يغدوا عليها . أما شقيق جينسكي فقد قتل
في ثورة عام ١٩١٧ . حين فتح البلاشفة أبواب مستشفيات المعتقلين .
أما طاق جينسكي في المدرسة . فقد قتل أحدهم في مازرة . وأصيب
الآخر مناعته أطلقها عليه روج بيور . بينما انتحر الثالث . موت .

شقاء . وحرمان . كل تلك كانت عناصر الحياة الحثية .
التي كانت تلهيهم . من كان كوخ الله . لن يشي الشقاء .
في العالم . في المحقق فالتس .

عن الثانية ؟ هناك أولاً لرقص . تلك التعليلات العنيفة الايقاعية . لم
كان تحسكي يرقص في كل يوم بانتظام عتفلاً بالصفة بين رانه وبين
أجزائه لطيرة . لما حين . ان الجنون يكون في عملية الخلق . هناك أيضاً
الشعور الديني العميق . وغد نرى جينسكي تربية كاثوليكية رومانية .
وكان الشعور يابوا انه الكونية شيئاً جوهرياً فيه يدعو الى ذلك الخلق
والإبداع . ولعل ما يلفت النظر أكثر من غيره في المذكرات هو استعماله
لكلمة : الله . فانا نجد هذه الكلمة مكررة خمس مرات في الصفحة
الكون . ويشعر التكرار على هذا المدل في كل صفحة من صفحات
المذكرات تخريباً . وقد يكون هذا التكرار في صفحات دعوية مدراً
للاحتجاج اللافي بأنه كان مأخوذاً بفكرة كونه الله . وانما استطاع
أيضاً أن يقول انه كان مأخوذاً بفكرة كونه المسيح . فانه يقول :
هنا ألوح مثله . اما يتر هو بنظرة هادئة . لي حين لتفعل
تفاتي فيما حولي . التي رجل انفعالات لا رجل مدور . (٣٢)

هنا هو أساس المشكلة . هو يريد أن ينكر هذه الانفعالات . فيبدأ
الفرح . ان الشخصية الحاملة المتعادلة سجن :
أريد أن أكون الله . ولهذا فاني أسأل أن أكون الله . أردت أن
أرقص . أن أرقص . أن أرقص على اليانور . أن أكون الشعر . أن
أحب الجميع . فله هو هدف حياتي . (٣٣)

الفرح . الفرح . الفرح . الفرح . الفرح . الفرح . الفرح . الفرح .
الفرح . الفرح . الفرح . الفرح . الفرح . الفرح . الفرح . الفرح .
الفرح . الفرح . الفرح . الفرح . الفرح . الفرح . الفرح . الفرح .
الفرح . الفرح . الفرح . الفرح . الفرح . الفرح . الفرح . الفرح .

ان العالم الضم القوي . موت الله . وبذلك ذلك الاستخدام للشيء
المتعدد . وهذا مرجع الكمد التي .

انه يميز هذه الاتصالات التي لا تنبذ في تحقيق القافية فمضطربة وتبعد
الطاقة . . . ويبدأ بقلمها من جلورها في صدد . وهو بانقله الى موضوعه
يزيد من قواه الادراكية الخاصة بالمنطق والماسي . أي الاحساس بالامكان
الأخرى والأوقات الأخرى . وعند ذلك يحصل على انطلاق الجسد من
اسار السجن الزمني . وازدياد في دفع الطاقة الحياتية التي يقول الكتاب
المفلس عنها . ان تكون لك الحياة بوفرة أكثر .

كان لكل من جنسكي ولورنس وفان كوخ نظامه الخاص من أجل
بلوغ هذه النتيجة ، فكان "كلا" منهم اكتشف في لحظة من لحظات الاثراك
مصدراً انبثقت منه "حياة أكثر وفرة" . فركز كل واحد منهم جهوده
على النظام الذي ظن أنه سيحصل بواسطته على ذلك المصدر . فلما لورنس
ظن انه المتفكر الذي وجد نوعاً متخيلاً من الانتماش في دراسته الفلزي . وأما
طبع فان كوخ الذي فكان في حاجة الى تجميع الانطاعات الحسية ، وكان
كفاحه من أجل الشعور بالأخرية قد أخذ شكل ذاكرة تصور الأوقات
الأخرى والأماكن الأخرى ، ذاكرة كانت . بالإضافة الى ذلك ، ناقصة ،
لأنه لم يستطع أن يحتفظ في لوحاته برائحة شجرة القوز . أو ريح محو
اطارة ، أو بالنتور الذي كانت تحدته في الجو تلك العاصفة القترية .
أما ملكة جنسكي فقد كانت الجسد . وقد شهد الناس الملاين رقبه وهو
يرغض بقابليته القلة على أن يكون الشيء الذي يريد تحيله . سواء أكان
ذلك البعد في "شهرزاد" أو الشمال في "بنوشكا" أو الأمير في
"جيزيل" . وقد وجه نظامه القوة على نيل ذاتيته متى "أراد" . أو
نومح بعض الأجزاء ، وتغلبت الأخرى ، ليحقق وهم الشخصية الجديدة
بصورة كاملة . وكانت هذه القوى قد أصبحت ، في بعض الأوقات ،
شدة صوفية من الانتكار والتضحية اللذتين في رقصاته ، مما وجه بين
الحين والحين تلك الرؤى المبركة من ذبول القديسين .

وهنا يكمن السر في انهياره . فإن مثل هذا الانسان هو أعلى روحياً

وهياً من المستوى الذي نجد عليه حية الانسان العادي . بل أعلى حتى
من انسان كان لديه من هذه الحسية أكثر مما كان لدى الانسان العادي ،
أي أعلى من دياكليف . ولو حدث ان كان جنسكي غير قادر على التعبير
تلكا بلغة الافكار التي يملكها الجميع ، والتأكيد الذاتي الذي يحصل عليه
معظم الناس من أمورهم "الحياتية" . فلان مركزه بين الناس الآخرين
سيكون زائفاً تماماً . لم يكن لدى جنسكي أي سبب يدفعه الى الاعتقاد بأنه
كان يملك نفسياً روحياً غير عادي ، ولم يكن لديه أيضاً بصورة أقل هذه
ألفة . ما يدفعه الى الاعتقاد بأن لدى الآخرين مثل هذا الضخوخ . حين
يرجع عليه تاركهم الذاتي نفسه هو فيما يخص الذكاء أو المنطق . ولو كان
شيئاً غير عجب (كان جنسكي في التاسعة والعشرين من عمره فقط حين جـ) .
هإن ذلك لم يتيح له بصورة عملية أية نقطة يستند عليها في مضاده للعالم .
لم تكن حياة دياكليف سهلة الاحتمال . وهذا ما لا بددنا . إلا ان
. وانه . لسوء الحظ . لم يجعله أفضل مما كان عليه . كان بالنسبة الى
وحته مزيجاً من الإله والطفل . إلا أنها أدركت منه جانب الفشل ادراكاً
أنه مما يجب . في حين لم تدرك شيئاً من جانب الإله فيه . وحدث
هذا له مع وفاته أيضاً . لقد كان "إله الرقص" حقاً . إلا انه لم يكن
"لله" الكثير من القاد إلا راقصاً غير متزن ، تتحدى البالية التي يقدمها
الاعمال التي لو ترك الجمهور ملحولاً . إلا أن الرقصات التي أداها في
"مفلس الرب" . تحتوي على أجزاء مقددة قال جميع راقصي عصره عنها
أنها لا تليق أن تؤدي . تماماً كما قال عازفو الكمان في أيام يتهوون من
عصر راجعات المسيحية أنها غير قابلة للزوب . وكان قد أخذ معروفاً
"مسي" في "أمية الحياة الخوالي" ووضع لذلك الموسيقى الشهوانية الجديدة
الخاصة هو ذات راقصة شديدة الصورة . حمداً على الروايات . فلاحقت
الالة كتابها سلسلة من المشاهد تشبه تصاميم الاغريق القدماء في نسق
مهراتهم وعلقت الموسيقى على يد جنسكي الى عازفها واللبف منها

من دونه وإنسانية وحبة ، مستبداً ذلك كله بالصورة والنحل والثواب والعنف .
ويمكن القول بأن وصف هؤلاء الذين ينطبق عليها كل الانطباق :
ليس الاعتقال الذي يحصل عليه منه التذاداً برؤية الطبيعة أو الحياة
الإنسانية بملة فيه ، إنما كان الإحتراز الذي تثيره الصفات والميزات
المرضية التي تتميز بها الأشكال الحية . والميل إلى العيوس ، والكمال
والصرامة اللذان لا يتجلبان في تلك الأشياء الحية ، كل ذلك كان قد قاد
إلى استخدام أشكال يمكننا أن نقول أنها هندسية . (٣٧)

ويستمر هؤلاء مستبجاً من هذه الأشكال والثواب ما يلي :

« إن الإنسان خاضع لبعض القيم المطلقة ، ولا مئة هناك في الشكل
الإنساني نفوذ إلى تمثله كما هو بطلته ، وإنما هو فاعلاً مشوه ليناسب
أشكالاً أكثر تجریداً ، تدعى بالاعتقال ديني شديد . » (٣٨)

وترينا مذكرات نجسكي لقوته على الاعتقال الديني الشديد ، ونعلم الآن
أن أسلوب مثل هذا الاعتقال ينسب بالثواب والصورة ، ولهذا فإن مفهومه
للإله كان أكثر من محاولة لاتباع نظرية جباله والكوروز القاتلة بشأن كل
نقطة موسيقية يجب أن تصاحبها حركة مضطربة منها من الرقص . إن قلامتي
هو الذي يريد أن يبلل جهده من أجل إيجاد تعبير عن الاعتقالات التي
تريد الظهور وكأنها الرصاص المنطلق من المدفع الرشاش . وقد بلغ لوتر
اللامنتي ، في حالة نجسكي ، حد الانطلاق ، ففأس عقله في الظلمات .

وتصل مذكرات فازلاف نجسكي حفاً من الأمالة لم تبلغ أية وثيقة
أو كتاب محتاه حتى الآن . وهناك أعمال حديد أخرى نسبر من نفس
الاحساس بأن الحياة الضخمة هي نوع من الموت الحي . ويمكننا أن نعتبر
شعر ت. س. إليوت وقصص فرانز كافكا أمثلة على ذلك ، إلا أن هناك
عنصرًا من اليلد النبوي لدى كل من هلمين للكاتين ، أي ملوك البشر
الأصحاء الذين يوتنون جبرائهم للمرضى . وليس لدينا سبيل آخر لمشاكل
اللامنتي كتبه رجسك كان قريباً من الانحدار والانسحاق النهائي تحت

وحدة هذه المشاكل ، غير مذكرات نجسكي . ولهذا فإن هذه المذكرات
هي أشد تكبيراً من كل المصادر التي تشير إليها في هذا الكتاب .

لقد قمنا في هذا الفصل ثلاثاً فحاذج من اللامنتي ، وثلاثة أنواع
من النظم التي استخدمها هؤلاء لينافس كل منهم الآخر في لا إنسانية ،
الأول نظام مفروض على العقلية ، والثاني نظام مفروض على المشاعر ،
والثالث نظام مفروض على الجسد . وقد رأينا كيف أنه لم يكن واحداً
من هذه النظم كائناً بعد ذاته ، لأن الأمر انتهى بشأن كوج ونجسكي
إلى الجنون ، في حين لم يقل انتصار لورنس العقلي عن جنون نجسكي ،
إذ تخلل كل منها من الكفاح وأداراً وجهها عن المشاكل ، ولم يفسل
جنون نجسكي طوعية من الضيق لورنس سلاح الطيران .

على أن أشد ملاحظتنا من هؤلاء الثلاثة امتناعاً هي التي تقوم على
مفارقتها الواحد بالآخر لمخرفة درجة ضياع كل واحد منهم . فاما نجسكي
فقد كان قريباً من خطرته إلى درجة أنه كان في حاجة إلى تعقيد وربكة
كبيرين لاعتقالاته ثانية من ظهور الأشياء التي كان متأكدًا منها في أحاطة ،
وجعله بانفس مدى تأكده منها نقاشاً دقيقاً ، وأما لورنس ، فقد كان
على عكس نجسكي مواظباً على المناقشة طول الوقت ، ولم يعرف أسس
مطروحة كما فعل نجسكي . وهنا تتجلى نقطة هامة ، فقد كان باستطاعة
لورنس إذا بذل جهداً كبيراً أن يفهم حالة نجسكي العقلية ، ولقد كان
بانتطاع - إذا شئت - أن يصبح نجسكي أكثر بكل بميزاته الإنسانية ،
في حين لم يكن باستطاعة نجسكي أن يصبح لورنس أكثر ، لأن الجهد
الذي يبذله لتسوية القوي الجدلية فيه ميفعله عن بدبياته النظرية ليل أن
يكون قادراً على تأليب كتاب مثل وأعمدة الحكمة البسة ، بوقت طويل
حداً . وبما أنه أخرى فان لورنس كان أشد الثلاثة ضياعاً ، وأشد الثلاثة
دماراً بالثقل الذاتي ، إلا أنه مع ذلك كان أظلم ضياعاً أيضاً ، أما
نجسكي فقد كان أظلم ضياعاً لأن بدبياته كانت بالنسبة إليه مقبلاً أفضل

من عقلية لورنس . الا أنه كان أكثرهم ضيقاً أيضاً بالنسبة الى امكانيات
التطورية المحدودة . فلو تصورنا في خيال المربح المثالي الذي سيحدث من
تركيب الثلاثة في واحد بأخذ عقلية لورنس الجبارة ، وحسب فان كوخ
المعوي للطبيعة ، وإدراكه بجسدي لطافته الجديدة . فانه من الأفضل لنا
ان نبدأ بلورنس ونضيف اليه الاثنين الباقيين ، بدلاً من ان نبدأ بجسدي
او فان كوخ ونحاول تطويرهما ليصلا الى مستوى لورنس . وهذا لا
يعني ان لورنس كان غافلاً أفضل منها ، لأنني لست متبناً بهم كثنائين ،
وأما كلامتين . ويقدّر ما يعني الأمر اللامتنسي فان كون عقلية قوية
هو أهم بكثير من كون قابلية على الشعور ، نامية واسعة .

على أن أهم فرضية يتضمنها هذا الفصل هي فرضية ثقالة بأن رغبة
اللامتنسي الرئيسية هي في ان يكف عن كونه لامتنسياً . وهو لا يستطيع
أن يكف عن كونه لامتنسياً ليصبح بورجوازيًا عادياً ، فان هذا انما
يبيده الى الوراء بحراسل ، الى الذئب أو الطفل ، وقد علمنا من
هاري هاتلر ان هذا الطريق ليس عملياً ، وليس حلاً لمشاكل اللامتنسي .
ان مشكلته اذن هي في : كيف يخطو الى الأمام ؟ وقد عاد لورنس
وجسدي وفان كوخ الى الوراء ، واندمر الثلاثة ، ودلنا فحسنا لهم على
جانب من أسباب اندحارهم ، أما في الفصل القادم ، فإن علينا ان
نتبع بعض الاشارات المشتقة من هؤلاء الأشخاص ، لتري الى أي حد
ينجح اللامتنسون الآخرون حيث فشل هؤلاء الثلاثة . ونستطيع ان نرى
الآن أن علينا ان نختبر بمنابة شديدة كل المحاولات التي بذلت من أجل
إيجاد حل ، لأنها قد لا تكون حلولاً بالفصل ، وهناك طريق الى الأمام
وطريق الى الخلف . ويمكن لأي الطرفين ان يحل مشكلة اللامتنسي .
ويستطيع اللامتنسي أن يتبع الطريقين في وقت واحد ، فيذهب قسم منه
الى الأمام متبعاً نظاماً معيناً ليصل به الى نتائج ، بينما يشل القسم الآخر
ذراعاً مثل اندحار لورنس العقلي . وفي كلتا الحالتين يستطيع هذا الانسان

أن يدعي أنه اكتشف حلاً لمشاكل اللامتنسي ، الا أننا ، حين نقوم
بتفحص حله ، سنجد ذلك بتطبيق الظواهر التي حققناها في هذا الفصل
- النظم الثلاثة - لنعرف ما إذا كان حله يتناسب اللامتنسي الذي هو
من نوع جسدي أو فان كوخ أو لورنس . وإذا اكتشفنا في أثناء ذلك
شيئاً من الحقيقة في ادعاءه فليس بأنه ، لم يحصل أي انسان على الإدراك
المسي قط ، فإن ذلك يعني أننا سنكون عجزين على الاعتقاد مقدماً بأن
مشاكل اللامتنسي لا يمكن أن تحل حلاً كاملاً أبداً .

على أننا سنأكلون من أمر ، هو أن مشاكل اللامتنسي بدأت تحل نفسها
بمطلحات الـ "نعم" النهائية والـ "لا" النهائية . فاما اللامتنسي العقلي
فعلبه أن يجيب على الشكل الوجودي : الوجود أم عدم ؟ وأما اللامتنسي
الافعال عليه أن يجيب عن : الحب الخالد أم اللاكثرات الخالد ؟ وأما
اللامتنسي من نوع جسدي ، رجل الحركة ، اللامتنسي الجسدي ، فان السؤال
خاص به هو : الموت أم الحياة ؟ اندحار الجسد النهائي أم الانتصار ؟
ما هي الحقيقة النهائية ، أنا الله أم الشاعة اللانهائية من الضحك الجسدي ؟
ان كلمات جسدي الأخيرة في مذكراته تعبر إشارات :

« ان أبتني الصغيرة تعني : آه . آه . آه . آه . آه . »

« لست أقوم معها ، إلا أنني أشعر بما تريد أن تفعله . انها تريد
ان يقول : ان كل شيء ليس رعباً ، بل غبطة . » (٣٩)

ان مشكلة اللامتنسي هي في مقارنة هذه العبارات مع كلمات فان كوخ
الأخيرة في معنى التقاء وانه لسؤال لا علاقة له بالفلسفة بعد
الآن انه سؤال شخص بالذات .

فلا يلوح انه من عاشر قائماً في ناحية واحدة من ناحية فاصل
 من محتاج الى نوع من الثمن يختلف عن ذلك الذي يحتاج اليه من
 من قائماً في الناحية الأخرى من الفاصل ؟

هذه هي المشكلة التي قادتنا اليها أعلاه في اللازمي ، وكما أوردنا في
 أن قد لدينا أن اللازمي ليس مجتهداً ، وإنما هو أكثر حساسة
 صحيح العقل . فاما ميخائيل وولف فانه لا يتردد في قبول ذلك ، إلا
 مبرح بأنه من نوع أصلي من الانسان ، فإذا كان المقصود بالدين
 من حيث في الحياة ، فعلى قوتها الامانة الروحية ، فان اللازمي يرفض
 بأن صحيح العقل بذلك ديناً ما . ويقول اللازمي انه اذا لم يكن
 يعيش على ايمان ما فان حياته لن تكون بالنسبة اليه أكثر مادية
 ولا كان يعتقد بأن فة اهرست أو مروجي الأعلى . وبدأ اللازمي
 رأت واجبة معينة ، وقد واجهنا خلال بحثنا السؤال التالي : كيف
 أن على هذه التورات ، واكتشفنا ان جوابه صحيح العقل النهائي
 على هذا هو : ارسلة الى المحلل النفسي ، إلا انه هذا الجواب
 أن يتم الحالة على الاطلاق . أما الخطوة التالية فهي ان نقول
 دعا ادون نعالها كمشكلة وباصية . وبمباراة أخرى . دعا
 العقل : اذا كان فاصل الألم لديك واطناً الى هذه المدة
 من هذا اليه . وبما عدنا اللازمي السابق سمعته في
 من هذا الموضوع نهائي هذا السؤال . إلا اننا على
 هذه التورات أكثر . أو في المشكلة
 من هذا الموضوع . فانه لا الهة ولا الهاتية
 من هذا الموضوع . فانه لا الهة ولا الهاتية

الفصل الخامس

فاصل الألم

ان عنوان هذا الفصل مأخوذ من كتاب وليم جيس ، أنواع من
 التجارب الدينية ، وهو يعرفه بما يلي :
 المقصود بفاصل ادراك الانسان بصورة عامة في علم النفس الحديث
 المقدار المطلوب حسونه من الصوت أو الضغط ، أو المؤثرات الأخرى لتم
 الازد الاقتران . وقد يحتاج الفرد الذي يكون لديه هذا الفاصل عالياً إلى
 مقدار كبير من الضجيج ليشغل في حين يكفي أقل من ذلك المقدار فرداً
 آخر بفاصل واطئ . ليشغل حالاً بقلّة كاملة . وعلى هذا الأساس مستعمل
 كلمة الفاصل مع أشياء أخرى غير الادراك ، فنقول : فاصل الألم ، وفاصل
 الحروف ، وفاصل الشقاء ، وسنجد هذه الفواصل واطنة عند بعض الناس
 بحيث يمكن لأفرادها ان يتأزها بسرعة . في حين تجدنا عند الآخرين
 عالية جداً إلى درجة ان ادراكهم معها لا تستطيع أن تتحمّلها . وبما
 أصحاب العقول الصحيحة في الناحية المشرقة من فاصل الشقاء فهم ، في
 حين يعيش الكسبيون والبرودايون وراعه أي في الظلام والحروف . (١)
 ويسمى جيس قائلاً :

أنها مشكلة الشك في أمر الحياة ، مشكلة : « كيف يستطيع الإنسان أن يهدف إلى شيء أو يؤمن به . في حين أنه ليس واثقاً من أنه سيطلق وغير الهواء الذي ينتفخ الآن . » أن هذه الأشياء التي يضعها شككبير على لسان كلوسنر معروفة للجميع . في حين أن الأشياء التالية ، من كلام الدوق في « كتاب سخرية الموت » ليدوس تعتبر أقل شهرة :

« إن ملاح هذا العالم كاذبة ، لأنها تمثل وجهاً ينطلي على القبور والأعناق الملتهبة ، ولا شيء حقيقي .

إلا كل ما هو مرعب . ولو استطاع الإنسان أن يرى المخاطر والأمراض التي تعيط به

في المسافة التي يقطعها كل يوم ، محاولة الانتفاض عليه ،

أو منهوية خلفه ، بعد أن تسلب منه شيئاً عند مروره بها ،

لو رأيها ، فلم أن الحياة تشبه حاجباً وحيداً أعزل

محارب ضد ألف جندي ... » (٢)

ويجب أن نذكر هنا أن نفي ليدوس هذا الخوف ، كما هي الحال مع طان كوخ ،

بأنه عاونه . أما مسرحياته فإنها فاضة بنوع من عبادة الموت ، ومن المحتمل أن يرجع ذلك إلى تأثير نوفاليس وقيل عليه . ويذكرنا ذلك بأبيات كينس :

« لم يلج لي من قبل كما يلوح الآن مليئاً بالمعلوبة ، أن أموت

أن أكلف من الحياة ، عند منتصف الليل ، بدون أي ألم ... » (٣)

وقد يكون من الواجب علينا أيضاً أن نذكر في هذا المصعد كثيراً من كتاب

القرن التاسع عشر وخاصة في السنوات الثلاثين الأخيرة من ذلك القرن ، كالشعراء

الذين دعاهم بيتس « جيل للألمة » مثل : ليونيل جونس ، ودونسن ،

وغيرهم ، وكودرييه ، الذين يحفلون نهاية رومانسية القرن التاسع عشر ، ومن

بينهم مباشرة مثل بودلير ، ومالارميه ، ولوتريجون ، والأبطللي ليوناردني

ونستحق « مدينة الليلة المفزعة » لجيس تومسن أكثر مما نستطيع أن نخصص لها

في هذا الكتاب . لأنها تمثل تمهيداً ظهر في القرن التاسع عشر ، وللأرض الضفر .

التي طلع علينا بها ت . س . اليوت في هذا القرن ، بتأكيدها حل طبيعة العالم الروحية :

« لأن الحياة ليست غير حلم ، تعود بعض صورة

في أغلب الأحيان ، وبعضها ناعراً ما تعود ، في حين تعود بعضها ليلاً

..... وتترك

في الوقت الذي يتغير فيه بعضها ، ويختفي البعض الآخر

يشكر حدوثه مع التغييرات متكررة الحدوث ،

تترك نوعاً من النظام الحقيقي ، وعند ذلك ..

تعتبر الأشياء حقيقية ، وكذلك الأمر مع الذاكرة ... » (٤)

ويدعونا هذا إلى مقارنته بما يلي :

« مدينة لا حقيقية

تحت ضباب دأكن يثره فجر شتائي ... » (٥)

وترجع قصة دو ليل آدم « آكسيل » إلى هذه الفترة نفسها ، بل أن يظنها

ليست اللامتسي تماماً كما يتله بطل قصة باربوس ، رجل ثقب الحائط . ونرى في

هذه القصة أن الكونت الشاب آكسيل يعيش في قصره المنزول على نهر الراين ،

ويدرس القبالة اليهودية والفلسفة ، في غرفة مكتبة التي ترتبها ألواح خشب

البلوط ، ويشر على ابن عمه « القائد » المتعلق بسفاسف هذه الحياة ، فيخترق

صدره بسيفه . ونرى آكسيل في المشهد الأخير محضناً سارة « الزاهية الهاربة ،

في فيو القصر ، وهما يتواعدان على الانتحار ليتجنبنا نقاعة هذه الحياة ، وليجنبيا

حبيهما ما تتطلبه منها الحياة من تغيير عنه : « أما العيش في هذه الحياة فيؤدي

حدها ذلك لنا . »

« هناك حيرة ستراود وجوان إلى النهاية المنطقية . إذ يتحرران . ولا يخلف

منه ... » « جوان من آكسيل وسارة في شيء ، وأماها أقل شعوراً بالصلاب

الذي يسبه « عدم وجود نموذج أو هدف في الطبيعة . » ونهذه عاروا يتحرران

أخيراً مثل لورنس .

$$+ \frac{1}{\Gamma} \left(\frac{\partial^2 \phi}{\partial x^2} + \frac{\partial^2 \phi}{\partial y^2} \right)$$

ان المدلولات التي يشير اليها هذا السلسل التفكيرى كثيرة الى درجة اننا يجب ان نتوقف قليلاً لتوضيحها قبل ان نلجأ في بحثنا لفرقة الشاوية في الأدب ، لقد قررنا في نهاية الفصل السابق ان اللامتنى يهدف دائماً الى الكف عن كونه لامتنياً ، ووجدنا ثلاثة أنواع متميزة من الانظمة التي تؤدي الى تلك النتيجة . أما السؤال الذي ينهض من ذلك فهو : الى أية نتيجة ؟ ، فإذا لم يكن يريد أن يستمر على كونه لامتنياً ، وإذا لم يكن يريد ان يصبح كافئاً اجتماعياً عادياً منجماً ، فإذا لم يكن يريد ان يكون اذن نحن الشيطان ؟

لقد عقدنا السؤال قليلاً بتحليلنا للحربة . يريد اللاهوتي ان يكون حراً ، فما الذي يميز عبودية هذا الانسان المولود مرة واحدة ؟ يقول اللاهوتي ان ما يميز تلك العبودية هو اللا حقيفة ، وعليه طاعتنا نستطيع ان نقول لغيره ، بصرف النظر عما يريد اللاهوتي ان يكون ، ان شرط هذه الكثرة هو مفهوم الحقيفة . الحقيفة ؟ ترى ماذا يستطيع اللاهوتي ان يخبرنا من الحقيفة ؟ ذلك امر صعب حقاً . الا اننا نملك نوعين من الاجوبة ، دعنا الآن نعرض هذا السؤال على لاهوتيين مختلفين لنعرف اجوبتهم بعد ذلك . ان سؤالنا هو : ماهي الحقيفة ؟

باربوس : معرفة اعماق الطبيعة الانسانية .

باربوس : معرفة أعماق الطبيعة الانسانية .

ويلز : شاحنة السيا ، لا شينة الانسان الثامة .

وكانتاني : الوجود الهاري المجرد الذي يشل العقل البشري وينفيه .

ميرسول : العظمة ، لاكتوارث الكون العظيم ، ويصرف النظر عما يفعله هؤلاء الحمقى النصارى الحقيقيين من البشر ، فان الخفيفة رصينة غير متبددة . ان جواب ميرسول هو اكمل الاجابة ، ولهذا دعنا نسال ميرسول : وماذا من الروح الانسانية ؟

ميرسولي : ان أساسها وأساس الكون واحد . يتهرب الإنسان من مخاطره
بالتزامه لا أكثر انما جوهرياً للحياة اليومية .

وَبَشِّرِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ إِذَا أُتُوا بِالْحَبَرِ قَالُوا هَذَا الَّذِي قَالُوا لَكُمْ لَا كَرِهَ اللَّهُ لَنَا هَذَا قُلْ هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ . مَا مَرِ

الحقيقة ٢

كثير : هي المحطة التي تنزل فيها دشتين واحداً ، الشيء الوحيد ، والذي
نزل فيها انك لست يبعثاً تافهاً سطحياً في وقعة المشرع الاجماعية .

مترادف : لا يمكن وصفها ، لا يمكن ان تعيش - ومن برامها يزهد .
 خبا البومة . ونسأل الآن اللامتعين العاملين :

ثاني . لو قلنا : لا يمكن معرفتها . لم نبدأ في رؤيتها لها الا المظاهر ،
فما سر نفي تعاقب الحياة اليومية دون ان نقول له ان استطاع ان يجد ما يقف
أخري للعيش . فاصبحت حياتي بعد ذلك نكتة لا معنى لها .

فان كوخ شفاء بروميوس . - لقد كان بروميوس اول لا منهم .
جنسكي : انه في طرف . والشفاء في الطرف الآخر : اما الكون فهو
أشكي متصل بين اقطب الشفاء .

ينصق اننا انه لدينا نوعان من الاجوبة : هاتان من الله : لعمرو الله لا .
مثل الاول وجود دو كائنات الذي يسي الانسان ، ومثل الثانية : وجود نفسي
الذي يتركه على الانسان

[illegible]

انتباهه عن الشر والعيش في ضوء كل ما هو خير طريقة والمة اذا كانت
مجدية حقاً .. الا انها تمثل حالاً تعرضها السوداوية ، وحتى اذا لم يكن
الانسان سوداويًا ، فلا شك في ان صحة العقل لا يمكن ان تكون كافية
كعقيدة فلسفية ... (٩)

ليست كافية حقاً ، الا ان جيمس لا يعني انها مغلوبة . اما اللاتسني فانه
أشد حجوماً عليها ، وهو يقول عنها بلا تردد : ضحالة وغباوة وقصر نظر ،
ولقد رأينا كيف ان اقوال اللاتسنيين الذين واجهناهم في الصفحات السابقة
كانت أكثر وضوحاً من جميع التصورات التي رأينا منقول الذين اختارهم
جيمس . كما ان هؤلاء اللاتسنيين بلغوا وضعيتهم الحالية براءة جدلية ملحوظة .
الا ان هذه الوضعية غير كاملة ، وهذا ما يقرره اللاتسني نفسه . فقد بين
اللاتسنيون اسباباً كافية لتبرير كرههم للوجود جوازي المولود مرة واحدة ، ولا يلبث
ان هذا المخلوق لا يمكن ان يكون اسماً من اللاتسني بأي حال من الأحوال .
الا ان هذا الوجود جوازي كل الحق في ان يسأل بسخرية : ماذا حق هذا اللاتسني
من نجاح في الحياة ؟ انهم يقدمون البنا فوضى من القاسدين المحيطين مرضى
المنقول (مع استعراضنا لقائ كوخ) محاولين اثبات انهم انواع من الانسان
السامي . ترى الا يشبه هذا محاولتهم حملنا على سكب الماء الحكر قبل ان
نحصل على اي ماء نقي ؟

هذا ما لا يمكن ان يناقش الآن ، اذ يجب على اللاتسني ان يجعل وصيته
أكثر إيجابية ، قبل ان يبحث في ادعائه بأنه المفضل من رجل الشارع . اما في
الوقت الحاضر فان وضعيته يمكن ان تكون اي شيء الا كونها إيجابية . ومادا
لدينا يا ترى ؟ تأكيديات ابداءها بعض الأفراد على ان الشر امر كوني . يجب
ان يواجهه . حسناً ، اننا لن نكتفئ لذلك ، لان أميل متكلم بطل جيمس جعل
هذا الامر واضحاً . اما الآن فلدينا عدد من الكتاب الذين يغروننا بأن الشر هو
من الكونية ومن الاحية في سبيل الوصول الى شكل اسى من اشكال الخير ،
بحيث ان مواجهة بامانة لا تنوق الا الى الجنون . فماذا نقول في هذا ؟ مادامو

كان انخفاض صاعقة الاقصاد والتوقف بحمل في طبائه وجوب الاختيار
بين الامانة او الجنون ؟ ومادا متفيد الامانة والصراحة عقلاً مجنوناً ؟ من
ما لم يختر الحياة والنش في مثل هذا الموقف ؟
فإذا اخترنا النش ، ترى مادام سيكون من امر رغبة غلاشتنا في الوصول
الى الحقيقة ؟

هذا سؤال صعب ، ولا نجد المفضل من تركه بين يدي لامنم غاده
منه المجرب الى مواجهة تلك المشكلة : ذلك هو الفيلسوف السويدي
الدني مرديك نيته .

الا اننا قبل ان نبحث امر نيته ، يجب ان نبحث في تعبيرين حديثين من
شأن في الأدب : لانهما قد يوسعان من فهمنا للموضوع . وكنا قد اشرنا الى
حديث في الصفحات السابقة . انها فرائز كافكا وت. من اليوت . اما قصة
نابها ، والماتم المحترف ، فلها تعتبر دروة اعماله (١٠) . وأطلع لماريجه
لوصية اللاتسني : وهي تعالج امر الزاهد المحترف . ذلك الذي يبيع نفسه في
المعارض والمهرجانات من اجل المال . وبينما يكون في وسط الناس ، بين
كل هذه المظاهر ، يراه يرحب في الاستمرار على الصيام ، الا ان الناس
مضطرون ان الاضطرار ، وهم انه لم يصل بعد الى غاية ما يستطيع الوصول
من الخيال ، وتنتهي الفضة ، ويبقى الناسك في فقصه المشن .
بين العش ، صملاً صلباً ، فيسبر في صباه ، وينسى امره الآخرون
ان واحد ان احدهم يلاحظ قصصه بعد وقت طويل ، ويسأل لماذا يترك هذا
القصص المقعد خالياً ؟ الا انهم يأثرون اليه فيجدون الناسك في آخر وقت ، يموت
من الجوع . حلقاً على علم . ايها يتخرج الناسك مصعب الموت يسي في ادب
احدهم مائلاً له . انه لم يسم عن الطعام لانه عطف ارادة مائلة قربة .
والا . وكل بساطة . لكنه لا يوجد طعام فيه .

لقدما ها انما امر كادل لشر بشر الى اللاتسني . ان مشكلته هي انه لا
يملك الحياء ، وما دامت كل العلاقات الإنسانية الاخرى تحصل منكم التفاهة

اسم نفسي مقدماً الى ايمان اولي ووثقك ما لا استطع ان اقدم عليه .
بعد الشايع انه يستطيع ان يجيب على هذا السؤال به نعم ، ومن الممكن
لهم حاله هذه ، فانه يبدأ بالقل ، الذي يلوح انه يزوده بالاكشاف الذاتي ، وكما
في حالة كتاب المصير الفيلسوف كوردي : « تخضع كل شيء لاختيار العقل . ويقول
له عقله نهائياً : « لست مكتفياً بذلك ، انت تاه . عاظم في لغوه .
فماذا يقول ؟ ماذا يفعل ؟ يستبحر ما دمت تافهاً بذن عقل تاه ايضاً . وفي
هذه الحالة ، فان استنتاجاته ما هي الا اكاذيب على أي حال . « علماكم ،
وجيب عليه انه يستسلم الى الفكرة : ضد يكون هناك شيء . ليس تافهاً ، الا انه
يبدأ عنى تماماً ، غير مفهوم بالنسبة لي . وماذا لو لم يكن هناك شيء . وواه .
كلما ، ان لا يستطيع ان يقول « أؤمن » ولما لانه يتساءل :

١ - سئلتهم القوم الذين ما يزالون على شك من النواحي التي ذكرتها في الصفة
 - سئلتهم ان يسلوا الاضافات اليها . لانا سنستمر في البحث عاكسين الى موضوعها
 - اصله على انه يرجع الى هذه القطعة لبحثها من زاوية مختلفة لا اطلاقا لها
 - الحكمي . لما الان فنجن مضبون بالسؤال : نعم ، انتهائه أم لا ؟
 - ٢ - ويجب ان نفهم بان بحثنا السابق غادنا الى تقرير ولا الهائية . وما
 - من من هارلاف غيمسكي قائلا ان ذلك كان سبب اختيارنا العقل فادرا على
 - الى الحل الصحيح بضمه . ان هذا الموضوع يخص الخلاصة . ولكن ، على
 - ان عدم اعتماد الفيلسوف بهذا . بجرده من صفة الفيلسوف ؟ وهل يستطيع
 - ان هذا الشخص ان يساعدنا في مشكلة الالتمسي ؟ هلما ما يجب ان نعلم
 - في ادواتنا فم نقوم الآن ببحث اعمال فردريك انشه .

والانفعالات التي تلوح عذبة الاساس حتى يصبح فراغاً هائلاً يفرغ الروح الانسانية . يقول جوفروي : (١٢)

« لن انسى ما حيت تلك الليلة من ليالي ايلول التي تمرق فيها الفتاة التي كان يفصل بيني وبين عدم تقي . اني ما زلت اسمع خطراتي في تلك الغرفة الضيقة العارية التي كنت متناً على التثني فيها بعد ان يكون الناس قد ناموا . لقد كتبت افكاري بلهفة وهي تبيط طبقة طبقة لتولد ادراكي مهددة كل الفضالات التي كانت قبل ذلك تمنعني من روليتها ، وموضحة نفسها شيئاً فشيئاً . لقد تعلقت بتلك المضغبات بلا جدوى تعلق الملاح بحطام سفينة الغارقة ، وكنت عالقاً من الفراغ المجهول الذي كنت احس بانني مأسفوق فيه بين لحظة والمخري . لقد رجعت بتلك المشاعر الى طفولتي ، وعائلتي ، وبلادي ، وكل تلك الاشياء عزيزة علي ، الا ان نيار التفكير كان اقوى منها جميعاً فاستطرتني الى تركها كلها ثم بدأ يزداد صعوبة كلما اقتربنا من النهاية التي لم يتوقف ذلك التيار الا وقد اوصلني اليها . وعلمت بعد انه لم يبق في اعماق ذهني شيء قط ، وكانت تلك اللحظة خفيفة مفرقة ، ولما التفت بجسمي المنصب على فراشي في القبر ، شعرت بحائي الساقية الباسمة المليئة لتذهب فجأة ، وبحيائي الجديدة تبدأ ، كتيبة لا بشر فيها ، فلم يبق لي الا ان اعيش وحيداً في المستقبل ، وحيداً مع فكري القاتل الذي تغالي اليها . هذا الفكر الذي اميل الآن الى صبه القناعات عليه ، وكانت الايام الاولى التي تبتت ذلك أشد أيامي كآبة . »

ليست مثل هذه التجربة غريبة على المفكرين ، ويضرب لنا جيسس مثلاً على ذلك حالة جون ستوارت مل ، التي تشبه هذه الحالة كثيراً . وسنبعث في الفصل الثاني بعض تجارب تولستوي الاول وتجاربا مع هذه أيضاً . لقد جرب نيته هذه الحالة ايضاً ، وندلنا بعض كتبه على ذلك دلالة غامضة ، وسنبعث هذه الكتب في وقتها ، على ان هنالك صفحة في « الحكمة المستعة » بتحدث فيها عن « الألم » الذي يضطرنا نحن الفلاسفة الى الحبوط الى اعماقنا مجردين انفسنا من كل تلك الطبيعة الخيرة التي كنا من قبل قد اسلمناها انصافتنا . اني اشك في ان

مثل هذا الألم يستطيع ان يوصلنا الى احسن مما نحن عليه الآن ، الا انني مع ذلك احس بأنه يزيدنا عمقاً . » (١٣) وقد اعتاد لينتبه على الوحدة واعتبرها جزءاً من معبر الصغري ، وقد اقتنع بذلك بطله شوبنهاور حين كان في العشرين ، وبالرغم من انه تار على شوبنهاور في النهاية الا انه لم يتر خضد معبر الوحدة هذا . فرائسته اعمال شوبنهاور في جامعة لايبزك في عام ١٨٦٥ ، وكان شوبنهاور قد قال لاحد اصداقائه وهو لم يبلغ العشرين بعد : « الحياة عذبة جداً ، ولهذا مررت ان اتفقها بالتأمل فيها . » ولدينا وصف لحالة كتيبه حين فرائ اعمال هذا الفيلسوف الكتيب . لأول مرة . ويمكن ان يفقدنا هذا الوصف الى معرفة شيء عن « الفنان شاباً » .

« ان الامزجة المربضة والمضايقات ذات الطابع الشخصي تنصف مجيزة عامة لدى الشباب الذين يتوقر فيهم شيء من السوادوية . كنت في ذلك الوقت شديد تحلل كتيماً بسبب بعض التجارب المؤلمة . غائياً نفساً . لا امل لدي ولا مضغبات موهبة . وكنت اشعر بشيء من الراحة حين ألبأ الى غرفتي وأغلق علي بابها . في ذات يوم مررت بدكان رول للكتب المستعملة فوجدت هذا الكتاب مروضاً من الكتب . فالتفتة وقلبت صفحاته . وشعرت بقوة خفية تجس لي : اخذ هذا الكتاب مطك . فضلعت . وحدثت ان البيت واستقيت على المقعد الطويل . في ذلك الصغيرة الغلامية الكتيبة ناخذ طريقها الي . لقد وجدت بها ، في هذا الامور . ونعمي والتعاسي التي يحفل بها كل مطر . امرأة رأيت فيها العالم والحياة . في ذات غارقة في عطية خفيفة . وشعرت بأن عين التي المفتوحة الثانية تحملي . في ذلك حدثت أيضاً المرض والشقاء . واليد والاستمرار . والفردوس . في ذلك . لقد شعرت بالحاجة الى ان اعرف نفسي . الى ان أقسم نفسي نفساً . في ذلك الحاحاً شديداً . لنني بعد ذلك صفحات مذكروني التي كتبتها في تلك الايام . تلك الصفحات السوداء المظلمة الى الاعمال برأس شديد ، طامحة لا اعادة ساء . هو الامداد في شكل جديد . ولم يقتصر الامر على رحي وانما . حدثني أيضاً حاتي مما مره على ذلك ، اني مررت الى القرائن

في الثانية بعد منتصف الليل ، وانفض في السادسة صباحاً ، واستمر ذلك أربعة عشر يوماً أحس فيها بأنناك عصبي كبير . (١٤)
لقد رأينا إذن ، كما رأينا في حالة لورنس أيضاً ، ان القطة النفسية تكون دائماً مصحوبة بالأم الجسدي . الا ان تغير طريقة نبشه في النظر الى نفسه تعتبر اهم من حالة لورنس بمراحل . لقد كان شقياً مكثباً يشعر بشعور السجين ، السجين في ذهنه وجسده ، ولذلك فان حاسة الاول في دراسة الفلسفة الاخرى لم ينسج له المراكمة التي يرى فيها وجهه هو ، الامر الذي ضلته قراءته لفلسفة شوبنهاور ، لانها أكلت على ما كان يشعر به نحو طبيعة العالم ومكانه فيه . لقد وجهه شوبنهاور انفصاله عن نفسه ، ذلك الانفصال الذي يعتبر الخطوة الاولى نحو المعرفة الذاتية .

هناك تجربتان في حياة نبشه تعتبران مفتاح شخصيته كما تعتبر الفترة التي عد فيها غاد كوخ يده الى طب الشمة مفتاحاً لشخصيته عظاماً ، وسنلجأ في ذلك الى اقتطاف شيء من هاتين التجربتين بالرغم من وجود سنوات عديدة بينهما . اما الاولى فتخبرنا بها رسالته الى فون كيرزفورد في عام ١٨٩٥ :

« بالأمس كانت هناك عاصفة عيفة تهدد بالهبوب ، فأسرعت الى تل قريب يدعى لوتش ، وجدت في اعلاء كوخاً صغيراً ، ورجلاً يذبح عذرتين صغيرتين ، في حين كان ابنه يخرج على ما كان يجري . وفي تلك الاثناء انقضت العاصفة علينا بالرعد والمطر . فتمرت بشعور لا يوصف من القوة والحيوية ان البرق والصف حلكان مختلفان ، قوى حرة ، لا خلق بقيدهما ، الارادة النقية التي لا تتركها الاضطرابات النفسية . يا للسعادة ، يا للحرية » (١٥)

تلوح هذه التجربة بسيطة جداً ، الا ان تأثيرها على افكاره كان بعيداً جداً ، كان متوقفاً ان يكرر منظر الدم . اما الآن فقد امتزجت غبطته بسبب العاصفة مع رائحة الدم وميض السكين ، والصبي المأسوف المطلق ، وكانت النتيجة ادراكه اليدهي للارادة الحرة من معاضل عقله وعجزه . كانت تلك البداية

مطلقاً له من قيد « طبع التي يحبرها فكره » التي كانت مصدر المتاعب بالنسبة له .

اما التجربة الثانية فقد حدثت بعد مضي سنوات عديدة على التجربة الاولى ، وكان ذلك خلال الحرب الفرنسية - البروسية ، حين كان نبشه حدياً صحياً في إحدى فرق الاسعاف ، وقد روى ذلك لشقيقه حين سألته يوماً عن اصل فكرة ارادة القوة .

كان نبشه قد قضى اسابيع طويلة معالجاً الجرحى في ساحات المعارك حتى حصلت مناظر الدم والاعضاء المتفتتة يصل الى حد تخدر الاحساس به ، وفي ذات يوم دخل نبشه إحدى المدن الصغيرة قرب ستراسبورج بعد نهار حافل بقضاء بين الجرحى وكان يسير على قدميه وحيداً بلا رفيق . وفي تلك الاثناء سمع وقع حوامير حديد ، فابتعد عن الطريق ووقف قرب الجدار منتظراً مرور القذيفة . ومرت قذيفة بغرسانها ومثانها ، وكانت خرقة القذيفة ، وبينما كان يراقب الجنود وهم يرون امامه في طريقهم الى ساحة المعركة ورما الى الموت باخته الصكرة والفتح بأن « القوى وأسمى ارادة في الحياة لا تشمل في الكفاح التاله من اجل الحياة » ، انما في ارادة الحرب ، ارادة البطرة ...

علينا ان نخصص هاتين التجربتين بعناية وبلا تحامل ، واننا نجد فيها شيئاً من « ميراث التصرف » . وقد كان نبشه سجيناً ، طبعه التي تحبرها أفكاره ، في حين تشير هاتان التجربتان الى غبطة بالحياة ، وبعد ذلك لدى بليك في قوله : « الحبيوة هي اللحظة الخالدة » . ان العبارات ، اخرى حرة لا حلق بقيدها ، و « الارادة الحرة » يمكن ان تعتبر أساس فلسفة نبشه ، وهي ليست غير ذكريات لتعبد معتل الصحة رأى : « يا تحمل الصحة الخالدة » . فنحدر من حدوده المحدية ومن سحابة الشخصية والعجز . كانت تلك أعمق معادف نبشه . وقد بينها في الصفحات الاولى من كتابه « مولد المأساة » التي كتب حين كان اسيراً شامياً في جامعة بول

« التدهور السعيد الذي مشى من اعقاب الاساءة » . ان من أعماق الطمس . في

لحظة ذوبان الشخصية الفردية وتحللها، والذي يجعلنا نحصل على شيء من الامتزاج الديونيسي الذي يمكننا ان نفهمه جيداً بتجربتنا لحالة السكر . ويمكن علق مثل هذا الذهن باستخدام العقاقير المخدرة التي تجعلنا ننشأ ونصبح بشر الاوائل البدائيين ، او عندما نخل الربيع مطلقاً المبطنة في الطبيعة كلها ، فلذا استيقظت هذه الاحاسيس الديونيسية ذابت اللات واصبحت نمياً منياً ... (١٦)

لقد عرف نيتشه هذا الاحساس واستخدمه قياساً بحكم بواسطته على الانياء . ويقول نيتشه ان سقراط لم يعرفه ، وبضيفه ، منزللاً بعد ذلك عالم الاكاديمية ، ان سقراط انما يمثل ندور الحضارة الاغريقية . في حين كانت ذروتها تستل في عبادة بانوس ، اله الحيوية الفياضة الحام . وطبق نيتشه ذلك على معظم الفلاسفة والمفكرين في عصره أيضاً ، فلم ينج منهم الا شوبنهاور ، وسياني اليوم الذي بقذف فيه بشوبنهاور ايضاً لينتج بالبقية . وهكذا لم يكن نيتشه ليعتد القائمة والعشرين حين وقف وحيداً ، ما عدا اثنين ظل يحترهما وهما شوبنهاور وفاخر ، فكانوا ثلاثة رجال ضد العالم كله ... ولكن أي رجال ؟

كان نيتشه قد عرف فاخر شخصياً منذ عام ١٨٦٨ ، اذ قابلته بعد تعيينه استاذاً في جامعة بازل ، وكان ذلك في مدينة لايبزك . يوم كان فاخر في الخامسة والحسين ونيتشه في الرابعة والعشرين . واستطاع نيتشه في أثناء وجوده في بازل ان يجعل من تعارفه ذلك مع فاخر صداقة حارة . اما فاخر فكان يعيش في تريشن على بحيرة لوسرن ، وكان منهما في انهاء ملقته ، الحاتم . زواجه كوسيا لون بيلو التي كانت قد هجرت زوجها فتعيش مع فاخر ، وكوسيا هذه هي ابنة فرانز ليست . ووجد نيتشه في منزلها للاشرعي الراحة المنشودة ، فصار يقضي الليالي مع فاخر ، متحدثين حتى الصبح . وأطلع فاخر نيتشه على مقاله ، عن الحكومة والدين ، التي شنت على فكرة أن الدين والوطنية ضروريان جداً باعتبارهما «قيود الشعوب» . في حين ان الملك وحده هو الذي يسو على ذلك متمنياً بالثجاعة التي تزله للمعاناة ، لرفض الضلالات الشائعة التي يروجها ، الفن الذي يجعل الحياة تلوح وكأنها

لينة ويحبنا مصيرنا المروعة . (وبعد عشر سنوات فقط ، طلع دوستويفسكي على الناس هذه الصكرة ذاتها في « الانعومة كازامازوف » مستخدلاً الملك القنص العام) .

كان نيتشه يعتبر فاخر أخاه الروحي ، في حين كان فاخر يعتبره تلميذه الشاب اللامع . على انهما عطفان معاً . اذ سحين قريبا اليوم الذي سيكتب فيه نيتشه كراماً يثبت فيه أن يزيه أعظم من فاخر . ويكتب فيه فاخر كراماً آخر يثبت فيه ان نيتشه كان يهودياً . وان من يقرأ نيتشه كما نقرأه ، ويستمع الى فاخر كما نستمع الى فاخر ، ليدعش اشد الدهشة متأللاً . فلذا يسف عدان أرجلان هذا الاسقاط فينكر أحدهم الآخر ؟ أما الجواب فهو ان نيتشه كان شاعراً فيلسوفاً لم ين . ولم يضعف طموحه يوماً ، في حين كان فاخر في عام ١٨٦٨ مذهباً ناجحاً جداً ، وكان مفتعاً بكل الاقتناع بحالته تلك . وعليه فان المذبح الذي يسبق نفسه لا يمكن ان يحتل المقام الراسي بما هو عليه ، وهكذا استمع يوماً الى « سيد المعنى » غصي كل شيء ما عدا اقتناعه الذاتي بموسيقى الكيان والوقوف القرسية . ولم يعد أمام فاخر الا أن يأسف على انقلاب تأمليه ضده . الا أنها كانتا في عام ١٨٦٨ على اتم ما يكون من الوفاق ، وكانت غابريتها المحسنة تعطي كل شعور النور . وقد أضاف نيتشه فصلاً الى « بولك الأمساء » بعدد فيه فاخر ويعتبره مسيح الفن . وكافاه فاخر على ذلك بإعلانه ان هذا الكتاب كان واحداً من « أروع الكتب التي قرأها

أما فاخر نيتشه من أساتذة الجامعات فقد كانوا أقل متحمساً لفن فاخر اذ توقعوا من نيتشه ان يكتب كاستاد . الا انه كتب كشي . فأطلقوا عليه لقب « الناشئ » المروء . كان نيتشه سي . لحظ ، ولم تكن تلك البسمة التي اشتهرت عنه لتزول الا بعد عشر سنوات اخرى يستعيد خلالها مرفقه كاستاد . الا انه لم يكن متوفراً به ان يدرك ذلك في مي صغريه وشابه . وانه لما يدعوا الى الاسف أنه لم يدرك ذلك . لان عقله في البساطة على المدفوع كلمه حظه فقد بدأ الآن لأصطفاها الذي لم يته الا كونه . « اصبح مسوفاً الى التأني على نفسه والادعاء عظمة » . وذلك « حقه » ضد المحافظين الذين اعتبروه ضده « حافل » حتى لقد

لان ذهنه ارفع الى مستويات عالية من التفكير حين كان يتبع بصحة جيدة .
كان مثل فان كوخ في أن الأمور الثقافية ضيق عليه الخناق في اللحظة الحرجة
التي بدأ فيها الانيار ، ولم تنجح ثقته بنفسه من هذا أيضاً ، إذ أرسل احد اصداقه
ليخطب له إحدى القنيتات ، فرفضت ذلك وتزوجت الصديق (وكانت تلك
الغداة ثور سالومي التي أصبحت بعد ذلك اقرب صديقات للشاعر البشني
العظيم الآخر راينر ولكه) . أما أشد كبحه تعظيلاً وعمماً فقد أثارت مقفي
المانيا وجعلتهم ينهونهم بالاسراف في حب الذات وبالجنون ، أما أفكاره التي
لاحت له عملاقة ، جذيرة بأن تميز العالم هزاً ، فقد استقبلها الناس بقنور .
الا ان الروح الطفولية التي تسود رسالته دائماً تبحث على النشئة :

وأما الصديق العزيز ، ان قصص آب نسطح علينا الآن ، في حين تقرب السنة
من نهايتها .. الهدوء والسلام ينتشران في الجبال والضايفات ، في حين تلوح في
أفق ذهني أفكار لم أهدأ فيها من قبل . يجب ان أعيش سنوات أخرى . انني
أشعر بما يروحني اليّ بأنني أحياء حياة متناهية في الخطورة ، ذلك لانني أشبه آفة من
حله الآلات التي تنضج احياناً . أما شدة مشاعري ولحساسي فأنها تجعلني أرعد
وانفجر ضاحكاً . ولم يكن باستطاعتي عدم مرأت ان أهاجر حرفتي لسبب
نافله هو أن عيني متورمتان . ولكن لماذا ؟ هـ . ذلك لانني كنت . في
كل مرة ، قد بكيت كثيراً في اليوم السابق حين كنت انمسي - ولم تكن
دموعي دموع انفعال ، وانما كانت دموعاً حقيقية سببها غبطتي الشديدة .
كنت أغني وأحفظ بكلمات حقاء ، وكانت ترانيتي رؤى ارى فيها الناس
قبل أن اقابلهم في عالم الواقع . (١٧)

يذكرونا هذا بعبارة فان كوخ : « أما بالنسبة الى اعماله الفنية ، فقد ضيقت
من اجلها بحياتي ، ومن اجلها فقدت نصف حيلي » . الا ان القسم الاخير منه
يذكرونا برجل آخر عميق في تدينه ، ذلك ان باسكال استعمل عبارة « دموع
التبلة » في وصيته العجيبة التي وجدت في بطاقة ممرته بعد موته . وكان
يصف فيها الرؤيا التي رآها بعد مرضه وعذابه الطويلين :

والنار

له ابراهيم والله يتقرب والله اسحق

لا اله الا الله

الارادة المطلقة .. الحرة من حيرت العقل ..

لقد حرف نيتشه بعد ان هانى من العذاب ما عالى ايضاً ، وانه لم يسهل
عن المحكمة الممنعة ، فاعلان :

« يلوح أنها مكتوبة بلغة العواصف والشكر يتلحق باستمرار . كأنما قد
حدث شيء . لم يكن جنونه متوقفاً بلرة - شكر من شيء من مرضه - نوا - أما
هذا الشيء الذي لم يكن متوقع الحدوث فهو التفاه . وليس هذا الكتاب
الا مادية طويلة بعد حرمان شديد ووحدة وضعف طويلين ، انه تأجيج
الحياة للمعادة . وبقيقة جديدة للايمان بعد بعد ... (١٨)
كانت قوة الوحدة والضعف الطويلة هي التي كتب نيتشه خلالها كبحه
السفراطية « أفكار ليست في وقتها » و « فجر النهار » و « الناس انسانيون
أكثر مما يجب » . ثم بدأ يظهر شيئاً من الفلك . شكك المفكر الذي يكتشف
انه كان قد نبذ الجسد والمظاهر :

« الانضاء اللاعنبرك للسلطانيات الجسدية تحت قناع الموضوعي والمثالي
والروحي المطلق لقد سألت نفسي مراراً ، ألم تكن الفلسفة الى حد
الآن تفسيراً للجسد ، وحين فهم له (١٩)
وهو يتحدث عن ذلك الشخص الذي يشمل كل شيء » (والذي
انطقت عبارات جوفري لايضاحه) :

« ... يلوح الانسان ، بعد هذه التجارب الخطرة في السيطرة على النفس .
و كأنه صار انساناً جديداً ... ميالاً الى التخصص والاختيار أكثر من قبل .. اما
الثقة بالحياة فقد تلاشت ، بل ان الحياة نفسها صارت مشكلة . وليس من الضروري
ان يصبح الانسان دائم الاعتلال والكتابة بسبب هذا . بل انه يستطيع ان يحب
ايضاً ، الا ان حبه مختلف . انه = امرأ يشك هو فيها .. (٢٠)

هذا هو مفهوم نيتشه للإنسان المولود مرتين ، ويستمر في الصبر من
غاية أملة في الروحية السراقية ، فيقول :

«... علينا ، ككتالين ، أن نعلم كيف ننسى وكيف نعرف... على أنه
ليس من المحلل أن نقضي أثر الصبرين للشبان الذين يقيمون في السادة ليلاً ،
معاظنين التآليل ، مدعين بأنهم إنما يكشفون النظام من كل شيء . كان غيباً لأنه
من الخير أن يغيب . كلا ، لقد بدأنا نستمع من هذا اللوق فتاته ، حله الرغبة
في الحقيقة ، (الحقيقة منها كلف الأمر) ، وهذا هو الجنون الذي يتسبب به الشباب
في حبهام للحقيقة ، ونحن الآن مجربون إلى درجة أننا لن نلجأ إلى هذا ، لأننا لم تعد
نعتقد بأن الحقيقة تبقى حقيقة إذا تجردت عن الشر . » (٢١)

ويخلص نيتشه في الملاحظة الأولى من الكتاب الرابع صانكوس وايوايوس :
« ما زلت أعيش ، وما زلت أفكر ، ويجب أن أظل حياً ، لأنني يجب
أن استمر على التفكير . أود أن لا أقول من الآن فصاعداً غير نعم » .
هذا هو مفتاح لفظة نيتشه منذ الآن إلى النهاية ، إذ أنه بدأ يسأل بلا انقطاع
ويطرح ويختبر كل شيء ، وقد نبذ كل الفلاسفة الغربيين السابقين قائلين أنهم
حقى الحياة ، ففصح لمسئلتهم كل ما يجعلهم من الخراف في الآسية ومن ضعف
ويصل من انغلاقية ، وكافطه الاستبدالية ، ومن « هينزل » أهدافاً خاصة لهجومه .
لأن هؤلاء طغوا شأن الفكر وكأنه من الممكن فصله عن الحياة وخصف فربطاً على ،
وبهذا فأنهم إنما جردوا الحياة من قيمتها وفشلوا في إدراك أن الفكر ليس الأوسيلة يجب أن
تساعدنا للوصول إلى حياة أكثر وفرة . يجب على الإنسان أن يؤكد على الأشياء
ويشبعها وأن يقول « نعم » دائماً ، وأن يشكر دائماً . أما هؤلاء المفكرون فلم
يكونوا غير سجناء ، فلما من شأن الحياة (أو كما دعاهم كبير كفرد) : « يدعون
بما يعاناه الآخرون » . إن أعظم ما يستطيع الإنسان أن يفعله هو أن « يشكر رغم
كل شيء » ، وأن يكون مدركاً لاسرأالي له « لا ، النهاية » ، فاعلم لكل ما
يرتبب عليها ، وأن يظل في الوقت نفسه على انجانيته بالتبعية للحياة .
تعلم نيتشه أن يقول : نعم ، شيئاً غريباً . وكانت تلك هي المشكلة التي شغلت

باله في أثناء خروجه لخصي : « لا ، النهاية » ، أم « نعم » ، النهاية ؟ وقد نزل
جامعة بأول مريضاً ، شجرة من الحياة ، شجرة من الحب ، ومن النداء الذي
جوبه به ، وجمع فوته من جديد ليقتلها ثانية ، فصار شجرة من لمرورك لبقته
عنه ومن أسلامه التي لا تنفخ مع الكون ، شجرة من التبدول الذي لا يهي
يتحرك متغلباً من « لا » إلى « نعم » ، ومن « نعم » إلى « لا » ، ومن السعادة التي
جعلت الشقاء يلوح عديم الأهمية ، ومن الشقاء الذي جعل السعادة تلوح وحماً .
كان يريد أن يحصل على المعرفة الأكيدة ، فنظر إلى نفسه ، إلا أنه وجد
أنه لا يستطيع أن يقول : نعم ، أو « لا » ، وسأل نفسه : أهلاً من طبيعة الحياة
حقاً ؟ هل يمكن أن يوجد ذلك الإنسان الذي يفضل كل شيء ؟ وانطلق خياله
ليصور ذلك الإنسان الذي يبلغ به العظمة حد البات الأشياء . ولم يكن يبحث عن
البطل - « لا بطل يستطيع أن يقو بأصعاب الفيلسوف الكامل ، وإنما كان يبحث
عن شيء أو القديس أو المفكر أو الفرد الصلي » ، أو ربما الفرد الذي يجمع
فيه أوجههم .

وولد في ذهنه مفهومان : الإنسان السامي والسريرمان . وتكرر الحديث المتأله .
أما قوله « نعم » فيعتقد هل إرادة الحياة ، إلا انقراض الحياة تمتد على الإنسان نفسه .
ويمكن أن ترداد إرادة الحياة حقاً وسمة بالتأمل والكفاح المعني المستمر ، والأيمان
التي يرتكز على البات الحياة منها كلف الأمر . أما للتجربة فإنها العدو ، ولا يمكن التغلب
عليها بالموت منها أو تحويل الوجه عنها (كما قال آكسبيل : أما العيش في هذه
الحياة - فيؤدي ذلك لعلنا) . وإنما يمكن ذلك بتسربها والاشتراك بها
وهكذا . عندما تكون التجربة هي العدو ، يكون السؤال آنذاك : جيد أم جيد ؟
سيد التجربة أم جيد ؟ كما أن ذلك جريه من السمة بحيث أننا لا نستطيع أن نتصور
أشياء بتسربها كلها دون أن يكون متطاولاً كبيراً ... أي أنه لا يبقى إنساناً . هل
أه فكرة التي السامي أو الطل السامي لم تسكر نيتشه إلى الدرجة التي يمتز ما فيها
قاعدة راسخة وأساساً متيناً ، لأنه احتفظ بقدمه على الأرض متغلباً بأهامه بفكرة
« جرد الحديث المتأله » . وصعداً حتى نفسه من المثالية ، وتخلص صعداً .

نجد في الكتاب الأول من « هكذا تكلم زرادشت » أن الناسك الضمير
يعنيه « قالاً » : « أجل اني أعرف انك زرادشت » فإن عينه صافية ،
أما أنه ليس عليه شيء قذر ، ألا يسر في طريقه كالراصي ؟ . هنا
هو زرادشت ، الذي « نوي الصمة » الذي بدأ بتة البشرية كما بدأها
أنبياء الصحراء الذين تحدث عنهم أوريس ، ناركاً المجتمع ، متروياً لوحده
طيلة عشر سنوات ، ويعود زرادشت كأنياء الكتب القديمة ليدعو ضد
الوثنية . ويجد وثنيين يعبدون الناس ، أولها هو النظام المثالي ويعبد الأساتذة
والإنسان العاقل الذي أضفت عليه الكيفية صفات الإله . وقد اختار بليك
وكثير كفارده هاتين النقطتين أيضاً في مجموعها . فكتب بليك في « غلا » :

« ثم عبط الإنسان متعباً الى رواقع فصره »

وانعكس موقفه خيال من عقله المتعبة الذهنة ..

وارمى الإنسان على وجهه أمام الخيال المثالي

قالاً : يا إلهي، منله مني هذا التغيير؟ انك تعلم أنني لاشي... (٢٢)

بلوح هنا من الرحلة الأولى من سبادى الانسانية ، وكان بليك يقول
« اخترع الانسان فكرة الله » . الا أن ذلك ليس صحيحاً . فقد اخترع
الانسان هذا الإله فقط - المداوم على اتباع الحق - صانع الحب . بينما
يصرح زرادشت ، بي الطبيعة ، المتصرف الطبيعي ، قالاً : « ... اني
أعلم الناس هذا ، فلا يعودون يبنفون رؤوسهم في رمال الأشياء الساهية ،
وأما يحملون هذه الرؤوس حرة ، رؤوساً من الأرض ، تهب الأرض معنى . »
هذه هي فلسفة نيتشه الانجابية . وتصلح هذه البداية أن تكون نقطة
الانطلاق لكل فلسفة ماوية أخرى ، كالمادية الماركسية والاستدلالية المبنسرية

دراسة تحليلية ، إلا أن هذا يمكن أن يقارن معاً لاستضافة فلان نيتشه وحرفى التحليل على كتاب
دور لك « حياة الحياة » ، قال دور لك : « ليس الزمعة صحيحاً كما انه ليس الانبياء حياً فم به
الإنسان » . فأجاب نيتشه : « كلا » فالزمعة أمر نصيري بشر به أنبياء الناس والخراسم . انه حقيقة
يجب أن نعلم حداثا إذا أردنا أن نعطي علم الحياة حداثاً . وكان ملون نيتشه : « ... انه هذا
قالاً ، فلم يحدد يوماً قبل أن يفسر ما به . »

« الخاصة » . إلا أن بدايات نيتشه الدينية حلتها الى أبعد من أية ماديه
استدلالية فاحصة . لقد بدأت فكرة زرادشت كره فعل على مرض نيتشه
الروحي . وصار الآن يحاول أن يصور فكرته عن الصحة الكاملة جسمه
في زرادشت . ولم يكن زرادشت من نوع السوبرمان . وأما كان الرجل
الذي استطاع أن يتخلص من الأمراض التي تصيب الآخرين جميعاً معجب .
ويرى نيتشه البشر « مثل حيس » مرضى فاسدين مخطين ، فيشر بالدعوة
أن « اكتشاف هذه الأمراض للتخلص منها » .

« ما الانسان إلا جدول فسد مأوه وتمفن » ولا يمكن أن يستلم هذا
الماء أحد ولا يعنيه شيء من فساده وغفونه ما لم يكن محيطاً بذاك .

التي اعلمك عن السوبرمان ، فالسوبرمان هو المحيط ، وفيه يتلانى
حفاؤك ويضيع .

ما هو أعظم شيء يمكنك أن تجربه ؟ ان الساعة التي تعاني فيها من
أعظم الاحتضار الساعة التي تبدو حتى سعادتك كرهية بالنسة بليك فيها ،
كذلك عقلك وكذلك فضيلتك .

الساعة التي تقول فيها : ما هي قيمة سعادتي ؟ انها الحرمان والدمر
« لا راحة الخيرة » . إلا أن سعادي يجب أن نبرر نفسها ...

لمست حظيتك وأما اكتشافك هو الذي يدعو السماء ، وحتى لو كنت
مستطاً فإن جشمتك هو الذي يدعو السماء .. (٢٣)

ان أعاننا السابقة لا نترك لنا مجالاً للشك في ما يقوله زرادشت ، فانه
« ... يصعب تدوير القيم لدى اللامتعي » . واحتضاره لنفسه ، وهو يطلب
من الجميع أن يكونوا لامتعيين .

« ... تحصل على الطريق البسيط » . طريق البورجوازي - ويشير الى انه
« ... الوصول أن يكون الانسان حائطاً عطياً من أن يكون بورجوازياً » .
« ... أن زرادشت يعطى بالطرف »

« ... ما الذي خاضه البنا » . ادشت؟ ما هي معناه دونه ؟ والجواب على

والقابلية الأولى على ضبط النفس للتعلم على الأحاسيس التي يثيرها المصنوع
والطاقة الانسانية تماماً كما كانت تنقص هذه الأمور كلاً من فلان كوخ
ولورنس وينسكي وأبطاله سارتر وباريوس وكاسر . أما أبطال همنغواي
فقد نجوا من هذه الطاقة بالاشتراك في تجارب عنيفة : مثل شيد الخطر
ومصارعة الثيران والحرب . إلا ان هذا لم يحل أية مشكلة . وإنما كما
يقول برناردشو : عادت كلها الى شهوة القهالة المتشبه والرجة العالية
في الحالة . ان المشكلة هي تلك التي يبتاعها في الفصل الثاني وعالم بلا فيه .
ان هذا العالم الذي يولد فيه اللاوعي هو دائماً عالم بلا فيه . ان هذا العالم
بالنسبة الى الأهداف والشهوات التي يتصورها اللاوعي . لا يمكن ان يسمى
حياة . انه نهار لحب . وهذا هو سر شهوة اللاوعي . لأن في الشر جميعاً
شيئاً من غيرة القطيع . فهي تقودهم الى الاعتقاد بأن ما يضط معظمهم
يجب أن يكون صحيحاً . فإذا لم يستطيع اللاوعي أن يحل شيئاً جديداً
تسعى مع الشدة التي تتميز بها أهدافه . انه من الأفضل له أن يبقى نفسه
تحت هيمنة الأوتويس . لأنه سيكون متبوعاً دائماً . ولي ينسب المصنع قط .
ولكنه اذا استطاع أن يجد الهدف . استطاع أن يتعلم على صف الصور .
فلقدح اللاوعي يتقبل ما يلي بلا أدنى تردد : انني مختلف من الآخرين . لأنني
مفروق الى شيء أعظم . ولتدعه يتصرف كالإنسان الملعون ليكون شاعراً أو
نبياً أو مصلحاً اجتماعياً . إذا انه بذلك سيحل نصف مشكله . إلا ان اللاوعي
يقول الآن : توجد في معظم البشر آخرة مفرية لتفهم الى الارتباط بغيرهم
من البشر . وتلك هي غيرة القطيع . أما أنا . فاني أحس بغيرة لأفري .
برابطة قرآني . أعظم بدلاً من البشر . وتطلب مني شيئاً من السوء
والرغبة . أما حين عثرت اللاوعي بالآخرين وبطفت عليهم . فانه يجد ان كل
ما يميزه عنهم يتنوى وينتهي . فهو لا يستطيع أن يقول : أنا شاعر . وهم
ليسوا كذلك . لأنه يترك حالاً . ان لا يوجد رجل أعمال كامل . تماماً كما في
حده . لا يوجد شاعر كامل . فلا يستطيع إلا أن يقول : ان الهدف الذي ينبغي

في شاعر أو هو أقوى لدى مما هو لديهم . ان ابرته المخاطبية تشير الى السطو
الغاة لاجلانية . أما ابرهم فانها تتورق في كل الأنحاء . ولا تشير الى السطو إلا اذا
قرئت منه شيئاً . أي حين يتصرفون تحت تأثير الوطنية . أو دلتهم . أو
المخاطبة . ولست أقول من شأن هذه الصواميل الثلاثة الأخيرة . فان الى
الكل النافع الانساني الذي يثير فيه العمل تهدف صريحة واحدة . وإذا
استمرت لمدة طويلة كافية . فبماكانها أن تجعل من الانسان لا شعورياً . وهذا
نفس بليك يقول : اذا استمر الأحمق على حقه وانه يصبح حكيماً .
سبح هذه الاستنتاجات واضحة بعد فرائضنا لميتة . لأنه حتى حشرات
شبهه ماكانها أن تفهم كثيراً من الفسوف على الطريق القاموس الذي يريده
انه من أجل الخلاص . ولتبدأ بالاستنتاجات التي وصلت اليها نيتشه .
أنا عشتا عن في الفصل الرابع : ان الطعام العظمي ليس كافياً عند الله .
وليس . وادشت إلا فعالية عقلية كعاقبه . وهو أيضاً شاعر . وصوف
خبيث مثل فان كوخ . وعاشق لشجدة مثل هنسكي . لأن لا شيء من
الادعاء بأنه راقص . والرقص هو أبلغ أنواع التعبير الثاني . ويستطيع
أن يجد فيه رد الفعل نفسه الذي تحسه لديه بليك . وبذلك وتجان هذا السوء
هذه . لأن : وقت دائم اني يكره بانيه الحسد : أنا الحسد دائماً ولا
حي . يكره الحسد . ليس الروح إلا أحمق لشيء من الحسد . في حين
. . . بليك . ليس للاسود حسد . فسر الروح . لأنه ما يدي الحسد
هو في الحقيقة جزء من الروح . فبه انفس الحسد . وحدث ان ما جاء
ما . . . إلا ما تصور ان ما جاء لهم . وهذا هو أن الحسد حين
إلا ان يتدبر انفس مفهومة هذا خطأ مع المصنوع المسيحي . . . ان
الحسد ليس من حذل حذل ولا انفس له حتى على الروح . . . ان الحسد
الروح الذي الذي حصر . ان الحسد متشبه في الفنون الباطنية
وأيدي . حذل حتى انفس في شاعر من أولاد الرهبان . يعتبر اللاعن حراً
في عذابه . إلا أن صلاته حمله معاً للأشياء كلها حبه . وطناً ول حرامه

يكس في عودته الى اعماقه . بعيداً عن الأشياء الخارجية . وكان متعلقاً بالمسيح أكثر من تعلقه بالمسيحية التاريخية . ولما لم يجد شيئاً من اضطراب الجسد لدى المسيح . فانه استطاع أن يصرح بأنه مسيحي لا يتعمق ايمانه شيء . أما نبشته فقد كان متعمقاً بلوثر أكثر من اهتمامه بالمسيح . ولما كان لوثر يحترم الجسد . فقد دعا نبشته نفسه مضاداً لمسيحية . في حين كان يعني أنه مضاد للوثر . وبقل نبشته عن بليك تكريباً وذهنية . رغم وجود تشابه جوهري بينهما . على أنه من الأفضل أن ندعو نبشته باسم المسيحي من نوع بليك . بدلاً من اعتباره وثيقاً كاثوليكياً . على شرط أننا نفهم ماذا يعني بالمسيحي من نوع بليك (وأنه ليسوا أن يقرر أن دراسة مسيحية بليك ليست من اهتمامات هذا الكتاب) .

لقد فهم نبشته اللاهوتي أكثر مما فعل فلش أي واحد من أولئك الذين بحثناهم . لقد كان لورنس وفان كوخ وجيلين بصلان في الظلام . في حين لم يكن نبشته كذلك .

ه ليس الارتطاع عبقراً وإنما النقطة هي المخيفة .

تلك الوحدة التي تهبط اليها النظرة . في حين تتلمس اليد حولها باحثاً عن طريق الى الأعلى ...

تتعلق ارادتي بالإنسان . وأربط نفسي بقيود تشدني الى الإنسان . لا تفرج مرفوع الى الأعلى .. الى السوريمان . حيث تنطلق ارادتي الأخرى . (٣٢) لقد خطا نبشته الخطوة التالية . وتخلص من عالم متراود الخالي من أي هدف . قاضياً بكلتا يديه على مصيره كني . بالرغم من أن ذلك يعني بقاءه وحيداً تماماً . وكان في البداية يحتر ذلك . وغبة في الحقيقة منها كلف الأمر . وبطل أن هذا هو الدافع الذي يمكن فيه . إلا أنه اكتشف أعماق هذا الدافع مما بعد . فلم يتخذ وغبة في الحقيقة فحسب وإنما وجد وغبة في الحياة . الإدراك وديوان الروح في المادة المنة . ولم يكن هذا الأمر مألوفاً للمشككة . وقد يكون كذلك .

أمني من أن الوراء ان ما أراده نبشته هو أن يبدأ ديناً جديداً . قد شعر وكما هو عليه . بطل ولكنه . بأنه الوحيد الذي أدرك ضرورة ذلك . وأنه . لذلك . الوحيد الذي يجب أن يعمل أعباء هذا العمل المتعب على نفسه . إلا أنه لم يكن يعلم كيف يبدأ . وكان كل ما درسه يؤمله ليكون دائماً روحياً محبب . وقد كان أفضل له لو درس كيف يكون قائماً أو قسداً . كان جوهراً مثلاً يشبه نبشته من حيث الجوهر . وكان عموماً لأنه آمن بأنه يجب أن يفرض عن طريقته داخل المسيحية . فقصت كان ذلك الأمر الوحيد المقبول الذي كان باستطاعته أن يفعله . ما دام الأمر في الصبراء . مع مع الأورومي الجديد ولا يسيه إلا أن تأثير نبشته كان أعظم . لأنه يؤمنه لأن يؤمنه اختار أن يصر عن نفسه داخل للحيية . في الحياة البطولة التي أيداه نبشته أعظم مراحل . وكذلك العقائد التي مائة . في أممته وقرى بها أكثر مما تعمل ذلك مائة يؤمنه المعنوية في طيات السان .

في هذا العصر المتفرع في حياة نبشته هو الضباب . ولم يكن ذلك ...

مؤمنة لتوعدت لديه القوة على المساعدة الانتعاش الروحي . إلا أنه بدلاً

من ذلك عامه تنوعاً . وكانت إيمانه شبه مذبذباً كعادته .

سقط في الصحراء وتخلل المحققين به جسد . لهذا عصر نبشته بالرغم من

أنه كان في ذلك الوقت في عالمه الداخلي .

في هذا العصر من ذلك الوقت .

في هذا الوقت كان شيء ما مظلوماً . لم يكن ذلك ...

في هذا الوقت كان شيء ما مظلوماً . لم يكن ذلك ...

في هذا الوقت كان شيء ما مظلوماً . لم يكن ذلك ...

في هذا الوقت كان شيء ما مظلوماً . لم يكن ذلك ...

في هذا الوقت كان شيء ما مظلوماً . لم يكن ذلك ...

في هذا الوقت كان شيء ما مظلوماً . لم يكن ذلك ...

أما اليوت فقد حلها لنفسه بالعودة الى التجاليد . وسنواجه مثل هذا الموقف حين نبحث ت. ب. حوله في الفصل الأخير .

أما الآن يمكننا أن نلخص مساهمة نيتشه في الموضوع . فقد حل نيتشه مشكلة الجمع بين الجسد والشعور والمثلية وبلغ النتائج ذاتها التي توصلنا إليها في الفصل الرابع . وأرادنا أنه يعتبر اللامتسي لياً مستتراً - حتى عن نفسه - وأن هذا النبي يجد خلاصه في اكتشافه أعظم أهدافه وإلقاء نفسه فيها بعد ذلك . وهو لا يميل قط الى ما يدعو اليه سارتر من استسلام - أي الاعتقاد بأن أي هدف هو مقبول ما دام فيه شيء من الخير للآخرين - فإذا أردنا ألا نوضح هدف النبي هذا بأبسط ما يمكن لوجدنا أنه الرغبة في صباح : « استيقظ » في كل اذن . ولكن لماذا هذه اللحظة ؟ ومم هذه اللحظة ؟ وهل ان البشر نائمون جميعاً ؟

إن ما نحتاج اليه هو دراسة سيكولوجية نافذة للوضعية الانسانية ، فإن هذا كله عندوه المعنى بالنسبة لنا ، حتى نستطيع أن نقول : الانسان هو هذا ، وهذا هو ما يتقرر أن يفعله .

لم أحاول في هذا الفصل أن استعرض استمرافاً كاملاً جواب نيتشه الذي حاول أن يضر به مشاكل اللامتسي . بل انني لم أكتسب شيئاً من الكتب التي عالج فيها هذه المشاكل ، مثل « وراء الخير والشر » و « أصل الاخلاق » و « دوافع القوة » . الا ان الفصلين القادمين سيوضحان ذلك أشد التوضيح . أضف الى ذلك أن المشكلة ليست مشكلة فيلسوف ، كما أن نيتشه نفسه اكتشف : ان الذهن ليس كافياً ، الا انه ظل فيلسوفاً وظل يهاجم المشكلة بأسلحة فلسفية ، سلطة النقد ، وتنظيم الأفكار في مقاطع وفصول . إلا أن زرادشت أوضح لنا أين يكمن الجواب ، انه كامن باتجاه السيكلوجي هتمان ، والفكر الذاتي . ولا يوجد في آداب العالم إلا الفيلسوف من أمثال هذا المفكر . فان الفنان العظيم ليس مفكراً ، في حين ان المفكر العظيم ليس فناناً . الا أننا نستطيع ان نجد ذلك في الأدب الرومي ، حيث نجد كتابين عظيمين جمعاً بين هاتين الميزتين . وعليه الآن أن نبحث في الطريقة التي عالجها بها مشاكل اللامتسي .

الفصل السادس

مسألة الذاتية

لا يعرف اللامتسي من هو ، « فقد وجد وأنا » الا انها ليست (ألا) حقيقتية . أما هدفه الرئيسي فهو أن يجد طريقة للعودة الى نفسه . ليس هذا سهلاً ، ولم تنطوق الى هذه المشكلة بعد في الحقيقة . وإنما حلنا ضياع اللامتسي صاحب . أما محاولة البطورة ، فليست إلا هذا : لم يسمع عنه غير ادراك أكثر لهذا اللامتسي المعقد فخذ الساحة . وليس قولنا : بأنه يريد أن يجد طريقة للعودة الى نفسه ، الا تعريفاً مؤقتاً فده . الا انه ذلك ليس بسيطاً كما يصوره لنا بعض الروائيين الناجحين في هذا العصر ، الذين يبيعون أكثر حلد يمكن من الكتب عن حياة فان كروج . كوكاك . الخ أولئك الذين بسطوا الأمر في معالجتهم ، التي تعتمد على حلال . الموضوع اللامتسي . ان المشكلة تحتاج الى تحليل سيكلوجي مفصل . وان لغة محكمة لم يسبق لها مثيل في عالم الأدب . اذا قبلنا على هذا الأساس شعر اليوت خاصة « القطع الموسيقية الأرح » . وبعض الصفحات لـ « برابيس » لجيمس جويس . على انه موضوع لا يخلو من « إن » ما يوتي التي نعرفها الفهم ونصطلح . كما أن الكتابة فيه تفصح كرون لغتنا . حيث عاجزة على أيدي الصحفيين والكتاب الذين لا يجدون ما يقوون به . على أن اللغة هي الوسط الطبيعي للتعبير عن الذات . ولهذا فإن فكرة عودة الى شعور ، لا يمكن أن تنحقق أو يعبر عنها إلا عن طريق

الفتنة . وما سيحدث القلوعه . انما بحثنا فيها بعينه للاختصاص . من نفسه دون
أن نشير إلى طريقه إلى ذلك . ويجب على هـ أن أقيم إلى أن هذه والطريق
لا يدخل ضمن نطاق الكلمات بقدر علاقته بالحركة . ان الاختصاص يقال
في مرحلة معينة سؤال وبيانها : ماذا يتعين على أن أقبل لكي أخلص ؟
فإذا كان جوابه هو جواب إلهام سرود : لا شيء . يستحق بذلك أي
موجود ، فلا طريق له . ومن الأفضل له أن يقتل نفسه أو يتحرر
عقلياً . على أنه من حسن الحظ أن لا يكون جواب سرود نهائياً ، ذلك
أننا نستطيع ان نهلم السؤال من ناحية أخرى فسأل بقولنا : الخلاص
من ماذا ؟ وهذا مما يخل من شأن المشكلة شيئاً ويحصرها . لا ، أو
دفعهم الثقاتين . وجعلنا سؤالنا : الخلاص من ماذا ؟ ، إلى سؤال آخر
مباشر : ما هو أسوأ ما نريد ان نخلص منه ؟ أو ما هو أسوأ شكل
من أشكال ولا . النهاية ؟ وقد ذكرنا بعض الأمثلة الربعية : هرونها
وللملحة الأرمنية - وهناك صفحات في : أعمدة الحكمة السبعة . نذكرها
غرضنا ليمتص المرء عن الطعام . إلا أن هذه الأشياء ليست مشاكلنا
الشري . كما أنها أشياء قديمة مألوفة في التاريخ . ويستطيع القارئ أن يجد
كثيراً من هذه الأمثلة في الجناح الاثوري في المتحف البريطاني مثلاً ،
كيف أن آشور ناصر بال الثاني : أحرق شانهم وشبانهم بالنار ،
وارتكب جرائم أخرى لا يمكننا ذكرها هنا . ويمكن أيضاً أن نقارن هذا
بيلس وبوخوالد بعد ثلاثة آلاف سنة من الحضارة . أصل فن هذه الأشياء
شروع طائفة قاسية ، إلا أنها لا تقف بوجهة كونها في استطاعتنا تجنبها .
اننا نأتي إلى فكرة الشر الخفي حيث يبحث امرئ تحت جيس وأبيه
ذلك لأن هذا الشر يهاجم العقل لا الجسد . لقد كانت تقوم ذمير بال
معوضاً لهذا الشوف نفسه أو كان في غل لوانك الثلثين قتلهم . وكنت حين
معهلاً له أيضاً لو كان هو في محل أولئك الذين عذبوا وقتلوا في المعتلات .
أو في غل يهود واربعه من حلق هذا الزعم لا بدع حرمه قشر جسمه .

على وجودهم الخفي، وإنما يحلهم لا حقيقين :
 وفكرنا لا نكرواح سائفة قاسية ،
 وإنما كبر فارغ ، كبر مشغور ،
 ذوا حانت ساعي كما حانت ساعته ،
 فان كبر ما أمكنه لا يستطيع أن يتفكر .

هنا نحتاج رهب كهيب من قبوله باهتلافاً بشراً ، ولعلنا علينا أن
 نسأل : هل من طريق الله الخارج ؟

يجب ان لا نغيب شيئاً من طويقتنا السابقة في مجمل هذه المشكلة ، أي
يجب ان نلجأ الى الأمثلة الحقيقية أيضاً ، وبممكن ان نعود الى وليم
جيمس بحثاً عن اتجاه نصير فيه . ومن ثم الحالات النفسية جميعاً . وهنا بما
يخل من حريته في اختيار الأرواح المربوطة . إلا ان جيمس يشير الى
«حرفه» تولستوي ، وهنا ما يمكن اعتباره نقطة انطلاق بالنسبة لنا ،
«تولستوي بدأ كملفكر حر على الأقل تابعاً في ذلك تقليد الطغاة الرابع
من القرن الماضي» . وبالإضافة الى ذلك فان تولستوي يشبه ريتش ورتش كنارند
«لأنه وصل الى استنتاجات وبنية في الوقت الذي كان يجد فيه تأكيداً
للحسية المظهرة الأورثودوكسية مستجيلاً» . وهذا أمر مألوف من اللاوعي

[illegible]

دفعت قوة المرحلة التالية تولستوي الى ترك المرحلة الأولى . إلا أننا يجب أن نلاحظ أيضاً انه كلما اشتدت هذه المشاكل ازداد عجز الانسان امامها . ويمكن اعتبار تولستوي مثالا على الأمر الذي ذكرته في الفصل الرابع . حالة محاولة الوصول الى حل مع الاحتفاظ بالاشياء القديمة . لقد حالة البقاء على المولد الواحد . وفردى في مشهد القصف في « الحرب والسلام » كيف أن بيتر يلاحظ ان الجنود لا يملكون طبيعة ما يقومون بعمله .. (٢٦) ان مشكلة الموت . ومعنى الحياة منفصلة تماماً عن القسوة الانسانية . والانسانية الانسان نحو أخيه الانسان . ولا يفكر آشور ناصر بال ولا هتلر بهلما في حين يلاحظ فلوريان ، بطل قصة والتر بيتر . حفل في البيت ، أن جميع الكائنات الحية مشتركة في شرك واسع من القسوة . على رغم لطفتها ومدنيتها . ذلك لأن الشر هو في الخارج . لقد بدأت تجارب تولستوي تماماً كما بدأت عند روكنتان : ومنذ حمة أعوام . بدأ يحدث في شيء غريب ، تألف في البداية من خطوات من القلق والصبر بالحياة ، وكأنني لم أكن أعرف كيف أعيش وماذا أصنع ... ثم صارت تلك الخطوات تتكرر دائماً .. (٣٦)

وأخيراً بدأت نوبات الغثيان . . شعرت بأن ما كنت أفعل عليه قد انهار ، وأنه لم يبق تحت قدمي شيء . ولم يعد ما كنت أعيش من أجله موجوداً . ولم يبق لي شيء أعيش له .. (٤٠)

ليست هنالك مغامرة ما : لا حاجة لي الى الاستمرار على ما كان يحدث . وعندئذ تولستوي بشيء . بوجي بسلوكه اللامعني انكامل نحو البشر . فقبض علينا نمرافة شرقية لتدور على رجل يتعلق بقصص يندلج الى قوة خفية . لينجو من وحش . وفترس في الأعلى . ومن وحش آشور في الأسفل ، بينما يقوض القصر جدران . وبينما هو معلق هكذا ينتظر الموت . يلاحظ بعض قطرات من الصل على أوراق الخوص . لمجد لسانه إليها ويلصقها . (٥٠) وهذا هو الانسان الذي يتعلق بين احتياكي الموت العدمي للصيف . والموت الطبيعي الذي لا يمكن تجنبه : أما الأمراض « الجبروتات » فلها تسرع بالهوانة . إلا أن هذا لسان ما

[illegible]

الـ والكسرة التي أراها وأصمها ، وأصداء أخرى من دوكانات وجسكي
ووليم جيس : لا شيء أملكه يستطيع أن يفتني ...

ونحننا تولستوي في هذه الأخصوصة عن كثير من هذه التوبات ،
وبريت كيف أن فكرة الموت تفقد . ولا معنى الحياة بعده :

« لماذا هذه الحياة ؟ الموت ؟ الأناحر حالاً ؟ كلا ، انني ضالفة . ألا تظن
الموت حتى يمين ؟ بل اني أخاف ذلك أكثر . انني يجب أن أعيش . ولكن لماذا ؟
الذي أموت ؟ ولم أستطع أن أعبر من تلك الحلقة المزعجة . وأخذت كتباً وقرأت ،
ونسيت نفسي للحظة ، إلا انني عدت مباشرة الى الرعب والذوال السابقين .
واضطجعت وأغلقت عيني . ولم يبق إلا الأمر سوماً » (٧)

وبحاول أن يصلي صلاة بالمسيح المسلول بالشكوك . كما في « أربطه الرماد » .
« لو كنت موجوداً لأخبرني من أنا ولماذا أنا موجود . » ولا نتيجة .
أما نهاية الأخصوصة هنا بحجة « فانه يخرج الى الصيد ، ويبقى في القاية .

وبمازده الرعب فيها ، إلا انه يجد نفسه قريباً من طريق نظري لخروج . ويوجد
الى البيت يصلي منتظراً من خطاباه « وتباع مقاطعته بعد ايلم . بشروط تحديد
المشتري وتقرر بالفلاحي . فيدرك ان البشر أبناء أب واحد . ويقرر عدم شرائها .
ويذهب الى الكنيسة ويعطي كل أمواله الى التخاذيل ويخبر مع القلائد الى
ابته وهم يتحدثون من الدين . (التبعة نفسها مع جسكي أيضاً) .

ونظن ان أهم بامه هم الذين يطلبون أن يحكم المجلس بجنونه . والى هذا نجد ان
تبعنا لفظة « المجهنون » يمكن أن يشارن ضمناً السابق للاستمن والآخرين .
ما هذا الصلاة ودراسة الانجيل . لقد كتب تولستوي هذه الأخصوصة حين
كان في السجن . إلا اننا نجد انه توصل الى نتائج أبعد من هذه حين كتب
قصة « الحرب والسلام » ويوم كان في الخامسة والثلاثين فقط . ادعبد
بيروير وكوف يصل الى حل نهائي . وذلك بالاشتراك في المسورة المرحلة . ذاته
يتبنى فكرة ان الشر جميعاً هم الشدة . عن انه تولستوي لم يكن الحق .
ولابد ان هناك شيئاً في استنتاجاته الكعيرة ، شيئاً مختلفاً عن مثلك الذي نسي

الا أنا سلباً . قبل أن تبحث ذلك . الى ناحية أخرى عالج فيها
تولستوي الفكرة نفسها . لأنها متساعدنا كثيراً في الاستمرار على انجاسها .
انه يتحدث في بداية « الاضراف » عن التوبات المتزايدة المستمرة :
« وحديث ما يحدث لكل من يعاني مرض داخلي حيث . ولم يتعد
الأمور في البداية بعض علامات المرض التي تتكرر بعد ذلك حتى تصبح
سلسلة طويلة متصلة من العذاب . ويشد العذاب . وما يكاد المريض
يرفع رأسه ليتنظر ما حوله حتى يموت ! » (٨)

ولا تشد قصة « موت ايفان ايليش » عن هذا أيضاً . اد نرينا ايفان ايليش
موظفاً عادياً مولوداً مرة واحدة فحسب . يسعى ليكون قاضياً للصلح . ويكرر
« لتسوي دائماً العبارة التالية : « لا تحكم ولا تحكم عليك » ، ويشتغل ايفان بالبيت
والأطفال والنادي والرفاق المحبين به الخ ثم « تبدأ الرعدة الحفيفة » .
« يستمر السرطان يأكل وجوده . حتى إذا شعر بان الموت يهدد حياته بدأ
سأل نفسه : ترى الا يمكن أن تكون حيالي كلها خطأ ؟ ذلك الشعور
الذي يشبه شعور دوكانتان . الشعور بلا معنى الحياة . حياته وحياته الناس
والآخرين . ولكن كيف كان يمين عليه أن يعيش الحياة إذن ؟ ولكنه لا يستطيع
أن يجد جواباً . كانت هناك لحظات : إلا أنها كانت كالبرق الخاطف .
حدثت ثم لا تشته . ولم يعد يذكرها . أما زوجته وأطفاله فإنهم لا يتكلمون
به . الواقع ، وحتى لو اكرتوا اليه هيس فلك أمراً مهماً . لقد عاش حياته
تدافع مع الناس الآخرين . إلا انه يموت الآن وحيداً . وفجأة يشعر بشيء من
عذاب نحو زوجته التي كان قد كرمها لعدم اخلاصها ولضعفاتها . وبقي هذا
الحدث طويلاً ويحدث شيئاً من الايثار . وإذا تحول من الموت يتلاشى :

« ان هناك نور بدلاً من الموت ..

« بعد اسبوعين الأمر » . تلك كانت الكلمات التي ردها أحد الخاضعين .

« سمع ادم » . « دوماً في وجهه »

« ما » . « من » . « في » . « (٩) »

اما الكليات التي اطلقت من شقائه فكانت : « ساعتي » .

لدينا الآن أربعة أشكال من اللفظة الدينية التي يعبر عنها تولستوي .
تبدأ كلها بأن يصبح الشخص لا متعياً . ويمكن تصنيفها الى نوعين :
يتر بيزوكوف المجنون وتولستوي نفسه . وقد قلبا معاً من ثوبت شبه
تلك التي فاساها وروكسان . أما إيليان اليئس فقد عاش حياة لا حقيقية
ولم يدرك ذلك إلا حين أحس بأقرب الموت . تماماً مثل مرسول .
وكان العرض الرئيسي في كل الحالات الشعور بكرهية الذات . ومحاولة
التهرب من النفس . ويتم هذا التهرب عن طريق احتياز « الأثار » جوهر
المسجلة والتعلق به . ان الهدف هو التخلص من النفس . أما قاس
الأخرون فهم الوسيلة التي يتحقق بها هذا الهدف . هل ان الهدف ما
يزال الرغبة في التخلص من النفس . فإذا تم هذا حسب الآخرين ولتعود
باعتنا تجاههم فان ذلك لا يعني إلا شكلاً جديداً من أشكال حب النفس .
لا يوجد كبر اختلاف بين هذا وبين عالم بنته في « زراعت » .
لقد قال زراعت « ما هو أعظم شيء يمكن أن يجربه الانسان ؟ اسمه
استحار النفس » ان الوسيلة التي يتبعها بنته مختلفة . إلا ان النتيجة واحدة
لا يستطيع تولستوي ان يقدمنا أكثر مما نحن عليه خصوصاً مشاكل اللا متع .
انه يستطيع ان يأخذنا أبعد مما لو لم يكن غرضنا استبعاد المقامد الدينية . ولهذا
فيجب علينا أن نحضر بحثنا عن تولستوي . هل أنه مقصد تلميذي على قدراسة
الغلبة . لأنه يبحث عن جوهر المسيح في حياته وتعاليمه لا في « موته المختص » .
الا أنه يذهب في ذلك إلى حدود لا تمكنه أن تقي أي ضوء على الدراسة . انه
يقول مثلاً ان عالم الروح هو جبر ومن الله . وأنه عالم المادة هو شر وهو من
الشیطان . وقد ذهب أولئك الذين كانوا يدبثون بهذا الرأي في القرون الوسطى
إلى متنى ما يتوصل اليه الاستنتاج المنطقي منه : فقالوا : إن العملية الجسدية ليست
في مولد بشر آخرين مما بعد ذهاب شر (ويريد تولستوي ذلك الجسد) .
وكانوا يهرون الى مساعدة المتعبرين معقولهم غير توضح أنفسهم

قائلين لم أنهم متعلمون على ترك الشر وراحمهم مع الجسد . الا ان تولستوي
لا ينظر هكذا : بل تقوم معتقداته فيها هو خير أو شر الى الأبناء
بين تلمذتي تقوانين وعقيدة لا يمكن ان يصلها وجوديو الفصل الأول
من أنا ؟ - هذه هي مشكلة اللا متعني النهائية . حسناً . من هو بالعصاة ؟
ان الانسان هو الضال بورجوازي . أي الموضع في منتصف الطريق ؟
ولكن في منتصف الطريق الى ماذا ؟ ألم للسورمان ؟ لقد رأينا ان السورمان
ليس قطعة عملاقة من الغرائب الليلية . وأما هو مفهوم شعري كامل
تطور عن الفواخع ذاتها التي تطور عنها القديس أو المصلح الروحي . إلا
ان الرجل العظيم هو في الحقيقة الممثل الأول لمثل العليا الخاصة .
ولن يستطيع المرء أن يمثل دوره جيداً ما لم تكن لديه فكرة واضحة من
هذا الدور . ولهذا فحين يستيقظ مجنون تولستوي في هربت الركاپوس مرعبه
وهل السؤال : ما هو أنا ؟ فان الطريق الى السورمان . هو القديس أو
السان العشري يطلق مؤقفاً . اما مسألة المعرفة للثانية فهي كامة عريه .
نكث نقطة ننسج الاضام . فما نرى ما هي المعرفة الدينية ؟ ان اولئك
الذين يذهبون الى المدينة في الصباح . وكل منهم مهلك بمطالعة حربه
و بالتطبيع الى الاعلانات . لا يحاربهم أدنى شك في « ماذا هم » .
انك اذا وصفت أحيات الموت الدينية :

« نحن القارعون

نم المتحورون المختفون

نحي . أعدنا على الآخر .. »

في محل الخليات المكتوبة على احد تلك الاعلانات . فانهم سيقرأونها
لذلك الاهتمام المادي . هذه التي يقرأون « الأحيات التي تدعو الى اقتناء
وع حب من شعرات الخلافة . مناسك . ساداً سيكت أصحاب المصانع
في اعلاناتهم في لرابه القادمة »

« صلي . صليهم خطافات هذه - لا شيء . إلا لهم اصداق . صلي

ان يجد طريقاً إلى النهار حيث يستطيع ان يجد ارادة غير متقسمة : ارادة
يشه النية التي لا تفسد التعليلات الضمنية . أما خطوته الأولى الى ذلك
فهي أن يبذل نهار اليوم جوازي ، الملود مرة واحدة ، الخلدع اما خطوته الثانية
فهي أن يجد عملاً ارادياً ، عملاً به القوة على مواجهة شكوكه ومخاوفه الثانية .
وهنا يمكننا أن نضع الأمر بين يدي كاتب روسي آخر ، ليفودا مراسل
آخرى .

لقد حدثت حوادث كثيرة وتجارب حثيفة مفاجئة في حياة دوستوفسكي
كان لها أثر كبير في عقله ، مما دفعه في عداد اللاهثين . لأنه مر
بما يمر به من لحظة وإحساس بأنهم ليسوا هم . ان ذلك يحصله شديد
الحمية بالنسبة الى هذه الدراسة لأنه يشع بجوازي فان كوخ وغيره من هيس .
أي بجوازي النوع الذي يمر من مشاكله وفنوع الذي يعيشها .

مثل الصلاحون والد دوستوفسكي ، مستخدمين في ذلك الطريقة القديمة
المألوفة . سحق الحسنيين . وقد نجحوا في إسعاد جرمهم . لأن الضيق
لم يجد أي جرح أو رض في جسده . وسع دوستوفسكي بمسوت والده
حين كان يدرس للفنسة في بطرسبورغ .

بدأت شهرة دوستوفسكي حين كان في الرابعة والعشرين ، بفنسه والقراءة
التي قال النقاد عنها في روسيا انها أعظم قصة بعد «الأرواح الميتة» . وهكذا
صار تلميذ المدرسة المصور كاتباً شهيراً . وألقي القصص عليه بعد سنوات
لثلاث بتهمة القوضوية . ويعرف الجميع قصة تنفيذ الأعدام القومي ، التي
قصها دوستوفسكي على لسان الأكبر مشكين في «الأحق» . وفي القصة
التي صدر فيها الأمر بالفضو ، في الحقيقة التي عينت لتنفيذ حكم الأعدام
بحق دوستوفسكي والآخرين ، حين أعدم رفاقي دوستوفسكي ، ولم يشف من
جنونه قط . وفضي دوستوفسكي للسنوات العشر التالية في سقاه في سيبيريا .
وامتلات حياته التالية بالنتائج المفاجئة . الى جانب الفكواث المفاجئة .
وكان يلوح مع النساء ضعيفاً لئلا . إلا أنه في كتاباته كان الانسار

التي ينتج بقوة روحية هائلة . وزيينا كيبه . الأخوة كارامازوف .
و «القباطين» . و «الأحق» . كثيراً من الضحك في الأسلوب ، إلا انها
مع ذلك اروع ما كتب من القصص .

وتحتل فكرة اللاهثي في كل كتاب ألفه دوستوفسكي ، بل ان
واياته الفلسف الكبرى لتصل بحثاً متقدماً كاملاً عن مشاكل اللاهثي .
وما دعا تلك حوال خمسة عشر كتاباً من كتبه مترجمة الى لغتنا . لدينا
ان نختار منها الكتب التي تلمس بالمشكلة أشد الصاية ، والا تبين علينا ان
نعمس لدوستوفسكي من الصفحات أكثر مما خصصناه لكثيره . وهذا يعني
لنا سهول كثيراً من كتبه التي لا تقل أهمية عن الكتب التي مستأواها
سهول مثلاً : «بيت الموتى» . و «المقامرون» وغيرها ..

أما الروايات التي منحتنا هذا اهتمام هذا الفصل فهي «ملاحظات من تحت
الأرض» . و «الجريمة والعقاب» . و «الأخوة كارامازوف» .
أما «ملاحظات من تحت الأرض» . فهي أول رواية وليسية من
وياته التي جالغ فيها مشكلة اللاهثي . وأولها في الأدب الحديث أيضاً .
ان هذه الرواية . بالإضافة الى «ستيفن وولف» التي عشتها طيسه .
عبر أكبر عرض لمشاكل اللاهثي التي معالجها في هذا الكتاب . وهي
معها نموذجاً للتفكير الوجودي رغم انها كتبت قبل قصة هيس بست وأربعين
... «فصل قصة الباريس بأربع وستين سنة» .

ان عواها الحرفي باللغة الروسية هو «ملاحظات من تحت سطح الأرض» .
ويوحى اليها هذا العنوان أن البطال ليس انساناً وانما هو صرصار . وهذا هو
«أحد في بدايتها» . فانه يقول «أهي مريض ... مخلوق بالقيح والناس ..»
ويرى الحلبل التسمي السالي لماذا يحضر معه صرصاراً . لقد كان
قدك لمدة عشرين عاماً . كما فعل «وقد عاش في حرته وحيداً .
أولاً : «أما هذا» . شكور من صر . لهم المراج الحاد . ويذكره ويذكر .
... على ش . ج . أوكلاه . فسفرى «فصل صر صر» . انه عصابه بالحسابة

النورانية الشديدة ، وهو يقول في ذلك : « لا أحب . ولا أقرم يمكن
أن يكون أكثر احتراماً وضجراً مني ... »

عل أن هذا كله لا ينبغي فسرنا ، فنفسج من القرامة ، ونكاد نند متابعة
هذا الإنسان الصرصار وأفكاره المكررة . حين ندرقه فجأة . أنه يصرف النظر
عن الأطلاب والأطالة . لأنه إما يحاول أن يغيرنا بشي هام معين . أنه يوضح لنا
توضيحاً غالياً « حاكه اللحية العتقة » . والبك نموذجاً مختصراً من ذلك :

« يدعني أولئك الذين يستطيعون أن يتصروا من بهاجهم ، وأن يدعوا
عن أنفسهم . نود كيف يفعلون ذلك ؟ ما أظنهم إلا وقد تعلمتهم رغبة
الانتقام تملكاً بحيث لم يبق فيهم أي دافع آخر . أن الرجل منهم ليندفع
إلى هذه كاندلاع الثور المقاتل .. ولا أظن أن انساناً من هذا النوع يمكن
أن يمتد نموذجاً مألوفاً للإنسان كما تريد الطبيعة أن يكون .. إلا أنني
مع ذلك أجد مثل هذا الإنسان بكل قواي .. » (١١)

وبدكرنا هذا بعدت . ي . لورنس للجندى الذي بطأ القنطرة . والرجل
الذي يداهب الكلب .. أجل اننا نعلم الكثير عن هذا الإنسان الصرصار . أنه
يذكر أكثر من اللازم . ولقد أنجب هذا التكبير منه ظم يعد في استطاعته أن
يستبح بالأشياء استباحاً طويلاً . أنه يمد الناس السطوة الخسفى . لأنهم ليسوا
مفسمين مثله . وليس هذا جديداً علينا . فإذا ملك الإنسان الصرصار أكثر من
هذا ليخبرنا به ؟ حسناً . إليك هذا الأمر الجديد . أنه يحب أن يعاني ويقاضي :
« ... في هذا الجنون النضفي . الكريمة . وفي هذا الابتكار النضفي
لذات .. هذا السم من الرغبات اللاعظشة .. في هذا كله أجد جوهر
لعلة التي تحدث عنها .. » (١٢)

و . هذه الخبطة المغربية . هي مركز جدلية هذا الإنسان الصرصار . لأن
سألة الحرية إما تدور حولها . ألا يستطيع الإنسان حقاً أن يعرف الشر المطلق .
كما يقول بوشوس (بعد أفلاطون) « وهل يكافح دائماً من أجل ما يهمه
بحسرة فطرية عن أنه خير ؟ فأما المجرم فإن الحرية هي رد الفعل لحبائه

الاجتماعية للمقد . وفي هذه الحالة ، هل تتحكم القوانين الطبيعية في الروح ،
قوانين آينشتاين في الجاذبية مثلاً ؟ « كل شيء هو للأفضل في هذا العالم
الذي يعتبر أفضل العوالم الممكنة » . ويكمل هيجل ما بدأه ليبتر ، « لقد
كان ليبتر هو الذي أسع حل الفلسفة مفهوم المنطق العظيم الذي عايت
نتائج في فلسفة الحيلة » . وهذا يقول هيجل إن العقل يتحكم في كل
شيء . وأن البشر ليسوا غير أجزاء في آلة عظيمة تعمل من أجل الخير النهائي .
« لأن صرصار دوسوفسكي يتنفس فجأة ويفتح فم لتلوح أسنانه القلقة ،
ويواجهنا حينئذ الممثلين صائلاً : « ليلعب هذا النظام إلى الجحيم ، أنني
أطالب بحفي في التصرف كما شاء .. يعني في اعتبار نفسي جوهرأ فذاً فرداً .
وهنا نذكر ما إذا يريد هذا الإنسان الصرصار . بنظراته الشريرة ، وضحكاته
الرائنة ، فاد إشهاره الحرب ما هو إلا رد فعل ضد شيء معين » وهذا الشيء هو
الانسانية الاستدلالية . ولا يعني وقت طويل حتى نغير لديه اللهجة البتية :
« أن الإيمان بالنظريات التي تدعو إلى اصلاح الجنس البشري بواسطة الأنظمة
هو كالإيمان بأن الانسان يصبح لرقق كلما أوغل في الحضارة . ولعل ذلك صحيح
من الناحية المنطقية ، إلا أنه مبال إلى الأنظمة والاستنتاجات المجردة إلى درجة أنه
مستعد حتى لتزييف الحقيقة ، قلعامي أمام الأشياء التي يراها . والتصامم أمام مسا
بسمه ما دام ذلك يساعده على إثبات منطقته .. أن الحضارة لا تلحق في الانسان إلا
فائدة اضافية على استيلاء المخرات - وهذا هو كل ما في الأمر . كما أن نحو هذه
قابلية يريد من ميله إلى البحث عن الكفة في سفك الدماء . ولعلك تلاحظ أن أشد
الانس دموية وحفا هم في الوقت نفسه أشدهم تمدناً وحضارة .. » (١٣)
هذا ما رآه نيتشه أيضاً على فة التل .. عدم العقل ، رائحة الدم ، والعنف ،
وحضارة جميع الفضائيات القديمة .. ويمكننا أن نتصور كم سيكون الشترار
الرجل الصرصار عظيماً لو سمع بفلسفة فرويد في علم النفس ، ذلك العلم الذي
يسمى أجد التعاضيل عن العوامل التي تسبب التصرفات الانسانية اللاعظشة .
« الملك تدق . على العكس . أن العلم مريباً يوماً أن الانسان لا يملك

شيئا من الازالة أو القطرة الخاصة به - ونفسه هو كلوسة المتاح في
 الميانو . وتفسير ضللا عن ذلك أن نعلم ميرنا ان هناك قوانين معينة
 في الطبيعة هي التي تسبب حدوث كل شيء . وعنه فانك تقول ان
 هذه القوانين متشوخ للانسان ، وإذا تم جدا فإنه مستبعد من كل المسؤوليات
 وبهذه حياة أسهل . ستكون كل الأعمال الانسانية حينذاك مجرد حسابات
 مضبوطة وفق القوائم الطبيعية . داخلية ضمن بدائل القوانين
 ولكن من يجرؤ على ممارسة قوة اودته طبقا لبدائل القوانين ؟
 وهنا نستطيع أن نتوقف قليلا لنلاحظ أن هذه العملية التي يتبعها
 الانسان الصراخ ، وهذا الكلام الطويل المربى الذي يهجر عند الاستدلال ،
 كانا قد نشرنا كل أن يسمع الناس باسم كبر كمارد خارج المذموم . أو
 باسم لينته خارج ألمانيا . ان الملحق الاعلى . التي كتبه كبر كمارد .
 والتي ليس غير حالة الانسان الصراخ بصوت في بعض حالات من الضعف .
 كان قد نشر تحت الاسم المستعار الغريب . جوهانس كليا كرس . في
 ذات العام الذي ظهرت فيه قصة وفتراه . إلا أنه لم يخط بالثبات الذي
 حظيت به قصة دوستوفسكي . بالاضافة الى أنه كبر كمارد لم يكن أول
 من دعا الى الفلسفة الوجودية . فقد كتب مضمون آخر قبله ما يلي :
 ان الكتب القديمة كلها كانت هي المسبب في الأخطاء التي حدثت
 بعد ظهورها :

وتلك الأخطاء هي :
 أن الانسان جانيب يتألف منها . هما الجسد والروح .
 وأن الضميمة التي ليس بانشر هي من الجسد وحده . وفي العقل يتي
 يسي بالخبر هو من الروح وحدها
 الا أن الأشياء التالية . التي نعلم أمثالا للأشياء الشائعة . هي الصحيحة
 ليس للانسان من حيثين من الروح - ولكن ما يدعى بـ
 لا تلك الجزء من الروح التي كبر كمارد

كما الضميمة فهي الحياة الحقيقية الوحيدة . وهي مسخرة عن الجسد
 أما العقل فهو الجسد أو المحيط الخارجي للضميمة
 اما الضميمة فهي النطقة الخالدة . (١٤)
 ولم يكن ولم يترك ليحب الفلاسفة ولوغاويهم . وقد كرهوا الأخطاء
 كما كرهها كبر كمارد . إلا أنه كان عليه أن يحد في سبيل تحقيق ما
 كان يحاول الوصول اليه من فلسفة وجودية

ليس وانجي أن الفكر وأقارب . وإنما وانجي هو أن أخلق . (١٤)
 علي أن أخلق لنظامي الخاص . ولا سأكون عبدا لنظام اسان آخر .
 عند هنا أنه قد توغرت لنا جماعة من الناس ، عربية حقا ، تصم بآلات
 وكبر كمارد ونشته دوستوفسكي : فيلسوفين سيحين خارجين على المسيحية
 بحسب . وفيلسوفاً رئيساً يعمل المطرقة . وفيلسوفاً معذبا كافر نصف
 مسيحي . وحدهم حديداً مدفوعين بنفس الفواعل وصوفين بالواجبات
 . . وجدوا أن هذه الديالوج هي أشياء أساسية في اللاهوتي . فليخاطبا ان
 يصرح ، دون أن نحس شيئا . ان هؤلاء الرجال يلبسون تعضدات واحدة
 أما القروى التي تلوح وكأنها تفصل بينهم هليث غير مروي في الأبرحة
 . عسو . وقد جعل الذي يحدث لذي بليك حتى يقرأ « مذكراته المصد »
 ليكم كمارد . أو رد على لينته حتى يقرأ نفسه دوستوفسكي . حياء
 وسيا . . إلا أنه الفكرة الأساسية هي واحدة لدى الجميع

ان الوصول الى هذه النتيجة هو الحقيقة الواضحة لصحة الإيمان التي
 ان كانت على عتقها . أي الاعتراف بأن اللاهوتي هو في الحقيقة

...

كفاح الإنسان على الأرض مؤلفاً من كفاح من أجل شيء. يعني الوصول إليه في الحياة نفسها أكثر من أن يكون من أجل نهاية حقيقية هي في الواقع قاعدة ثابتة تشبه في جوهرها قاعدة أن $2 + 2 = 4$ ، التي متأكد من أن الإنسان لن يبذل عذابه الأصيل الذي تسببه له القوضى والدمار . ولذا يضل ذلك ؟ أليس الطداب والمعاونة والشقاء المصادر الوحيدة للمعرفة ؟ (١٦) ، ان ما يجب أن أعالج عنه هو ارادتي الحرة الخاصة . وما نستطيع هذه الإرادة أن نفرضني به حين أعود الى طبيعتي الحقيقي لأقوم باستخدامها آنذاك. (١٧) ولا يستطيع هذا الإنسان الصرصار ، بعد هذه التحليلات الواسعة ، أن يقاوم النتائج التي وصل إليها إيمان ستراد : « وهكذا وصلنا الى الاعتقاد بأن أفضل شيء يمكننا أن نفعله هو أن لا نفعل شيئاً قط - أي أن نفرق في استمرارية تأملاتنا . » الا انه يعرف مثل ستراد ، أن هذا ليس ما يريد . وانه ليس غير صنف جودته من الدرجة الثانية ، كتعويض عن جودة الدرجة الأولى ، التي أنا جاع لها ، والتي لن أجد لها قط ، « وهنا تنتهي مقدمة الإنسان الصرصار بالنسبة لقاري . » أما القسم الثاني من « اعترافه » فهو قصة برويا من ماضيه ، ولحظة خاطئة يرى فيها « ذلك الشيء الذي لن يحصل عليه » . وليست قصته قصة ممتازة ، فهو بروي لنا كيف فرض نفسه على بعض رفاق الممرسة القدامى ، وكيف أنهم صاروا بكرائتهم له ، وكيف أنه تبهم الى المبنى . ثم نراه مع إحدى البغايا في فراشها وهو يتحدث معها عن الموت ، في حين ينطلق خياله انطلاقاً لاهباً . ويبدأ حديثه بالكلام عن الحب والدين والله ، فتتبعه بأنه يتحدث وكأنه كتاب ، وتسخر منه ، الا انه يزاد بلاغة . وفجأة فكشف أننا انما نرى دوستوفسكي نفسه ، الفنان السيكولوجي العظيم ، مؤلف « القراء » الذي يخلق لنا صورة عن العاسة الانسانية والحب الموحش والتي يتحدث في ظلام المبنى ، التي تضطجع الى جانبه . تلك هي ساعة اللامتسكي وذلك هو شعوره بالهلاک وإحساسه بـ « القوة التي في داخله » . وشبكي القاعة فجأة . فبترك اللامتسكي القرائي . ثم ينادر الغرفة بعد أن يعطها عرائنه .

ولكن القناعة ما ان تزوره في مكانه بعد ايام قليلة ، حتى تجد انه قد طرأ عليه تغير كبير . فان ذلك الاحساس الاشئ تماماً . وحل محله شعوره بالضيقة وحله الى العنف . انه يلعبها ويهيئها ، الا انها ، وهي تحبه وتعرف انه لا بد يشعر بشيء من عدم الرضا ، بتحكم طبيعة المرأة ، تحاول أن تعمل كل ما في وسعها لتبديد كآبته . فتقدم نفسها اليه . وما تكاد تفعل ذلك حتى يتحول احتقاره لنفسه اليها فيلج في جسدها ثم يعطيها بعض الدريهمات كلن لخدمتها . وتركة . فزاه وجداً ثانية ، يشمر بالضياح والشقاء كلوها نفسه وغشله في التحكم في الأشياء التي تعطر في أعماقه .

ليست قصة « ملاحظات من تحت الأرض » بالقصة السادة بل انها لا تشجع القاري على متابعتها . الا ان ما تفيدنا به هنا هو أنها تظهر لنا اللامتسكي معذباً موزع النفس . اما الطعم المر الذي تركه قراءتها في فم القاري ، فانه راجع الى فشلها كعمل فني . والى إلهام دوستوفسكي بها على اظهار الضعف الانساني .. تلخ . ان أعمال دوستوفسكي كلها تخريباً تركت مثل هذا الطعم ومثل هذا الشعور في نفس القاري . وان أفصوحة « الزوج الخالد » وغيرها من القصص القصيرة تثير شيئاً من الصبر المترج بالاشمئزاز . جلدين اللذين تثيرها أيضاً قراءة ألدوس هكسلي ، حين يراه يشرح شخصوه تشرحاً . فإذا كان علينا ان نحكم على دوستوفسكي بالنسبة الى مثل هذه المؤلفات فان حكمنا هذا لن يختلف في شيء عن حكم شو على شكسبير - انه يفهم الضعف الانساني . إلا انه لا يفهم القوة الانسانية .

على ان هذا ليس صحيحاً . فان مؤلفات دوستوفسكي ما هي إلا خطوط عريضة نحو فهم القوة الانسانية . وتجد أطلال قصته الأول لا تملح أي . ف . ثم نراه يتطور شيئاً فشيئاً عن حاجتهم وضرورهم ، يساعد مدحه الجيد ثم الأمر متحدث . ثم كيريلوف . ثم شاتوف وأخيراً هذا الاخوه نازاروف الذين يخبرون حادثة بالسية الى الإنسان الصرصار .

بعد ذلك قصة « الحرق » والفتاة « البثور » من البعد ، الذي وجهه

القارئ : لماذا لم يحل أية مشكلة ؟ هل انه بإمكاننا بسهولة أن نرى الرب الذي قام لي نفسه حين رأى الدماء ، وكنتك ما كان قصد المؤلف اليه من غاية خفية : ان بيرديف يكتب عن ذلك قاتلاً :

« ان طبيعة الانسان الروحية تمنع أن يقتل الانسان أقل أو أشد البشر ضرراً : لأن ذلك يعني أن يفقد الانسان جوهر إنسانيته .. انها جريمة لا يمكن أن يبررها أي مبرر . ان جارنا آمن لدينا من أية فكرة مجردة . هذا هو مفهوم المسيحية » وهذا هو مفهوم دوستوفسكي أيضاً . » (١٩)

ان هذا التبسيط السهل يغطي على معنى القصة الحقيقي تنطية تامة ، لأن راسكولنيكوف يتبل هذا الرأي ، وليس لدينا أي دليل على أن دوستوفسكي يقبله . ان دوستوفسكي لا يقول : « ان القتل خطأ لأن مفهوم المسيحي عن قدسية الانسان صحيح » . وانما تلعب الأفكار الى نواح أخرى أشد قوة ، وبالرغم من أن نتائجه النهائية صحيحة . إلا أنه محط نقية الفكر دوستوفسكي ان نقبل إنجاز بيرديف لها ، لأن ذلك يعني اننا سنفهم ان دوستوفسكي خلق شخصية راسكولنيكوف كما خلق شكسبير شخصية آياكو ليكون ظلًا لمحبب ، وعند ذلك سننسى مع بيرديف على أن : راسكولنيكوف لا يملك شيئاً من النزعة الانسانية ، وأنه ظالم عديم الرحمة . في حين ان نظرة واسعة الى أية مدحة من صفحات « الجريمة والعقاب » نرى ان ذلك سطفت ان الفكر الاصلية في « الجريمة والعقاب » هي الشفقة ، والشفقة هي التي تربط راسكولنيكوف . أما الفكرة التي تشغل باله فهي فكرة طان كوخ : « ان الشقاء الانساني لن يتغير » . وتهدف القصة منذ سطورها الأولى حتى النهاية الى اثبات هذه النقطة . فان مارييلادوف السكر ، الذي يستمتع بالعداب مثل الانسان الصرصار ، وحالته الجائفة ، وحز الحصاد الذي يشعرته ضرباً حتى الموت ، ووسالة والد راسكولنيكوف المسلومة بالعذابات ، والحوادث العرضية التي ليست ذات علاقة بالقصة ، والتي نكتشف عن الشقاء الانساني . كالكافة المشابة التي يسكونها ويعودها ، والمرأة التي تحاول أن تلقي نفسها في النهر بيبا كان راسكولنيكوف وانها على العكس أصعد الى

ذلك ضمة راسكولنيكوف وعرضه وإلحاح صاحبة البيت عليه ليخضع لها الإيجار ، كل ذلك يغني تحت أيضاً سؤال الانسان الصرصار الملصاح ، ما هو الشيء الذي يستحق أن يقوم بفعله الانسان ؟

أما بالنسبة الى الانسان الصرصار فان المشكلة معقدة أكثر بسبب ضعفه العاطفي ، لأنه يفكر أكثر من أن يستمع أو يتعبد . في حين ان راسكولنيكوف أفضل منه قليلاً ، لأن شقاء العالم يوحد كيانه كله مع شعور بالثورة يمتزج بالشفقة ، وشاحنة شعوره نحو من يعيشون عيشة أوضاع من عيشته (الذي يشبه الممترار لورنس) ، وشعوره نحو المجائر الثواني بطلين المال بالربا مثلاً . انه انسان غير قانع . ولهذا فهو انسان خطير ، وهناك الشقاء الانساني . وهناك كذلك السؤال الذي ينهض في نفسه : ماذا يمكن ان العمل لادفع هذا الشقاء ؟ اما السؤال الذي يستنه به عقله الصحيح فهو : « لن يكون لي استطاعتك أن تفعل اي شيء ما صنعت على هذه الحال . » ولكن لماذا ؟ « لأنه في وضعه الحاضر يعاني من كل الاشياء التي تنط عزيمة اللائمة » . انه شاعر بفنونه . الا أنه لا يعرف كيف يستعملها . ولهذا فانه يفكر بدلاً من أن يعمل .

« ليس مجنوناً او احمق او سوداويًا كالأشخاص الصرصار . الا انه مع ذلك شديد الحساسية . وهو يعتبر نفسه قاسياً جداً . في حين أنه ليس كذلك . » « بالإضافة الى ذلك طانه قرر ان يقتل المرأة الصبور وحدها . الا ان تصنيفها باعتد تمس عليه ان يقتلها هي أيضاً . ثم يلجأ بالجريمة وسانان ، ويلجأ اليها سيدهمان ، وهكذا يعتبر قاتلاً لاربعة . ذلك كله يولف » « ابيارة » . بالإضافة الى ان تلك الجرائم لم تغير من حياته شيئاً ، ولم يصل على فائدة تذكر منها . وانما عاد وفي عهقه جرميناً قتل ، وربما ارجح . الى حيث بدأ ، فلا عيب اذا ما انهار واعترف .

الا انه . حل ان ينتهي الكتاب . يدرك ادراكاً خاطئاً « طريقاً الى الخارج » . انه يراه مع البعي صوبيا التي نقرأ له بصوت مرتفع قصة بيت لارابوس من الموت . بذلك راسكولنيكوف انه أيضاً يحتاج الى بيت من الموت . ولا

يختلف في شيء عن غيره من اللامتنعين في هذا الشأن، لانه يحيل الى هذه الفكرة، الى الوقت نفسه يشور فسلها ، ان البحث امر عظيم بالنسبة الى من ماتت روحه . غير ان سوتيا . المواضع البسيطة التي تشبه حوزان في الحياة السرية ، تحترم شعائر اسكولنيكوف . وتستطيع هي ايضا ان تقول له : لا بد ان تكون شيئاً ، بأنه طريقة . الا ان المحاولة التي يقوم بها لحل مشاكله كلامي تفشل . اذ انه يحاول ان يبسط على نفسه ولكنه لم يستطع ، الا ان فشله في ذلك ليس راجعاً الى خطأ طريقته ، لانه كان قد وصل الى مثل حالة لينش . اي وراء الخير والشر ، رغم انه يقول لسوتيا ، معترفاً لها بأنه قاتل : لقد قتلت نفسي . ولم اقتلها هي . فان ذلك لا يعني انه يعتبر القتل شراً ، لانه يسل بعد ذلك : الجرعة ؟ ما هي الجرعة ؟ اي جرعة ان اقتل حشرة شريرة ساعة ؟ .

ومن الواضح انه لا يشعر في النهاية بشيء من التوبة المسيحية . عن ذلك القتل . انه لا يريد ان يتحمل عن نفسه ، وانما يريد ان يوضحها ، ان يقتضها . الآل فقط استطعت ان احرك مدى خيالي وجيبي فلم اقرر القتل . ان اعصى الا لاني خسر لا املك في عمالي شيئاً ... لقد اردت ان افيد الناس . وان اقوم بألف عمل خير مقابل تلك الخيانة الوحيدة ، والتي لا ... حافاة بقدر كونها جادة ، لانها لم تكن تبهر حقاً من قبل كما ينبغي . ذلك الآن عند فشلها . (٢٠٣)

هذا امر واضح . وما لم يتصل دوستوفسكي من افكار اسكولنيكوف ، فاننا لا نستطيع ان نستمر على الاعتقاد بأن اسكولنيكوف فشل في حله لانها الحل خاطيء . من الوجهة الاخلاقية . لقد فشل في امر آخر مختلف كل الاختلاف . ذلك هو انه لم يكن قوياً بما يكفي ليكف عن كونه لامتنعياً . الا ان هذا لا يعني اننا يجب ان نسل برأي اسكولنيكوف في ان القتل ليس خطأ من الوجهة الاخلاقية ، وانما يعني ان هذه المسألة لا علاقة لها بمشاكل اللامتنع . في حين ان قضية الجرعة واللقاب . ما هي الا بحث لشاكل اللامتنع

ان الانتقال من ملاحظات من تحت الأرض الى المرحلة الثالث .

يشبه الانتقال من بطل باربوس الى فان كوخ وت. جي. لورنس . كما ان الانسان الصرصار هو لامتنع معنوي مثل باربوس . في حين ان اسكولنيكوف هو لامتنع فعلي مثل فان كوخ . وقد ففز دوستوفسكي في معالجته للمشكلة من مرحلة الى اخرى . واذا لاحظنا ان الفقراء ، والمزدوج ، الذين كتبها دوستوفسكي قيل فيه الى سيريا تدوران عن اللامتنع أيضاً ، بل تدوران عن لامتنع اشد قسماً وحقاً من الانسان الصرصار ، فهي استطاعتنا ان نقول اذن ان مشاكل اللامتنع كانت كل ما شغل بال دوستوفسكي ، وأنه كلما تقدم في قصصه خطوة الى الامام كفتان . ازداد لامتنعه علواً وأهمية ..

ان قصصه التالية تدلنا على هذا أيضاً ، فحتى مشكين في الاحق ، يمكن ان يعتبر لامتنعاً ، رغم انه يختلف عن اللامتنع الذين نلتهم . انه صورة خيالية ، فتاو ، الصبي :

هو لطيف ، كالصبي ،

مستلم ، كالنجل المقبل على الدويان .

بسيط ، كالغابة التي لم تبت بها يد الانسان ،

خال ، كالوديان الجرفاء ،

منهم . ككلاء العكر

هذا هو مشكين ، كما وصفه لاورتي قبل المسيح خمسين عاماً ، اما سره فبسيط . لانه لا يزال طفلاً . ان الناس يفلتون الشر لانهم يعلقون اهمية كبيرة على الاشياء الخاطئة . لانهم كبار ناضجون ، أما مشكين فانه يتمتع ببساطة نظرية كاملة . غير ان النقد الذي يمكن ان يوجه اليه سيئ ان وجهاء في بحثنا الماضي . فهو لا يستطيع ان يحل مشكلة الشر بالبقاء طفلاً ، وانما يجب ان يواجه الفوضى ، ويجب ان يخط الى العالم الاسفل . ونجد في الاحق ، كما وجدنا لدى اميل سكلير ، مائس ايضاً . عالم عائلة الجراف الجليل ، خاصة أكلايا ، وعالم للتور العنصر

والجرعة والقوى ، فاستسيا وروكوجين . الا ان مشكن بضمير
تحت وطأة هذا التجاذب بين هذين العالمين ، فيجن كما جن هازلانف بسكي ،
فالمشكلة هنا اذن تشبه تلك التي تتجلى في «ديان» ، اي ان التشبه بالأطفال
لا يمكن ان يكون حلاً لمشاكل اللاشمعي .

هناك قصتان أخرتان لدوستوفسكي يجب علينا تحليلها تحليلًا شاملاً ، اذا
تركنا قصة «شاب عوام» التي تعتبر من الناحية الفنية قصة مجبضة لا نظام فيها .
صحة القراءة ، لأنها تعتبران محاولتين جديدتين لحل مشاكل اللاشمعي .
ويمكننا ان ننظر الكثير من طبيعة دوستوفسكي الفنية وذوذه الخصب وقابليته
الحلاقة الهائلة . كما اننا نرى انه يفلح جداً في تحليل هذه المشاكل تحليلًا شاملاً
في «الشياطين» و «الأخوة كارامازوف» الأمر الذي لم يفعله احد أكثر غيره .
نعتبر «الشياطين» تطويراً لمفكرة قصة «الجرعة والمقاب» . ولهذا علينا
ان نبحثها في ما تبقى من هذا الفصل . اما اعظم مجهود قام به دوستوفسكي
لمهاجمة تلك المشاكل فقد تجلّى في قصته الأخيرة التي تنقلنا الى ميدان جديد تماماً ،
ولهذا نسوّرها ونعصر لها فصلاً كاملاً . لقد كانت الأفكار الاخلاقية في
دور النكوبين في القصص . ملاحظات من تحت الأرض ، و «الشياطين»
و «الجرعة والمقاب» . اما في قصة «الأخوة كارامازوف» ، فلما نجد
تلك الأفكار متبلورة في مقامهم معينة من الخير وللشر .

نعتبر «الشياطين» نتيجة منطقية للقصص التي سبقتها ، وهذا امر متوقع .
ويسيطر دوستوفسكي معالجته للمشكلة بتقسيمها الى قسمين ونوزيع الاحوار
على الشخصيتين الرئيسيتين فيها . ستافروجين ، وكيريلوف . ولتحدث
الآن عن اصل فكرة الكتاب قبل الحديث عن بطله .

نسبق لمفكرة الكتاب من «حادثة نيتشايف» . وقد كان نيتشايف نيلسيا
فوحشياً ، ولهذا فقد كان يستحق ان نكرس دراسة تاريخية لحياته . كان نيتشايف
يقف موقف المثالي المتعصب كلما نهق الامر بالقوضوية . بالاضافة الى ان مزايده
لشخصية تمثل اسوأ ما في التاريخ الجنائي من شرور ومفاسد وصنع «ربا حيله

وخدعه انه لم يكن ليقل انحطاطاً عن لاسينر ، ولا وحشية ولا قسوة عن اي نازي .
الا ان حياته ترمينا مع ذلك ان فيه شيئاً من البطولة القويمة ، الضامة ، وهناك
قصة تروي لنا كيف أن هذا الرجل ساعد على تنفيذ خطة لاغتيال الاسكندر
الثاني بينما كان سجيناً في قلعة بينروبول (جزيرة الشياطين في روسيا) .
وان رفاقه سألوه ما اذا كان الافضل القاذه هو أو قتل القيصر ، اذ قال
لهم : « اقتلوا الظلم » ، وكانت النتيجة ان اغتيل القيصر ، ومات نيتشايف
في السجن . بعد عذاب شديد معرض الاسفربوط .

كان نيتشايف «الطلب القنصر» من اشهر المتحدين في العالم ، لانه حاول
أن يخلق حركة ثورية عظمى على اساس من الاكاذيب والخداع والتفيليل .
لقد خدع الجميع بما فيهم قواد الثورة ياكوفين وغيرون وغيرها ، ولو ساعده
الحظ أكثر لاصبح دكتاتور روسيا (وكان ذلك ما هدف اليه) .

كانت تلك المفكرة التي استعملها دوستوفسكي في كتابه قصة «الشياطين»
هي ذاتها التي ادت ان أنصار نيتشايف . لقد نظم نيتشايف جماعة ثورية من
الطلاب والعسكريين السابضين في موسكو ، يدعو الى ان يثقل التحالف الثوري
الاوروبي . وجعل تلك الجماعة في لجان ثورية . وحدث ان انهم طالب بدعى
اصانوف بخيانة الجماعة . فقتله نيتشايف بالاتفاق مع الجماعة ، واكتشفت
السلطات الأمر . ونجت ذلك سلسلة من الاعتقالات ، ففر نيتشايف الى سويسرا
ثم انكأهرا ، في حين كانت الحادثة تحتل بانباها المطيرة جميع الصفحات الاولى
من صحف روسيا . الا ان نيتشايف ما علم أن عاد الى فم الاسد ، طائفاً
ان السلطات سببت أمره ، فأنهى أمره الى قلعة بينروبول .

قد استعاد دوستوفسكي في هذه القصة من نقطة اخرى . تلك هي أن أحد
الطلاب قرر الانتحار ، الا ان الجماعة الثورية طلبت منه ان يبني حياته ، فاذا
ارتكب أحد أفراد الجماعة جريمة القتل وحامت حوله الشكوك . كان على الطالب
أن يحب ويعترف انه هو الذي ارتكبها . وهكذا قلم البنا دوستوفسكي

كبريلوف - المصائب مجنون الانتحار والذي يعتبر نموذجاً لها على معالجة دوستوفسكي لمشاكل اللاعنسي .

اما بناء القصة فتمثل غير متقن ، وهي تبدأ بمشهد طويل نرى فيه رجلاً مساكناً من احرار عام ١٨٨٠ - وأرملة الجفرال التي تعاضده . ويعتبر هذان نموذجين لسكان المدينة الصغيرة التي تحدث فيها حوادث القصة . وهكذا يبدأ دوستوفسكي القصة . ويضع أسسها ، ليفتح المجال بعد ذلك لابطاله ، بجانب الانتحار ، للظهور أمامنا . وهنا نرى نيتشايف (الذي يدعى بيوتر فيركوفسكي في القصة) باعتباره ابن الرجل المس . وستافروجين باعتباره ابن الأرملة .

اما وجود نيتشايف فانه يزود القصة سيكلها العام واستمراريتها . الا انه مع ذلك بلوح عديم الهمية ، في حين ان ستافروجين هو بطل القصة ، الا انه ليس هالك ناقض بينه وبين نيتشايف باعتباره الاخير شريكاً نللاً . ولو نظرنا الى القصة بمنظار حادثة نيتشايف للاح ستافروجين نفسه عديم الهمية فيها . الا ان القصة تظهر حل آثم فرتها حين نرى ستافروجين (أو كبريلوف) ونشر باد نيتشايف هو التخييل حل المشهد ، لا ستافروجين .

تبلغ القصة ذروتها في المشهد الذي يقوم فيه رفاق نيتشايف الثوريون بتفريق المدينة وقتل صابط سابق مع شقيقته المريضة حقلاً والتي هي زوجة ستافروجين . اما العجز الذي كان يتسلى الى الاحرار الروس في السابق ، فانه يترك البيت ويهرب . ويجرت التلميذ شاتوف (ايفانوف) مقتولاً ، ويتنمر كبريلوف حين يسمح التفاصيل التي يروها له نيتشايف ، في حين يفتن نيتشايف بالظنار ، ويضرب الى سويسرا .

نعلم قصة ستافروجين مركز القصة . وليس ستافروجين غير حصاد أفكار دوستوفسكي السابقة حين أراد أن يكتب قصة حياة تعاطي كبريه . وقد خلقت الجبرية له دوستوفسكي . لانه يعتبرها قيماً من قيود الشخصية الانسانية ، يظهر حين يشرع اللاعنسي بأنه معني عن المجتمع . ان المجرم الكبير بعيد عن اليورجوراري المعادي بعد القديس عنه . اما من الناحية الصلبة . فانتاخذ ان معظم المجرمين الكبار ليسوا عبر مخالفة

أغبياء او مرضى في اعصابهم كمرضى فرويد ، الا انهم يظلون في ذهن الفنان وخياله ، او بالاحرى من الناحية النظرية ، اشخاصاً يتمتعون بالاستقلال العقلي الذاتي غير المألوف ، ويختلفون عن حطمة الفنان او القديس . ان دوستوفسكي يقدم لنا في « بيت الموتى » كل ما يفرقه من قصص المجرمين الذين قابلهم في سيبيريا . ويمكننا ان نجد هؤلاء المجرمين ، القتل ، شيئا أكثر من ان يكون انساناً فقط ، شيئاً يجلب انتباه القارئ . (بمقارنته مع الشخص الانسانية التي تراها في قصص الروائيين اليوم ، الذين يصيرون بالمرء العقلي بعد كتابة حين صفحة لا أكثر) . وفي الوقت نفسه ، فان هذا المجرم الذي يختار الجبرية واختياراً ، ولا يقع فيها وقراً بسبب غيابه او احماله . انما يهبط الى العالم الاسفل المظلم طالماً مختاراً ، الامر الذي يضمه قريباً من مسألة تفكير الجبر والشر التي يحضنها القديس ، وهكذا نجد الخلاص من طريق الوقوع في الخلطة ينكره ضد دوستوفسكي .

نجد في « الشياطين » ان قصة ستافروجين مروية بطريقة تجعلها محاطة بالصوح . لأن دوستوفسكي يريد ان يظهره لامتصياً . الا ان القارئ الذي يترك مفاهيم بطل باربوس ادراكاً جيداً ، لا يجد شيئاً خاصاً في تصرفات ستافروجين . انك اذا فهمت على انه مزيج روسي من ايفان ستراود واوليغر كاونتليت . مع شيء من بطل بوشكين ايوجين اونييجين ، ستكون امامك صورة واضحة كل الوصوح له . ان قصته تكشف عن سلسلة من الاستعدادات . هو يقتل زوجة احداهم وسط جمع من الناس ، ويقبض على جنرال عامد . ويصير اذن رجل عجوز مسالم . اما حسوة القتل فهي انه يمثل دور حلام رامبو الخش في غرف امتثال المدينة . ان المسكين والصغيرة محترقون الى درجة اهم يتوهون ان من يتوهم . . . وينصح ملوك ستافروجين

هناك في « الشياطين » ان القاص ادمسوف . هناك في « الشياطين » ان القاص ادمسوف . هناك في « الشياطين » ان القاص ادمسوف . هناك في « الشياطين » ان القاص ادمسوف .

لسكان المدينة حين يصاب بانسيار عقلي ويرسل الى مصعب عقلي لمعلمته ،
اما بالنسبة الى القلوب المدرك ، فانه يعلم جيداً ان تلك الاحمال وذلك
الانسيار العقلي هما نتيجتان لمجوله الثلاثية .

ولستمر القصة ، ويكمل ستافروجين اموراً أشد غرابة ، فيضلل صفة على
وجهه من شاتوف ، ويشارك في مبارزة يسمح فيها لخصمه برمية أولاً ، ثم يطلق
فأر مسلحه الى اعلى ، ويطلب من خاتة شديدة البؤس ضيقة الحلق ان تكون
زوجته . ورغم ان معظم نساء المدينة راغبات في الحصول عليه ، . ونخبراً
فانه يئلي باعتراف رهيب رهبة الكابوس ، . ويشق نفسه . وفي هذا يقول
دوستوفسكي : ولقد قرر اطباء المدينة ان حالة ستافروجين لم تكن جنوناً .
ان العبارة الاخيرة شديدة الاهمية ، كما ان دوستوفسكي لم يكن لينهي القصة
لقرائه نهاية هادئة ، ويعتبر ستافروجين اهم محاولاته لتخليص افكاره من الخبز
والشر . ان اعتبار ستافروجين مجنوناً ، لا يقل ضخامة عن اعتبار راسكولنيكوف
شريراً قسياً لا يرحم .

ولا يقوم ستافروجين بتقديم نفسه اليك في القصة ، كما ان دوستوفسكي لم
يكتب مقالة او بحثاً علمياً من اللاشمسي ، بالرغم مما قام به من مجهودات ضخمة
في هذا الباب . (كان واجبه ان يعلق ، لا ان يقارن ويحقق) ، رغم انه يكون
من غير الانصاف ان لا نعتزف بأن طرخته في ذلك كانت في ٨٠٪ منها طريقة
النقاد الحاذق . اما من الناحية الخلاقة ، فانه من غير المقبول ان نتوقع من

مأوسط جمع من القاصين ، دون ان يلاحظوا احد ، . وبذلك ان ذلك الموقف كان انه حركته .
وعليه الهادفة مدلول نفسي . ويمكن ان تكون لعمري ليست كاملة من الحقيقة الخادعة
على المصعب .

• حلف الناشرون فصل الاعتراف طدا من القصة ، ولا يظهر إلا بعد سنوات عديدة ، حين
لشر السوفيت . وله وصفه ببركوفسكي مأ ، جوهر المرب المركز وقت نشره في الاسف
في كراس صغير في لندن ، وفعلت بذلك صفة هوكارت الا انه لم يلاحظ
اية طبع من طمأنينة تكامله .

شخص دوستوفسكي ان يقوموا بتحليل أنفسهم بالمسألة التي يقوم بها
ابطالهم برانديلو وشو . ولحسن الحظ . فان دوستوفسكي لم يقدم لنا شيئاً
لم نبهته في هذه الدراسة ، بالإضافة الى ان ستافروجين لا يمثل مشكلة ما .
أما الرسالة التي كتبها قبل قيامه بشق نفسه ، فاما تصلح ان تكون تمهيداً
لكتابه « أعمدة الحكمة السبعة » . لورنس .

• لقد جرئت قرني في كل مكان ، لانك نصحتني بذلك فاذلاً انه سيحطني
- اعرف نفسي - الا انني حين فعلت ذلك من اجل نفسي ، ومن اجل اغلار
نفسى الناس . لاح لي ان قرني ليست مخلوقة ، كما كانت قبلاً طيلة حياتي ،
وقد رأيت بعينك كيف انني استملت صفة من اخيكت ، وأملت زواجي على
الملا . أما على اي شيء اطلق قرني ، فان ذلك ما لم اعرفه ولا اعرفه الآن ابصاراً .
ليست رجلي في لوية بما يكفي ، لانها لا تستطيع ان تفودني . انك تستطيع ان
تسير النهر على جرع شجرة ، الا انك لا تستطيع ان تفعل ذلك على قشرة
شجرة . . (٢١)

ان ستافروجين ، الذي يشبه ايفان سترود في لانهائته ، فقد دواحه ،
الا انه ما يزال قادراً على الاعتراف بقوة هذه الدوايح لدى الآخرين ،
عالم لدى كيريلوف ، المصاب بحزن الانتحار :

• على الرغم مما كان يتسبب به كيريلوف من شهامة وصبر ، فانه
لم يستطيع ان يتفق مع اية فكرة ، وانما اطلق الرصاص على نفسه .
الا ان ستافروجين يعلم انه لا يستطيع ان يفعل ذلك :

• لا استطيع ان اتفق مع اية فكرة ، ان ذلك الحد نفسه ، وليس في استطاعتي
فعل ان اطلق الرصاص على نفسي .

الا انه مع ذلك يشعر . بالرغم من ان الانتحار لا يبه ادلاً ما :
• انني اعرف ان ذلك سيكون ضللاً لا آخر . في حلالة لانهاية من الضلالات .
لا شيء حقيقي سولطها فانه لا يملك شيئاً يعيش من اجله . ولا يملك
شيئاً يدهه الى الموت .

• لن يكون حبي أقل غفاهة مني ... التي اعرف انني يجب ان اقتل نفسي . وأن أفضل نفسي من الارض كآية حشرة كريمة ...

الملك نجد دوستوفسكي يقارن البشر بالحيوانات دائماً : وبمكنتك ان تذكر في ذلك كثيراً من صفحاته . وشبه هذا الموقف موقف همنغواي أيضاً « معظم البشر ... يموتون كالحيوانات » ، ومقارنة كاترين باركي بالنمل على قطعة مشتملة من الخشب . لا امان هناك . اما حياة البشر فهي حيث . وهم لا يموتون بدرجة عنيفة . وانما بنواح خافتة » . اما حين يلهمهم ايمان ما ، فان ذلك يعتمد على مدى قابليتهم واستعدادهم لتترك المواقف نعمي اعينهم . هذه هي حالة ستافروجين ، وانه ليكره ذلك . ويريد ان يتخلى الخواء المطلق ويشعر بعنف قوته الذاتية . ولكن كيف ؟ أبأن يفعل الخير ؟ ذلك امر بعيد عن الموضوع ، لانه يرى عمل الخير مجرد لعبة ليس فيها غير ربح حائلي ، ليس فيها غير الاعجاب بالنفس . أم بأن يفعل الشر ؟ ان اخر الله ليس غير وصف لمحاولاته في عمل الشر ؟ ولا يلوح ذلك غير بحث متعمد من كل ما يثير المشاعر ، كبحث دوريان غراي . ما هذا ان دوريان غراي انما يبحث عن القلة والشهوة ، وكفقت ستافروجين ، فانه يتجرد من كل الاخلاق ، ويسرق احد كتاب البنك من آخر روبلاته . ويضد حطاة في العاشرة من عمرها ثم يغربا بقتل نفسها ، وتقوم بذلك عبر صدرة فلا يتمها . وهكذا ، فانا ما أد نقرأ الاعتراف حتى نشور على ستافروجين . نرى لماذا لا يتخلص من محيطه المشاكك . ويكشف كم هو قوي ذلك الدافع الى الحياة الذي يتميز به الجسد ؟ اننا لنشعر ان عشر سنوات في سيريرا يمكنها ان تعلم قيمة الحياة ، واننا لنجد ان دوستوفسكي يقدم هذا الحل صلاً لبطل تنح من ابطاله مع لظافته بأن نسمي حينه ، وذلك في قصة الاخوة كارامازوف . ان ستافروجين يظن بأنه جاب الحياة من اقتصاها الى اقتصاها فوجدنا كلها خواء . في حين أنه انما كان هو نفسه هذا الخواء . انه يفضل في استعمال قواه العقلية للاجابة عن هذا السؤال : لماذا تفصل الاشياء الحبة الحياة على الموت دائماً ؟

لقد أعمداً ستافروجين الهدف . الا ان مخالفته لم يكرهه في الحس . لأن

الرجل الذي وقف امام فرقة الرمي متعباً لساعة اعدامه في ميدان سيمونوفسكي بحرف كل شيء من الحياة . ونجد راسكولنيكوف في « الجريمة والعقاب » يفكر بما يلي :

« ... يقول احد المحكوم عليهم بالاعدام ، او يفكر حين لا يبقى حل بعد اعدامه الا ساعة واحدة ، بأنه اذا كان عليه أن يمينا على صخرة عالية ، ذات حافة ضيقة ، له منها موطن . قلبه لمحب . يحيط به البحر ، والظلام ، والوحدة ، واذا كان عليه أن يقف في ياردة مريضة فقط طول حياته . أو ألف سنة ، أو حتى الأبد ، فان ذلك كله أفضل من ان يموت الآن . ان يعيش فقط ، يعيش ، يعيش ، بها كانت الحياة .. »

وعلى القيص من ذلك . نجد رؤيا سفيريكايلوف . الشهواني المجرم الذي لا يعرف ما اذا لم يكن الابد ايضاً زاوية مربعة في غرفة ضيقة ، مملوءة بالنكبات وأنسجتها . ويطلق سفيريكايلوف النار على نفسه ، في حين حد راسكولنيكوف العدة لتحمل عشر سنوات من النفي في سيريرا ، ذلك الذي سيمنع من بين الموتى .

اما في « الشياطين » ، فان ستافروجين يمثل ذلك المجرم الشهواني الذي لا يدوم الابد . ما حدة ما يصفه به وجوده الكتيب الحليس من مناهم هذا الابد . انما كيريلوف . المصاب بجنون الانتحار . فانه يقتل نفسه ايضاً ، الا انه بذلك انما يكشف طريقاً للخروج من كابوس اللاحقيقة . ان كيريلوف يمثل أعلى درجات القصة . وهو يتسلط الاشارة من نيتايت لقتل نفسه ، الا انه كان قد مر ذلك معه . اما اسبابه في ذلك فهي لا انما لاله المنطق . لو كان الله موجوداً ، دخل شيء هو رضى ارادته . واذا لم يكن موجوداً ، فان كيريلوف هو الله . بعد ان يظهر ارادته بالوصول ان حل نهائي لا يمكن رده . فقط . ان عمل أكند هائي . وذلك هو ان قتل الله

، لان الارادة ملكي . نرى . أليس هذه الام من اسان واحد . انتهى من شكك وجود الله ، وأمس باراهه هو . فلان الامم العائمة لتتبع من ارادته

الفتاة في أهم مظاهرها ؟ انه يمثل الشاهد الذي ورث ثروة كبيرة ، الا انه يخاف منها . (٢٣)

لقد انتهى كيريلوف من أمر الله ، لانه لا يستطيع ان يؤمن بأي مبدأ عتري من أعظم من حقيقته الذاتية . ويقول كيريلوف في هذا : « لو كان الله موجوداً ، لانه يجب ان يكون حقيقة خارجية ، مثل جيهونا ، إله العهد القديم . » ان منطقته « توجري » ينبد مثل هذا الآلة ، ولها فاته على القيص من يدو لورنس الذين لا يستطيعون ان يحدوا إلاها في قواهم ، وانما كانوا يحتضون بأهم موجودون في الله . الا ان كيريلوف لا يؤمن حتى بالله في ذاته ، لسوء الحظ .

الا ان القرار الذي يصل اليه كيريلوف ، من ان الحياة لا قيمة لها ، انما فيه الامراة التي كان يشهد . بمقارنته مع ارادته الخاصة ، وقد حصل على الاتصال المثالي دون ان يشعر بذلك . الاتصال الذي يشبه المثل الاعلى للشيء . ولا كان مستعداً للتخلي عن حياته في أية لحظة . فانه استطاع بذلك ان ينجب حياته الشاعرة التي تفيد معظم البشر بصلواتهم . لقد حطم « الطبيعة التي يلعلها الفكر » . وهو يسأل سائر روجين قائلا :

« هل رأيت ورقة - ورقة في شجرة ؟ »
« بل » .

« لقد رأيت واحدة في الايام الخريفية للغة - ورقة صفراء ، مخضرة قليلاً » . ذائلة على الحافة ، تعالها الريح . لقد كنت اغلق عيني . حين كنت غلاماً ، اذا جاء الشتاء ، واتصور ورقة مخضراء ، نابضة الخضرة ، والشمس تسطع عليها ...

« ما هذا الكلام ؟ أترمز به الى شيء ؟ »

« كلا ، لماذا ؟ انني لا أرمز الى شيء » . انني اقصد ورقة خضراء ، والورقة شيء . يمثل فيه الخير ، كل شيء . يمثل فيه الخير .

« كل شيء ؟ »

« اجل ، كل شيء . ان الانسان يحب الله من سجد لانه لا يعرف انه سجد »

« صمد » - سار انجيل . . .

صلاً ... اما من يعرف ذلك ، فانه يشعر بالسعادة حالاً ، مباشرة ...

« وماذا عن الانسان الذي يموت من الجوع » . والانسان الذي يصد ويتأمل فتنة صغيرة ؟ ترى هل تعتبر مثل هذا الانسان خيراً ايضاً ؟

« اجل ، انه لكلنا ، بالاضافة الى ان من يقتل نفسه أسفاً على ذلك الفتاة هو ايضاً خير . كل شيء خير ... »

« ترى متى اكتشمت انك سعيد الى هذه الدرجة ؟ »

« أنا ؟ لقد كنت أسير في الغرقة ، ولهاذا اولفت الساعة . وكانت شير الى الثالثة الا ثلاثاً وعشرين دقيقة . » (١٤)

لقد كان دوستويفسكي شديد التأثر بالقسط الذي يدور عن « الاتحاد » : « وولف الملك الذي رأته على البحر ... ورفع يديه ونجم ان لا يكون هناك زمس بعد ذلك ، وان ينتهي غرض الله ... » (٢٥)

من المحتمل ان يكون دوستويفسكي قد شعر « بالمحطات الزمنية » في المحطات التي كان يرى فيها رؤاه مباشرة قبل امانيته بنوبانه المصيبة . وذلك وصفه لاحدى هذه المحطات ، كما جاء في « الاخ » :

« وفي المحطة التالية ، لاح وكان شيئاً يغمر امامه ، وطقق شعاع يديع - طلع في روجه ، واستمر ذلك نصف ثانية ، الا انه لم ينس انه سمع لواءاً حزيناً قريباً صدر عنه هو دون ارادته ... ثم غاب عن وجهه ... » (٢٦)

تشبه هذه المحطة (لحظة النور الداخلي) لحظة نبشته التي أحس فيها « بأرادته الحرة » التي لم تعد عقلية تربكها ... وهي تعبر عن ارادته وروحيته في ان يموت ليفصح بذلك عن عظمة ارادته وعن قابليتها على تلب كل شيء . « يمكن ان تعود الى ما كتبه القديس يوحنا ايضاً :

« عليه . فان الروح التي تسبح فيها على الاشياء المخلوقة .. لا تستطيع ان تحصل على الاتحاد بوجود الله النهائي : لان ما ليس موجوداً لا يستطيع ان يتصل بما هو موجود . . . »

لقد حقق كيريلوف رؤيا القديس بدون ان يلجأ الى الدين أو الإيمان بالله ، وقد جعلته انفصاله التام شيئاً وهمياً ، ففأش دأباً في تلك الرؤيا المذكرة التي لم يعرفها ميركوف الا في ليلة اعدامه : ولقد كنت سعيداً ، والتي ما زلت سعيداً .

ولم ينوقف دوستوفسكي ليبحث او ليوضح هذه النقطة ، وانما جعلها على شكل قصة ، وما هي القصة تقرب الآن من نهايتها ، وكل شيء فيها يتحرك بسرعة الى هذه النهاية . ويصل في الصفحات المائة الأخيرة الى تركيز نبوي شديد لم يصل اليه كاتب آخر في عالم الأدب . كان نيتشايف قد قرر ان يقتل شاتوف ، ويحرق المدينة ويبتلك زوجة ستافروجين الضعيفة المقل ، ولتأخاها السكير . وكان على شاتوف ان يقاتل « حنة رغان » في مقاطعة ستافروجين ليسلمهم المطبعة السرية الا انه قبل ان يتعلق في سبيله لاداء ذلك تعدى زوجته وهي في الأشهر الأخيرة من الحمل . (وكانت قد هجرته منذ ثلاث سنوات . اي بعد اربعة عشر يوماً من زواجها) لتعيش مع ستافروجين . وسرع شاتوف ليقترض مالا ويبحث عن قابلة . وما ان يولد الطفل . وينظر اليه شاتوف حتى يدركه الالام والموت . معنى فينضم : كان هناك شخصان . اما الآن فهناك ثلاثة كائنات : « من الشر .. روح جديدة تامة كاملة .. وتفكير جديد .. وحسب جديد .. » ذلك الخبيث .. وليس هناك في العالم شيء اكبر من هذا .. (٢٧) ثم يصل أحد الرعايا ليستدعيه . ويسأل شاتوف ، بيتاً كانا يسيران في الظلام . « امير كييل - هل شعرت يوماً بالسعادة ؟ »

اما القتل الذي يفرضه ذلك . لمعه أطفئ حادثة في قصص دوستوفسكي كلها ، بل ان القاري - يشعر بأنه لا يستطيع احتمال القصة اكثر - بعد ان شهد مشهد « ل. الطويل » الا ان اعمال نيتشايف لم تنته بعد . بعد ان تومي حنة شاتوف في أحد المستشفيات . يذهب لمقابلة كيريلوف . لقد حامت الآن السادة التي لعب على كيريلوف ان يقتل نفسه فيها من اجل « التحالف الثوري لاوروبي » . الا ان شاتوف من الرحمات يحب ان يسبق ذلك . او على كيريلوف ان يكتب ورفله بعرفه فيها بالاعلان . بعد فيها . هو الذي قبل شاتوف . وصل المشهد تامة

لثورة الثوريين ، الذي لا يضارعه فيه اي حل أدبي آخر في « نيتشايف » ما عدا مشهد القتل في « الجريحة والعقاب » . ويجمع في البداية بأن كيريلوف لن يفعلها . يبحث على الادلاء بأصحابه . وهكذا يفتح كيريلوف بذلك . يطلن هذا النار على نفسه . نيتشايف بعد ان يضمه اصبعه الذي عصفه كيريلوف بتدليله ، اما على الضلوع خارج المدينة - ناركاً وراءه مدينة تلتهمه . وثلاثة قتل . « الا ان القتل لم ينته بعد . وانما شهدنا فقط نهاية « التعلب المستمر » . وامر على نيتشايفه مهياً في القصة . وانما كان يمثل دور « اياكم » . « لا . ام يكن لامتصاً . اما اهم شخصيات القصة . طامه .. » . « رفة متلهمة . والمشمس ما يزال في يده . وتبعه زوجة شاتوف . » . « حين تخرج باحثة عن زوجها . »

« سي الكابوس - هذه الدراسة الأخيرة الكبيرة التي قام بها دوستوفسكي »

من التدخل .

فكرة القصة بسيطة ، إذ نجد ميتيا وأباه الشرير الشهواني يتنازع
أحدهما الآخر على حب فتاة واحدة وسين يقتل سميرداكوف . شقيق
اللاشرعي . أما ميتيا ، نحوم الشكوك حول ميتيا ، فيقتض عليه ويرسل
إلى سيرا (في حين يتحرر سميرداكوف) .

إن جانب هذه الفكرة نجد فكرتين أخريين . مرتبطتين بايفان والبوشا .
أولها أن البوشا يتنازع بطبعه فان كوخ الأنزعاجي ، إلا أنه ، ولحسن الحظ ،
الذين وفيهم في وقت مبكر ونحن نراه في بداية القصة نلاحظاً
سأ في أحد الأدبيرة المحبة (مثل لارزيس بطل باربوس) . أما البوشا
فإنه يربط برجة عقلية تسببها وفاة الأب روسيا ، وليس الدبر الذي
أبداً كل القديس ، وينتهي الأمر بالبوشا ذاهباً إلى العالم (مثل
أدمانك - كنيس) ليبحث عن خلاصه .

ثم قصة ايفان ثابتة ، لأننا نجد لامتباً عقلياً . يفكر أكثر مما يجب
في الحياة . ونجد في ايفان ، بالإضافة إلى ذلك ، شيئاً من قسوة
الشرير . في حين نجد أن أخاه اللاشرعي سميرداكوف يجب حياً
في حياته في كل شيء ، مما يذكرنا دائماً بأنه لا يتمتع إلا خصصاً
بأهله من غواء العقلية . أي أنه ليس غير الجسد والحق الكبير . على أنه
لايفان . وأما يستلحه دوستوفسكي لطرح السؤال التالي :
هل يجب يؤمن الإنسان بأنه لا يستطيع أن يعيش الحياة ؟ أما
على شاطئ نجد لعدم إيمانه ، فيزوره الشيطان .

في النهاية ، إن فكرة القصة بسيطة ، إذ نجد ميتيا وأباه الشرير الشهواني يتنازع
أحدهما الآخر على حب فتاة واحدة وسين يقتل سميرداكوف . شقيق
اللاشرعي . أما ميتيا ، نحوم الشكوك حول ميتيا ، فيقتض عليه ويرسل
إلى سيرا (في حين يتحرر سميرداكوف) .

الفصل السابع

التركيب العظيم

مثير . الأخوة كارامازوف ، أعظم محاولة قام بها دوستوفسكي لبحث
مشكلة اللاإمتني . وقد رأينا كيف أنه بدأها ببحث من نوع بطل باربوس .
الإنسان العرمرار اللافتري . الإنسان تحت الأرض التي لا يستطيع التخلص من
أفكاره . حق الجنس البشري - وظل يتبع قاعدة أن خلاصه فلاستور هو
الإنسان . حين خلق راسكولنيكوف ، وشكين ، وشافروبيج الذين يعتبرون
أنهم يعرفون من هم وأنهم كانوا ذاهبين . أن تتصرف في الجرعة والتصرف
في الزهرة القتل والسد . أتراً واحداً . فكلامه . ثم في النهاية
الأسامي وحدها تحنانه من الوصول المشكلة أو حلها .

يطمح دوستوفسكي في الأخوة كارامازوف . في النهاية
الأسامي . إذ يرى في وقت واحد الإنسان . في النهاية
الأسامي . في هذا التركيب العظيم . في النهاية
الأسامي . العقل ، والمشاعر . في النهاية
الأسامي . النوع العقلي . في النهاية
الأسامي . في النهاية

ونعتبر قصة ميلا ، دون غيرها من قصص الابطال الآخرين . أنزل القصص
لغاصيل . وقد كان دوستوفسكي مهتماً دائماً في قصصه . وطمأن أن التجربة
والغضب نعتو نجاحاً فنياً كاملاً . ذلك لأن قصصه البالية تنبئ الرسالة المحزنة
بالاستماتة التي يجد أن القصة الرئيسية ليست إلا أساساً لتقصي البطولي تبين
تحتوان أشد أهمية منها . رغم أن هذه القصة الأساسية لا تمتنع بنفسها للشغف
الآخرين إلا في نقاط واحدة . والمسؤولية بيقان الخلقية عن موت أليه . لأنه تهي
هناك ، لا علاقة لها بشأكله كلاً من ذلك . لا يصرف النظر عن أي تخاذ الدينيين
لمحكوموا على التعصص بقدر ما فيها من حكم وعظائم ومبادئ تعرب الناس
مثلاً حل نتيجة من يقلل لشر . فإذا استطعنا أن نستعي أية عظة من هذه
فإنها لن تكون غير عظة للاستعص . نقول له . له من يفكر أكثر مما يجب غالباً
ما ينظر في أفكاره نظراً مهيكلاً . إلى درجة أن العالم يلوح له ممتراً غلابياً
من الأفكار والأشباح . وعليه . إذا أراد أن يقتل عاقلاً . أن يحفظ
بصحة بالواقع .

ولم يكن البوصلة على مثل هذا الحق . ولا خطر عليه من ترك الواقع والاعتدال
باعتداله الخاصة ، الا انه بدلا عن ذلك يسقط في نفس المرأة التي سقط فيها
جانه كروح . انه يسمح للمشاكل العاطفية . المشاكل الخاصة بالبشر . بأن تعطي
على رداء العقيلة الاساسية . وذلك هي القصة التي نخرج بها من قصة .
وعادنا عن شيئا حسنا ، بلوح انه من اولئك الذين يمتحنون خلقهم اكثر
من اهتمامهم بنا (مثل شالوف في (ثياطين) . كما انه يعتبر حسنا لادب
دوستويفسكي عمر (الجلل) . ذلك انه يضرب صفوه افعى ويدبر عنه حمار .
وارة يشغل من الغضب الصعب الى اختصار نص بشدة . بحرفه من
عبارة كل العدد من الالفاظ ذات البسطة . تصرفات يشعر منها بالزوال
الشرسي . شيئا . وهي شيئا . ولذلك لانه يفضل في جلبب ابتداء القارئ .
الاوروسي . على عكس ابتداء الباشا . ولا سيما انه يخرج من امره .

... لو كنت قد كنت أعاني بسلام الأشياء ، ولو كنت مفتعاً بأن كل شيء مضطرب لعين شيطاني توكية القوضى . ولو أصابي كل ما يصيب البشر من رعب وخيبة أمل ، فاني لن أخلّي عن رهنّي في الحياة ... (١)
 وأليك نبأ إيمان : الطبيعة التي يربكها تفكر .

أود أن أسافر إلى أوروبا باليوشا ، واني لا أعلم أن أوروبا ليست غير مقبرة في هذه الأيام . إلا انها مقبرة غنية رائعة . أن أولئك الموتى المضطربين فيها يتقلبون بالحياة المنتهية التي عاشوها في الماضي والإيمان الذي ادوا به الحامل ... ما نحن روحى بهذا الشعر ، اني أحب الأوراق في الربيع ، والسماء الزرقاء - وهذا كل ما في الأمر . وليس هذا من اختصاصات العقل أو المنطق . انه الحب الصادر من أعماق الإنسان ، من كيمانه . ونبية اليوشا قاتلاً :
 اظن ان الجميع يجب ان يحبوا الحياة أكثر من أي شيء آخر في العالم إلا اني أسألك أعجب الحياة دون ان تفكر في معانيها ؟
 بالتأكيد . ويجب أن لا تنهم بالمنطق . لأنك اذا سميت الحياة حقاً استطعت ان تفهم معناها بصورة لا مباشرة .

ونستطيع من هذا ان نرى كم قطع ديموسيفسكي غزواً جيناً من رعب ثوروس من عدم وجود مخرج أو هدف في الطبيعة . ان الحياة تكمن وراء الآسار . الأشياء ويعرفه الانسان هذا . اما غرضه فهو ان يتمسك بالحياة ويعزز فيها محالبه . أنه يفتن عليها بأقوى مما يفعل الوجود الجواني اللاهوت . ان يعني وان يريد برغم الحياة . وقد استطاع إيمان ان يخل نصف مشاكل اللاهوت الرئيسية ، ويعيد اليوشا هذا ويقول له .

والله المصنعة نفسها واجبت . وعليك الآن ان تفهم عدم المعنى الذي ...
 أي هو آخر ؟
 ان سمعت ذلك ، الذين من المحتمل ان لا يكونوا مدعواً جدد (٢)
 ان اليوشا على حق ، إلا انه لا يدرك مشكلة استقلالي . في حين

يرشح إيمان ذلك . ونجد لدى إيمان ، بالإضافة إلى ذلك ، شيئاً من الراهب .

انني أقبل الله ، وأقبل حكمته ، وهدفه . الذين لا يعرفونها جيداً اني تؤمن بالنظام واللعن الكائن في الحياة ، وبالتوافق الاسدي . وأؤمن بالخلافة التي ينشدها الكون ويتأصل من أجلها . . ويلوح اني اسمع على الظلمة المستقيم الآن . أليس كذلك ؟ - إلا اني في النتيجة لا أقبل عالم الله ، ثم يبدأ البحث العظيم ، أو بالأحرى التفكير الثاني لديهم . لأن إيمان هو الذي يقول وحده . ان ما يحته إيمان الآن هو صعوبة تحقيق والسف الثاني من الحل . اما فكرته فتدور على القوة والثبات . فيحدث صفحات ملوثة من الصورة على الاحتفال . ثم ينتهي إلى النهاية السابقة ويقول : ليس الأمر الذي لا يقبله الله باليوشا . وانما أعيد إليه بطلاقة الدخول دون ان استعملها .

لأنه بحث وجودي . كما انه لكي يكون في استطاعتك ان تبني على القوة ، يجب ان يكون لديك أساس . في حين ان إيمان يصر للعذاب الذي يعانيه الطفل الناس كافيًا لزلزلة أي أساس . لقد صرح لورنس بأنه عذاب الجسد لا يستطيع ان يؤثر على الإرادة . ويمكن ان نعتبر هذا أساساً مقبولاً ليتم البناء عليه ، وهذا الأساس هو ان يريد الإنسان . ولكن ماذا عن عذاب الأطفال ؟ لا يستطيع الطفل ان يملك شيئاً من قوة الإرادة . ان عذاب الأطفال موجود ، لا يمكن انصاعه أو حله عن طريق التوافق الكوني . أو النظام .

يعبر اليوشا بأن ذلك ليس حلاً مقبولاً . وربما يفر بذلك ، ولكن ماذا من الحلول من المعقولة . كإعطاء الدين الذي يقضي على المسيح بالحرق لكي يبرأ العالم من العالم ؟ ان باستطاعة إيمان ان يجيب من ذلك بعضاً . المستطوعة التي يرونها عن المقتل العام . (٣)

... إيمان لا يوشا ان المسيح عاد إلى الأرض مرة . في اشيلية . إلا ان القتل العام للذي البصر عليه وأودعه السجن . ثم يلوه في الليلة دامية في سجنه واحد . لماذا لم يسمح له بمحاكمة حاله في اشيلية . (والتي عاد إلى المسيح

أية رسالة جئت بها في فلسطين ؟ أي أن يكافئ البشر من أجل حبة آكلهم
وفرة ؟ وأن يكون لديهم إرادة دائماً ليسرّوا أن تملكه الله حي فيهم ؟ وأن
لا يكونوا فاعلين بكونهم بشرًا ، وإنما يجب أن يتأخّلوا ليكونوا أبناء الله ؟ قد
جئت بتعاليم جديدة فيها يغض السلوك الانساني لم تكن موجودة في كتاب العهد
القديم . واضفت الى الوصايا العشر . ثم تركتُ لبني كنيسة على خاليتك ،
الا انك انتي ، التي لم تدركه هو ان البشر ليسوا جميعاً أبناء أو عاهرة اخلاقيين .
ان واجب الكنيسة ليس محصوراً في انقاذ أولئك الذين يكون لديهم من قوة
الارادة ما يدفعهم الى تشديد الحفاض . انما معنيو برفع مستوى البشر ، ولا
يمكننا ان نفعل ذلك بأن نقول لكل انسان : كن انت كنيسة نفسك . كما فعلت ، لان
ذلك يعني اننا نقول لكل انسان : كن لا تستبج الامر الذي لا يرضي الله لانك مشاكلك
اللامتعي غيب قابلية للحل . ونحن ، الطبقة المحتارة ، نعرف ذلك جيداً . لقد
رفضت من المستوى اكثر مما يجب ، ولعننا علينا ان نطه به من جديد . اننا
ونحن الطبقة المحتارة ، لا نشعر بالعزلة . لاننا ندرك صعوبة وضع حراس .
الا اننا احتفظنا بذلك مرأ دفيماً ولم نطلع عليه احد من الناس . ونحن ليسوا
أفضل من القسط أو الكلاب . وهذا أنت تعود ثانية ، مدعياً بأنك مستثنى من
ذلك . وهل نفل اني سامح لك بذلك ؟ بل اني اعشى ان يكون مضطراً الى
اعادة ، وليس علينا خطاي ، وانما خطوك . الانفصل للاسياء أن يكونوا امواتاً .
لما انما طالبوا احدهم على سفر من احراقهم أو صلبهم .

حالة المكافحة وفي فصل - الرابع الروسي ، لا يمكن أن نغادرها من
القوة والانتعاش - ولكننا يجب أن لا نغفل بين التأثير المتوابعين الذي
يحل في هذا البحث وبين حقيقة الاحياء - انما فعله انما هو انه من
الاشياء التي دفعت ليرى ان الانتعاش العقلي - وهذا كقول ، بلنفسه
منه الى الجنون . وقد فعل دوستوفسكي هذا بوضوح وقوة عظيمة وثقة ،
استحدثنا ديفنا قبل ان نلقى له ما فيه من دفاع من البين ضد الكثرة ، ان هذه
الاشياء اروع ما يمكن ان يكتبه اللامعني عن قصة ان الصورة
سماها من اللامعني ثوبنا اياه ، وانما في منتصف الطريق نحو بوع
من الاسماء - نوع اروع من الفرد المولود مرة واحدة ، مبدأ من
بوع تعزوات العسية ، قليل النوم ، قليل الطعام ، الا اذا وجدنا
من حلقا قلل اللامعني وحالة التوتر العصبي التي تفرزها اشياء اخرى
صاعاً موضوعياً تتعده خرافة احاد الاسلاف وامنهم بالملامح - تماماً
انما يلتفت في الثاني في الفصل الخامس .

لقد بحث حوثوقسكي الامر من زاوية الحرية ، وقد صرح الانسان الصرصر
 بآرائه في ذلك حين قال : « ان على الانسان ان يثبت انه انسان . وليس خضعة في
 الآلة الكبيرة » . ان الحرية تعني الحياة ، ولها قلبا لا تعني شيئا بالنسبة الى روح
 من ادراج المكعب ، او الى جسد ميت ، وهي تعني بالنسبة الى شجرة اقل مما
 تعني بالنسبة الى انسان ، وبغض الطريقة فانها تعني بالنسبة الى الذئب على الخمر
 او المخلوقات اقل مما تعني بالنسبة الى الانسان الصحيح التوي . اي انه
 كلما زادت الحياة شدة . زادت امكانية الحصول على الحرية .

والآن يمكننا ان نفهم ما قصد اليه ايفان بوضوح ، اذا نجد ان اقواله تلك انما
 تصل الى ما وصل اليه جيس من انه لا حرية هنالك . انه يقر بوجود الحياة ، كما
 انه يحب هذه الحياة ، « والراحم المظنعة في الربيع » ، الا انه لا يستطيع قول
 اي معنى لها . انها موجودة لحسب ، وهي ليست غير نوحى شيطانية لا معنى
 لها . ويرسم لنا ايفان في معرض حديثه عن القسوة على الاطفال صورة التنبية
 للطبيعة الانسانية : البشر انسانيون اكثر مما يجب . ناهون . قتالون . اما الذكاء
 الذي يجب ان يميزهم كغيرهم عن غيرهم من الحيوانات فانه انما يعلمهم
 اشد وحشية من هذه الحيوانات (كما يقول فيفستوفليس) . ثم يتصل ايفان
 الى المسيح . وهنا للتذكير ما قاله كبريلوف لينشايف : (٤)

« اسمع هذه الفكرة العظيمة : كان هنالك يوم في هذه الارض . كان في
 وسط الارض سلبان ثلاثة . وكان لدى احد . « المعاقين على هذه السلبان
 الثلاثة من الاجمان ما جعله يقول لصاحبه : ستكون اليوم معي في الجنة . وانتهى
 اليوم . ومات كلا الرجلين ، الا ان احداً منها لم يجد الجنة ، ولا وجد اليث

اسمع . لقد كان ذلك الرجل اعظم الناس على هذه الارض ، ولهذا فان
 هذا الكوكب يعتبر جنوفاً محضاً بدون هذا الرجل ، وهكذا فادام لم يستطع
 « ايقن الطبيعة ان تخطئ حتى ولا بهذا الرجل . « وانما تركته هو الله
 . ان بين الكاذبين . ويموت من اجل كذبة . فان الكواكب . باجده
 . الا كذبة . ويرتكز على كذبة وسخرية حقاً ! »

ان ايمان يؤمن بأن « ذلك الرجل كان اعظم الناس على هذه الارض . كما
 في الاسطورة التي يروونها عن المقتل العام تعتبر تعميلاً لكلام كبريلوف ان
 المقتل العام رجل ممتاز بالادراك الروحي . وكان قد اشرف على الموت جرحاً
 في الصحراء من اجل الحرية . الا انه . كما يقول ايفان . « رأى ان ذلك لم يكن
 يعني السعادة والراحة ، وانه لا يستطيع الحصول على هذين الامرين بمجرد
 الحصول على الكمال ما دام يعتقد في الوقت نفسه : بأن الملايين من مخلوقات الله
 اما حلقوا كدعامة سائرة . وان هذه الملايين الثمة من الثاقبين لا يستطيع ان
 يجد عاقلة . ان المقتل العام لتأخذ الشفقة على الجنس البشري ، ولعاقب
 . ان اللاشمي ان يحس بأعنى ما في شقاء البشر من ههنا . اما بالنسبة الى هذه
 المخرات المكيئة التي تعيش حياة عياء . فن هو الذي سيفتح لها اعينها على
 حبيبها وشفتائها ؟ وما هو بفهم ؟ اعط هؤلاء البشر خبزاً وسرة وبهم بعض
 الدماء الفسحة ليكاملوا من اجلها . وبعض المخرات السحيقة ليقبوا لها
 سايهم في الليل ، ولكن لا تطلب منهم حكمة . لقد سال المسيح . من سلك
 يستطيع ان يشرب من القديح التي شربت منها ؟ الا انه تصرف بما يوحى بأنه
 . ان الشر يستطيعون ان يفعلوا ذلك جميعاً ، لقد قال . « ان النير الذي
 احملته سهل . « والعبد الذي حمله يسير » . الا انه كان كاذباً في ذلك ، لان
 الحرية بحر اقل الامور جميعاً . ولم تكن تعاليمه لتعني الا هذه الحرية ، اذ
 . الناس بأنه يجب عليهم ان يصكروا لانفسهم . وان يصلوا الى حل يصعد
 . الله والشر وان يصلوا على سوء ذلك الحل . وان يعيشوا من اجل
 المحبة . لا من اجل اولادهم ، او للمسيح الذي يسبون فيه . او موائلهم ،

ذلك ، وليست رسالته ، ان المسيح مات من اجل الانسان . ولهذا فليكن ان تحب جارك . لان هذا وحده قد بفشل في التغلب على منطق ايقان . ولا يلدأ بنفي ما قاله ايقان من ان البشر حقرون ، وانما يحمله يؤيد هذا الواقع . اما جوهر رسالته فهو عقيدة بليك الصوفية : « لو تم تنظيف ابواب الادراك ، للاح كل شيء خالداً ، واما في ذلك البشر ، ولهذا فان اعتبار « حياة » زوسيا جواباً على منطق ايقان ليس اكثر من اعتبار اقبولوج جواباً على الطفولة . ولم يكن متوقفاً من ايقان ان يفهم مدركات زوسيا ، لانه ما زال في اول مراحل ، مؤمناً بالعقل ، وبالاعتقاد في ان القول بان كل شيء خالد يعتبر حقيقة وجودية لا يمكن للعقل ان ييحبها . على ان تحليل ايقان للعالم صحيح تماماً ، فلن ينتهي الشفاء ، وهذا صحيح ، الا انه لا ينفي رؤية القديس . لانه يرى ان الحياة لا يمكن ان تنتهي . وليس هذان الرأيان مبدئين أساسيين مختلفين ، وانما ينهض كل منهما على اساس مختلف عن الاساس الذي ينهض عليه الآخر .

يستطيع الانسان ان يعيش على اساس ايقان او اساس زوسيا . بل انه يستطيع ان يفعل أسوأ من ذلك ، اي ان يعيش على الاساس الواهي الذي يعيش عليه البورجوازي . اما الامر المهم فهو ان يترك ضياء النهار المألوف ، ويدخل الى الارض التي لا تخص احداً والتي تقع بين الجنة والجحيم . يعيش لامنتبهاً . وهنا تبدأ الصعوبات . فاذا لم يكن حسن الحظ . فانه سيجد وجهه متجهاً نحو الجحيم ، والضلالة الانساني ، والتفسيق ، والالتم ، والحق ، والمعرفة النهائية . ولكن تجد هذه الحقائق ما بجلاً افقه ، اما خلف ذلك كله فتقع مناظر هائلة تلوح فيها هذه الاشياء كلها ضلالاً وأشباحاً ، ورعباً من الفراغ ، واللاوجود . ولهذا

وليس القرار سهلاً ، ليس سهلاً لانه لا سبب هناك يدعو اليه . هذا يعني كل شيء حتى الحرية . اما الانطلاق والتحرر فانه ، فاذن له . ليس الا العودة الى الاساس الانساني . الى اعادة الحياة الانسانية . وهو ليس ان يعيش وجوداً وبه . بل ان يعيش للاساسة العالم . وهذا هو الغرض من الحياة . الموت والصباح .

خلق القوة التي تبني الحياة بأي ثمن . اما هذا الادراك . فانه يدعي بالشمس . ان ايقان ، فانه نصف متصرف . كما يقول اليوشا : « انما على صعيد » . في حين ان زوسيا يقل عن ايقان لانه لا لشقاء والصعود الى السماء . ولا يمل حتى في ان يكون البشر جميعاً ، حراساً للسر . وهو لا يشترط بالحياة . وبالجنة للعالمين ، والجحيم للآخرين . واما هو الجحيم لا أعنف . الخراب الذي نمر به حين لا يعود في امكاننا ان نحس . ولهذا فانك لا تحتاج الى الاثنية . وانما بكفيتك يوم واحد . بل لحظة واحدة .

وعندني ، الاخوة كازامازوف . فنعين آخرين بذكركان على كلمات . وسواء ان نحن يمكننا ان نقارنهما بأسطورة ايقان . من الناحية النفسية . أما الاول فهو اليوشا للجزء الاول . ان يموت زوسيا ويتفسخ جسده مباشرة . فيفسخه . كيف يتفسخ جسده . وهو ذلك القديس ؟ ويقولون ان ذلك تمثيل من الله . بعضهم زوسيا ويجهلوه . ويغير هذا الامر اليوشا أيضاً . الا ان ذلك ليس . بل في فنتية زوسيا . وانما لان نخل الناس عن زوسيا يلوح مايرأ .

والله العاشر وهو حائس الى جانب الثوب . ويرى حلماً بعيداً الى ان يرى نفسه حاضراً في الجليل . حين حول المسبح الماء الى خمر . فبلغ جبل المزة على الظيوف . فلك لانه يدعوا ضيوفاً جديداً الى الابد . من حلمه شاعر بأن احدهم اما نمود . به من جديداً . ويخرج الى المياه المظلمة ويثقه . لادراك الكولي . وبتوحي الى العجوم . هذه التي لا حسب لها ربه جيوماً لشدة اليها . ولاج . لان كل شيء . ويظهر نفسه أرضاً ويستحب . ولم يعد ان حال . على الارض .

والله العاشر وهو حائس الى جانب الثوب . ويرى حلماً بعيداً الى ان يرى نفسه حاضراً في الجليل . حين حول المسبح الماء الى خمر . فبلغ جبل المزة على الظيوف . فلك لانه يدعوا ضيوفاً جديداً الى الابد . من حلمه شاعر بأن احدهم اما نمود . به من جديداً . ويخرج الى المياه المظلمة ويثقه . لادراك الكولي . وبتوحي الى العجوم . هذه التي لا حسب لها ربه جيوماً لشدة اليها . ولاج . لان كل شيء . ويظهر نفسه أرضاً ويستحب . ولم يعد ان حال . على الارض .

يمكننا أن نجد شيئاً قوياً بين رؤيا اليوشا ورؤى الشخصاى آخرى
 رؤيا أمهم في هذا الكتاب . مثل ميرسول ونيتشه . ترى ما معنى
 رؤيا اليوشا ؟ إذا تذكرنا رؤيا نيتشه . للارادة الحرة التي لا تربكها
 حيرت العقل . فالتا نستطيع أن نقول إنها رؤيا للقوة . لا . نعم .
 ان عقل الانسان يتألف عادة من ادراكه لحاجاته المباشرة . ويمكننا أن
 نعرف ذلك بأنه ادراك لقواه الخاصة التي تمكنه من تحقيق تلك الحاجات
 وهو يستطيع أن يغفل عما يريد أن يفعله في أقل من نصف ساعة .
 أو يوم أو شهر لا أكثر ولكنه لا يسأل نفسه : ما هي حدود قواي ؟ انه
 يشبه انساناً يملك ثروة في أحد المصارف . الا أنه يسأل نفسه : كم من القود
 أملك ؟ وأما : هل أملك ما يمكنني أن أشتري به جيباً ؟ أو ربطه جديدة . الخ
 أما اليوشا فانه يترك هذه الأمور كلها جانباً . في تلك اللحظة . ولا يفكر في
 قوته . بقدر ما يستطيع أن يفعل . وأما بختار وجدها . ولما كانت الاشياء التي
 نفعلها هي التي تفر ما نحن عليه . فان هذا الجهد الى كل ما يملكه الانسان من
 فعالية . يميل الى أن يتعدى حدود الشخصية . وكل . حيرت العقل .
 انه عبارة أخرى رؤيا . للارادة الحرة . والامكانية الحرة . ونخصي
 الشخصية مؤقلاً : وهذا هو أهم جوانب الرؤيا .

في الموت نفسه . طبعاً . يترك اليوشا حقيقة أن روسيا وكيريلوف
 عرفا أيضاً : ان كل شيء . غير . أما الشر فهو العبودية الدائمة . وهذا
 ما يرمي بالامكانية الحرة الدائمة .

وقد رأى ميتيا رؤيا أيضاً . وكما نتوقع . فان رؤياه تختلف تماماً عن رؤيا
 اليوشا . اد ليس لدى ميتيا شيء من ضغط النفس . كما أنه ناعم جداً . ولكن
 يرمي من هذا السجن أي من سجن أنانيته . يجب عليه أن يتحول لامتصاص . ان
 عليه ان يكشف انه في عالم ملو . بالشقاء الى درجة ان واحد الاولاد ان
 فقط . وليس ميتيا شريراً أو أنانياً من الناحية الجوهرية . وأما ثمة . تحفه
 انه لم يفكر في أحد آخر غير نفسه . وقد عذبه الشقاء . لتلك الشابة الروسية التي

أحبها . وهي . كما يقول المؤلف ساخراً . سوف تسنن بالفراط في الخل من
 عشر سنوات . اننا نراه منها يقتل والده ومرة تقوده . ثم يعقب ذلك
 متعهد طويل يقع في أكثر من خمسين حفلة نراه خلالها يقاسي الامرين
 بما يشبه . اختيار الصليب . فيعيش حياة تامة لذاتية . وتجبره هذه
 الحياة ويلوح وكأنه قد كل ما يربطه بالواقع . ان السطور التالية للدبل
 على مقدار ما لدى دوستوفسكي من براعة فنية ومقدرة رائعة :

« وشعر بضيق شديد عتريده بسبب احساسه بضيقه الجسدي . واطبق
 عينيه تعال . وانصراً . انتهى حلال الشهود . ونهض ميتيا مبتعداً عن المنعد
 الذي كان يشغله في اثرية . قرب السائر . واضطجع على صندوق كبير
 مضطج مقطعة من القماش . وغام مباشرة .

« رأى ميتيا حلماً غريباً . ببدأ كل البعد عن كل مكان اوزمان يمكن ان
 بعينها أي انسان مخلوقه . لقد رأى نفسه راكباً في عربة صغيرة يجرها حصانان .
 ويقردها فلاح . وكانت العربة تهر بها وسط مراوح شعر ميتيا بأنه كان يعيش
 بها منذ زمن بعيد . وكان الثلج في كل مكان . بل كان ينهمر من السماء
 اسباراً . وشعر بالبرد . كان ذلك في اواثل تشرين الثاني . وكان الثلج ينساقط
 مطراً كبيرة ندية ما تكاد تسقط على الارض حتى تنوب . اما الفلاح فكان يفرود
 العربة في دعة . وكان الحبل طويلاً جميلة . وعلى بعد لا حصر له . واستطاع
 ميتيا ان يرى اكواخها السوداء . التي كان نصفها مغطى . لم يبق منه غير بعض
 صلح الخشب المتضخمة . وموت العربة بالقرية . فرباً على طول الطريق ساء
 سائرات . وكان كثيرات . كلهن نحيبات مريضات . لوحت وجوههن الشمس .
 حاصلة تلك المرأة الطويلة . التي تشبه مجموعة من العقاقير . اد لا حصر لها
 الاب . في حين انه في ملاعبها ما ينفذ على أنها في العشرين من عمرها حسب .
 ما لوحها طولها القابل . كان على ذراعها طفل صغير يركب . ميتيا لاح
 لهاها حافض ضامرين لبس منها من الحلب قطرة واحدة . وطفق العليل
 . وهي . وهي . بعدة الضميرين الرافاد . شدة البرد

فاوست : ومع ذلك فإنه لا يمكن الإحساس بوجود هذه للمشاعر اللاهوتية
 إلا عن طريق هذه الآراء ، بالإضافة إلى التطرف العنيف - أعني بواسطة
 الجرائم التي لم تخترع هل بال أحد من قبل ، بالإضافة إلى آخر ما يختلف
 في النفس بما لا يمكن مقاومته من دوافع الخير الابدية .

هو : هذا حسن والآن سأعبرك بأن وؤوس أمثالك هي التي تملأ
 الجسم ، كعلم اللاهوت ، وللدرويش القليل المخادع الذي يملأ ذمته الأمل
 في الريح ، لأن الأمل في الريح يجري في دمه ...

إن مان يجعل الموقف لشدة وضوحاً ، ولا يختلف هذا الموقف في
 شيء من ذلك الذي حله في الفصل الخامس حين بحث أمر أريفاء
 الرماد ، لا ليهوت ، أما الحل الذي يصل إليه أوغسطين : فهو : كمن أولاً
 لكي نفهم . ولكن ، كيف يتم هذا إذا لم يكن في أعماق الإنسان شيء من
 الأيمان ؟ وإذا كان يريد أن يختبر كل شيء بقله ؟ ولست أعني بالأخبار
 العقل ما يدهي به أولئك الذين تعرف مبدأهم بهذا الاسم - كالتقنين المحدثين
 الذين يبحثون في إمكانية التركيب الاستثنائي ، إلا أنهم لا يشكون في نفع
 المحاضرات التي يلقونها على الطلاب ثلاثة مرات في الأسبوع ، والكتب التي
 يؤلفونها عن الإيجابية المنطقية ، فإن اللاهوتي سبحانه على هؤلاء بلحكم القاسي
 الذي ذكره مان : « إن الاعتدال بين الخير والشر لا معنى له في الواقع من الناحية
 اللاهوتية . » ولكن ، هل إن الإنسان الذي ينطلق مثل إيفان سترنود « ناشداً
 الخلاص من كل الاعتدالين ليستطيع الوصول إلى قلب الأشياء ... ملوون حقاً ؟
 إن هذا السؤال يعتبر أسوأ ما يجير اللاهوتي ، أجل إن أسوأ ما يجير هو أن يشعر
 بكل كيانه يتوق معلوماً إلى شيء من القناعة الصادقة ، إلى شيء من الواقع الحقيقي
 ليلسه ، وإن يحس بأن قراء العقيدة إنما تحف بعيداً عن ذلك كله ، هازلة بإمكانية
 الشعور بالقناعة ، مشطلة عزمه كلما شعر بأنه يكاد يقترب منها ، ترى ماذا يجب
 على مثل هذا اللاهوتي أن يفعل ؟ أهليه أن يسكت صوته عقلة عامداً ، ليحصل
 لايمان ويأمل في أن يجد فيه ما يرضي عقله يوماً ما بعد ذلك ؟ أهليه أن يتقبل مبدأ

« إن أولاً ، لكي نفهم ؟ »

كلا ، إذ ليس في استطاعة اللاهوتي أن يفكر في مثل هذا . والواقع أننا
 رأينا ، وهو على المشكلة في هذا البحث ، فإن الإنسان لا يتألف من العقل والمشاعر
 فحسب ، لأنه جسد أيضاً ، وهذا مما يسهل نسيانه . إن حياة اللاهوتي دائمة دائمة
 حول عقله ومشاعره ، وأنه يعود إلى غرفته الكئيبة نسياً إن لديه جسداً ، كما
 فعل بروست . إلا أن محتواي هو الذي اعاد أهمية الجسد إلى دنيا الأدب
 الحديث ، وقد فعل ذلك بنجاح أكثر من نجاح د. ه. لورنس ، الذي كانت
 مشاعره تنقلب عليه دائماً . إنك لتجد لدى محتواي ، خاصة في رواياته
 الأولى ، ما يوحي إليك بطراوة الجسد ، بالإضافة إلى تجربة الأمور الطبيعية
 بحرية مركزة مباشرة ، الأمر الذي يجعل « حيرة العقل وإرباكه » أشياء
 لا معنى لها . كان ذلك رأي زرافشت أيضاً . كما إن لورنس يوضح هذا أيضاً في
 السطور التالية التي تعتبر جوهر كتابه « الرجل الذي مات » :

« لم يكن المسيح العبري يعرف غير دعوى العبريين وسوداوتهم .
 بالإضافة إلى كرههم للخير والصلاح ، حين فاجأه حينه إلى الموت . ولو
 بقي في الصحراء ، بعيداً عن الخير والصلاح ، إذن لتعلم كيف يعيش
 وحيد في هذه الأرض - ولضحك أيضاً ! » (١١)

« هذا الحكم ، بصرف النظر عما تراه فيه من نقد لمؤسسي المسيحية ، مألوف
 لدى معظم المتصوفة في مختلف الأديان . وتستجد في الفصول الأخيرة كيف إن
 « حب الأرض » يعتبر أهم الأمور لدى بليك أو تراهيرن : الأمر الذي فشل
 فيه كل مان « الدكتور فاوست » ، وأنها لصورة شوهاء لرسمات فيشته ، لأنها
 جعل حاسم هوغان من فيشته وتؤكد على المشاكل العقلية فحسب . » وأنه يلوح

« ... إن أولاً ، لكي نفهم ؟ »
 « ... إن أولاً ، لكي نفهم ؟ »
 « ... إن أولاً ، لكي نفهم ؟ »

الفصل الثامن

اللامتنعي كل إنسان يرى رؤى

ان من يرى أية رؤيا هو لاشك بالفعل ، وليس ذلك لأن من يرون الرؤى قليلون بالنسبة إلى بقية أفراد المجتمع ، لأننا في مثل هذه الحالة ، يجب ان نعتبر صيادي الفئران مثلاً ، وغيرهم من الفئاذ لامتنعين أيضاً ، وانما يرجع ذلك إلى أنه يبدأ من نقطة يفهمها الجميع ، إلا أنه سرعان ما يخلو إلى أشياء لا يفهمها الناس . انه يبدأ من الرغبة في التعاطية المستجبة والدرجة الممتازة من الحياة ، اللتين تحتلان أهم ما في الانسان من طرقات ، ولا يمر وقت طويل حتى يجده يقول :

« اني أصرح للنفس اني لا أرى المخلوقات الخارجية الأخرى ، وانها لا تمثل بالنسبة لي حركة ماء ، وانما عائقاً . انها كالتراب الذي يعلق بقدمي ، والذي لا يمكن ان يغير جزءاً مني . قد يألون : أنت ترى ، حين تشرق الشمس ، حلفة ملتهبة من النار تشبه الجنيب الذهبي » أو « كلا ، كلا ، اني أرى ما لا يحصى من ملائكة السماء هائضين : مقدس مقدس ، ربنا الله العظيم » . (١)

أهي استعارة شعرية ؟ ربما ؟ اليك اذن أن بليك أخبر كراب ورويس بأنه كان قد رأى شيخ يولبوس فيصر في الماء السابق ، وأنه قضى معظم حياته مشغولاً مع الأرواح أكثر من حديثه مع البشر . وبممكننا ان نعتبر هذا أحد أمرين : جنوناً مطبقاً ، أو شكلاً لحرباً من أشكال صحة العقل .

وقد قال متصوف آخر ، وكان عالماً لامعاً ومهندساً من الطراز الأول ، انه زار الجنة والجحيم ، وان ذلك لم يكن خيلاً شعرياً مثل خيال دانتي ، وانما كان أمراً حقيقياً ، تماماً كما تخرج انت للترفة في يوم عطلةك . وأدراك انه اعتاد ان يتحدث مع الملائكة دائماً . ويوجد اليوم آلاف من المؤمنين بما آمن به عمانوئيل سويلتبرغ ويعتبرون كتبه صادرة عن عقل لا يقل صحة عن عقل نيوتن ، ولا موضوعية عن بحث كنزي ، في الملوك الجنسي . ولن يسهل علينا ذلك السؤال ان نقول ان صحة العقل متعلقة بالرؤى دائماً ، خاصة عندما يتعلق الأمر بالطوائف الدينية . لقد صرح بليك وسويلتبرغ بأن رؤاهما حقيقية خاصة بأشياء حقيقية ، نادراً كما ادعى ويلز في الفصل في معنى حدود الاحتمال . . الا ان فحوصنا لكراس ويلز يجب أن يجعلنا حذرين من الاستخفاف بمثل هذه الادعاءات . أود في هذا الفصل ان ابحث أمر لامتنعين وجدداً حلولاً دينية لمشاكلها ، وصرحاً أيضاً بأنها انما في نفسها قابلية خاصة على رؤية الرؤى ، ان ذلك كان نتيجة لمحاولاتها من أجل إيجاد تلك الحلول . أما عليها عند كانت مختلفة تماماً ، اذ ان جورج فوكس كان رجلاً عملياً ، وكان شعله الشامل هو ان يبحث عن مخرج لما كان يشغل في نفسه عن طريق التعاطية الجسدية . أما بليك فقد كان في وقت واحد مفكراً واضح التفكير . سناً متدواً بالرسوم والطبوس الكتابية ، وشاعراً من شعراء العالم الآخر . وقد عرفت انك تقرأ كلها باسم جورج فوكس ، في حين ظل بليك مقهوراً . لقد حقق هذا الرجلان ، بواسطة قوة الارادة الحرة شدة ادراكهم لتوفر الالفاظ ، من الضروري ان نذكر ، في معرض الحديث عنها ، ان ما تركاه خلفها مسحة على الورق لم يكن غير قسم حصل من حياتها . وبممكننا ان نقرب مثلاً كل ذلك قصة فوق شي . صانع القصص ، في كتاب : شوايح زو . . ونقول هذه القصة ان صانع القصص ، انه الذي بدأ في كتاب ما فسأله ان يصره . ان كان ذلك الكتاب يصفه ، وأما الدعاء بأنه كان يقرأ ، قالت

بالواظ والواظ بالمعزي - وامرأة صليبي . قد كان يفرح بها
نفس الغصنات - الشجاعة وقوة الارادة - وقد عرف كل منها نفسه
جيداً - ولم يغتيا به ما كان فيها .

الا انه كان في فوكس ، بالاساحة الى الميزات العسكرية ، ميزاته
أخرى مختلفة تماماً ، ميزات الشام والمتصرف - وقد أدى اجتماع كل
تلك الصفات الى مزيج غريب والى نتائج حجية (٣)

وينا كنته أمير مع بعض الأصدقاء ، رحت رأسي ورايت ثلاثة
أعمدة عالية فوق ثلاثة بيوت ، وكان ذلك أبلغ الأثر في حياتي . وسألت
رفائي : ماذا يهدى هذا المكان ؟ فقالوا انه يسمى : ليشيلد . وإذا
بكلمة الله تدخل في أعماق نجاه . ففكرت ان اذهب الى ذلك المكان .
وما ان ذهب الأصدقاء ، حتى عدت راجعاً . طويلاً الوحيات والمتردات
حتى بلغت مكاناً لا يعد من ليشيلد بأكثر من ميل واحد ، وهناك ربيت
حقلًا واسعاً يرمى فيه بعض الرعاة أغنامهم . وأمرني الله بأن أضع نعلي
طوقتي ، لأن الوقت كان شتاءً ، إلا أن كلمة الله كانت كالقوة في أعماقي
فماضيتها وتركتها مع الرعاة ، وكان المسكين يرتجفون ، فحين مستريحين . ثم
سرت ما يفر من الجبل ، ولا دخلت المدينة ، صمت كلمة الله . فاعتصمت
على ليشيلد - المدينة الدمية . فقصت اصبح في طرقات المدينة وأرقتها
بذلك النداء . ولما كان ذلك اليوم يوم السوق ، فأتني فذهبت الى سوق المدينة
وكبرت ذلك لنداء جعلت موث ، إلا ان أحداً لم يسمي بسوء ولم يقل
لي شيئاً . ورايت في وسط المدينة شيئاً يشبه نهراً من الدم . فما اسبق قد
كان مصطبغاً بلون الدم . بل كان يلوح في بركة من الدم . ولما أتت ما
كنت أتمرت به . وأردت نفسي . عاهدت المدينة عاهداً ان حيث تركت
الرعاة . فذهبت اليهم ، وأخذت منهم نعلي ، وأعطيتهم بعض ثلثه . إلا
ان ناز الله كانت من الشدة في مكى كيا لم يثبت نعلي لم احد دلياً قس من
ثم أخذت افكر بعد ذلك في جاني تلك النداء . الا انني همت بعد ذلك

ان ألف مسيحي استشهدوا في مدينة ليشيلد ، في عهد الأحماء وروايات
ولمذا تعين علي ان اعرض في ذلك اليوم ، لأعيد ذكرى أولئك الشهداء القديس
سلك معهم قبل أكثر من ألف سنة . وطال يارداً في : اروع هذا لنداء
ان اول ما يجتذب انتباهنا في هذا هو . كيف استطاعوا ان يكونوا
شيئاً يعتبره قدام جونا حرق ان يمنعه اي شيء من ذلك . من أجل بعض
ما في قصة . ان اللاتينيين اللذين نشأوا في هذا الكتاب لم يجهلوا ما
كان في أنفسهم . ولم يفرحوا بتوضيح ما كان يملكون من طهر ، فماله
مثل هذه او عن طريق اي عمل واضح يرد . لقد قدم بعض من ذلك .
على سبيل المثال . في نهاية يوم من أيامه القليلة . فرحوا بشدة في الخروج
والقيام بعض الأفعال البنيمة ، فلم كان قد تفرغ لها كان لي بعض فوكس . الا
على موداويلاً حيللاً زمناً طويلاً . اما دوسوبسكي . فانه حصل بقاءه
استوكولموف انه عزم ان يظل هيس ، الا انه بعد ذلك ، فله شجاعته بعد ذلك ،
حين ان قام بطلب العمل المصنوع الأخر الذي تركه فكر . دوسوبسكي فاقبه
لقد تحبب اللاتيني للصربان . وامثاله . أطال ياوموس وسارا . فوكس
على ما يملكه من ثقة واعتقاد . الا انه يشعر بأن هناك حواجز تقف لا
يمكن التغلب عليها . فتمنع من القيام بمثل ما قام به فوكس . الا ان فوكس
اصاف . عن بلاشي . وانه ليصلح مثلاً على اللاتيني الآخر ، وادامه
في راج المعتقدات الراسخة في نفسه . وجدته يخفص رأسه ويحجم الألف
المالاج . تماماً كما يفعل : الاتصال للفتاة . الذي أعجب به انسان

ويعتبرون خلاصهم أثناء الأمور أهمية - ولكن : ماذا وجد بدلاً عن ذلك ؟
 اعفرت بارنيت ذاهباً إلى لندن حيث وجدت ماري آوي اليه بنى الأفسس ،
 وقد قايت فيها كثيراً من السلس والشقاء . لكني بحث فيها عن أولئك الذين
 ادعوا بالدين ، وجدت الجميع غارقين في الظلام . متبلين بغيره الظلام ...
 وكان لي سم يدهي بيكرت . وكان قسا ... الا انني لم استطع ان
 اتفق معه على لفظة واحدة من نقاط فهم . ولقد رأيت الجميع ، شبا
 وشباناً ، تماماً كما كانوا ... (٧)

745

على الاستجابة للحالة التي كانت فيها. ذلك لأنه أرادني أن اعظمه هو . لأن كل ما هنا ذلك إنما يستجيب إلى الطبيعة . وإلى سجن الاعتقاد الذي كنت فيه . كأن يرياني أن أحس بأن يسوع المسيح هو كل ما في نفسي . (١١)

ولو ترجمنا هذا من اللغة الدينية إلى لغة اللاهوتي الوجودي . لرأينا به حين وصل فوكس إلى حل ما لمشاكله اللاهوتية . شعر بالنقطة الثابتة لأنه لم يكن مضطراً إلى حلها عن طريق المنهج إلى الآخرين . أو إلى أية عقيدة أو اعتقاد آخر . لأنه أرادني أن اعظمه هو . كأن يرياني أن أحس بأن يسوع المسيح هو كل ما في نفسي . . . حتى إذا لم تكن هذه العبارات تعني شيئاً بالنسبة اليه ، فإنه من الواضح أنها تلعب دوراً سيكولوجياً .

لكنني بذلك شيئاً بالنسبة إلى اللاهوتي . أنها لا تختلف كثيراً عن ادراك سينس وولف أنه يجب أن يعاني من الجحيم الذي يضطرم في أعماقه . ولذا نجد حتى في عبارته هذه « الجحيم الذي يضطرم في أعماقه » تعبيراً بهذا الشعور الداخلي . فقد شعر فوكس ، كما شعر سينس وولف . ولذا كوخ ، وبنسكي ، وميلر سارتر . ببعض الدلائل التي أحس فيها بكامل إرادته ، وأنه يستطيع أن يقول « نعم . وإن كل شيء حسن . بل أنه يستطيع أن يولج ذلك الرعب الحكام في أعماقه بهذه ال . نعم . أيضاً . ومثل هذه المحطات مألوفة لدى البشر ، واضافين ، والمتجسدين أمثال فوكس . وقد تحدثت بذلك ، كما هي في ذلك أسلوبه بـ « صورة مباشرة » عن « الشكر رغم كل شيء » . وذلك في مدائحته الشعرية العتيقة .

ولعل ، وقد تخلصت في نهاية من هذه الأدوار المزعج .

استطيع أن أتدقق بالشكر بملاحظة اللاهوتية . . . (١٢)

كل ذلك يمكن أن يساعدنا على معرفة ما كان يشور في « قلب القلوب » الذي تفرغ فوكس ، وماذا كان يقصده إليه من وراء هذه الحركات .

التي تعني الكمال بالنسبة اليه كما كانت تعنيه بالنسبة لغيره . . . ثم . . .

أكثر منهم إذا استطعنا الوصول إلى الحق ما فيها . . .

قوله . دون أن نعني أن سر فوكس الذي . . .

أخيراً من كفاح لورنس وهناك كوخ وبنسكي . . . (١٣)

لكنني . لأنه على تلك الرعدة في « العصر الأدبي » . هو . . .

شيئاً يثبت عيناً يبتسبب شيئاً من المواءمة وذلك الشعور بقضاء العالم دورهم الذي سماه ويلكه « الأحرار الموعوب » . أما الأحرار الذي كلف . فوكس لهذا كان بالنسبة إليه كعادته للتذكير إلى الله من قبل المداخلة في العالم .

رأيت الآن إلى المشكلة التي تحدثت عنها في رواية هادي من سينسكي . مشكلة بيان الأشياء التي استطاع اللاهوتي إدراكها من مشكلاته . . .

التي استطاع أن يتخطى عنها من أجل الحصول على الحل . . .

بف افتأ حين قرأت ما كتبه فوكس في « المداخلة » . حاولي للصور هذا لاهوتي لاهوتي باروس كان ذلك شيئاً شديداً الصعبة . قد فهم هذا المبدأ .

له فهم كتاباته كالتالي . . .

أردت ولها في الله . وأردت حسني من أجل معرفة الله والمسيح . حسب . دون اللجوء إلى أي اتصال أو كتاب . . .

كتب عن الله والمسيح إلا أنني لم أذهبها من طريق الإله .

قد وجدت في نفسي غملاً . أولها إلى المعتقدات . لعل أحد لديه شيئاً .

المساعدة . وتقود . وثانيها إلى « الحقائق » . يسوع المسيح . . . (١٤)

« ماذا يعني الضغط » . بأداة الخلق وأنه يسوع المسيح . . .

« أقسم بها كأي من الطفل بأخرافات » . أو أنه وجد فيها ما يوسي .

« القدر الدينية كما يشعر في قلبي مثلاً . بالشعور الوثني شعر سمع باسم . . .

« لقد كان فوكس لاهوتياً . وأنا أعرف من اللاهوت ما فيها . . .

« . . . وهو يرى أن واقعة السيكلوس . . .

« المداخلة الأخيرة » . أمر ما لوف الذي . . .

باعتبارها تمثل خلاصه ، أما حله فمجدد في عنوان كتابه : المجتمع ، الشكل
الانساني المتحرر ، ، أما عبارة فوكس ، ويجب أن نكون حذرين هنا ،
فإنها تعني أنه يستطيع أن يؤمن بالحل الذي لا يعتمد على البشر الآخرين
ولا يتعلق بهم ، أي أنه لا علاقة لهذا الحل بالمصادر الخارجية . ولا يلوح
أنه يريد أن يغير من علاقته بالمجتمع أو من علاقة المجتمع به ، وإنما يريد
تغيير علاقته بذاته الداخلية ، ولو سمع فوكس بهذا لأتكرهه وقال أنه إنما
يخجل من علاقته الخارجية بالبشر لأنه أراد أن يوطد علاقته بالله : « وقد
كتب القديس أوغسطين في معرض حديثه عن السنوات التي أهتم فيها بالبشر
أكثر من اهتمامه بالله قائلاً : « ألبت الروح ترتكب الزنا ضدك إذا
اهتمت بهذه العلاقات الزائفة ؟ » . ولكن ما هي العلاقة الكاملة بالله ؟
إن لم تكن القدرة على التعبير الذاتي ؟ لقد كتب هيس : « لم يخف أي
إنسان التعبير الذاتي الكامل » . إن التعبير الذاتي مستحيل مع الآخرين ،
لأن تعبيرهم الذاتي يتدخل فيه ويبرقله . إن أمسي ما عبر به البشر عن قوسهم
... في الشعر والموسيقى والرسم - توفر لأولئك الذين كانوا وحيدين . ولهذا فإن
« الرؤى البهيمية » تصور للفنان أكثر مما تفعل بالنسبة لغيره من الناس ، إذ عليه فقط
أن يتصور اللحظة التي يكون فيها وحيداً مركزاً إلى درجة أنها تملأ حياته وتعمل
العلاقات الأخرى غير ممكنة أو غير ضرورية . إن الناس الآخرين غير موجودين
بالنسبة للفنان ، أما إذا انتهت رؤاه ، تاركة إياه سيحداً جديلاً ، فانه ليجود
إلى الناس ثانية ، إلا أنه يعرف على الأقل الاستقلال التام عن البشر الآخرين ،
ذلك الاستقلال الذي يميل الناس إلى الشك حتى في وجوده الفعلي .

إن ما عرفه فوكس كان أنه يستطيع أن يتوصل على لحظات يشعر فيها
بما في أعماقه وحجب ، دون أي شيء خارجي . وقد اكتشف أيضاً أنه
- السيكولوجي والمبدأ - دورة الفراق - إذ يتدخل هيس من أجله . فانه لا يستطيع
فدرة فيسلكها الروح وتوقف مريرتها انصبها منه - إلا أنها قد ...
بحيث أنه لا يستطيع أن يطمئنها ، ويرى هذا الفراق والدمع الذي يحد من ...
مستنها وحيداً تماماً

الاستيقظ من مثل تلك اللحظات وجد نفسه إنساناً آخر مختلفاً .
وليس هذا بالأمر القريب ، إذ يستطيع أن يحسه كل من يخرج من
... لو حفل موسيقي أو دار سينما ، إذ يشعر بأنه « بعيد عن نفسه » .
أي لا تكن أن يعاني الإنسان من تجربة عاطفية أو حسية مركزة ما لم
... بعد ذلك بأنه صار إنساناً مختلفاً . فأما في السينما ، فأنك تعيش حياة
الأخرى ، دون أن تتعلم شيئاً عن نفسك ، ولهذا فإن الراحة التي تجدها
في ذلك ، والتعبير الذي تحسه ، لا يمكن أن يستمر أكثر من ساعات ولا
... إن تبقي ذلك الشعور ضوئياً . أما إذا كان الفيلم الذي رأيته قد
أصرك بشيء عن نفسك لم تكن تعرفها من قبل ، وجعلك تعلم بأنك تستطيع
أن تعمل أشياء لم تكن تحلم بها يوماً ، وإن كل أحكامك السابقة عن نفسك وحسن
الأمر إن كانت قائمة على سوء الفهم ، وإن عليك أن تلقي بكل تلك الاعتبارات
جاءاً لفرش حياتك من جديد ، وللمرة الأولى ، فإن الأمر يختلف جداً .
وعداً ما حدث لموكس بعد ثلاث سنوات من التجوال في جميع
الحدود المملوكة . معانيها من صراعه الروحي الشديد الأمرين . ثم بدأ يرى
... ومع أصواتها ، أو عبارة أخرى أصبح : بدأ يحس بتجاوب عاطفية
... لم يستطع أن يتحدث عنها إلا بلغة الرؤى والأمورات : (١٤)
... أبت الجبال لتتهيب ، والطريق الوحرة والأماكن المختلفة تصبح
... والله طامساً وكل ذلك لكي يأتي الرب إلى الكنيسة .. هذه أشياء
... كل قلب إنساني .

... إن إدراكه اللافتاني . بقدر ما يعني الأمر اللاتمتين الآخرين ،
...
... إن العلاقة والنفس والناس كانوا كاملين تماماً ، في حين
... إلا في الحالة التي اعتبرها أنا شقاء .. وكانوا يحبون منا
... أن أخلص منه .. إن عقولهم مقيدة . وهم متغيرون أبداً ،
... من هذه الحالة إلى تلك . ومن هنا المبدأ إلى ذلك ... (١٥)

الا انه عرف الآن انه اكتشف ما يساعده على الكف عن كونه لامتسياً ،
او على عدم الشعور بالشقاء بسبب لامتيته ، لأنه شعر بأن اللامتسي
هو في الحقيقة ذلك الامساك القادر على رؤية صاه العالم وملاذاته ،
والذي يعرف ايضاً انه لا يوجد طريق للعودة من مثل هذه الوضعية ،
وانما هناك طريق الى الامام وحسب . لقد عني ذلك بالنسبة اليه ان يصبح
في وجه العالم فانصاعاً صاهه وضلاله ، غمراً ايده بالخدمة المصيبة عليه .

كانت الكنيسة اول اعداء فوكس . وكذلك كان المصلحون الروحانيون .
وبالرغم من ان اولئك الذين يكتشفون الصلة التي تربط التقديسين والساكن
والصوفيين ، هم اذكىهم ، يستطيعون ان يحصلوا على نوع من السعادة بالانضمام
الى مثل هذه الجماعات ، الا ان هناك قوماً آخرين يستطيعون ان يروا من الكنيسة
ظاهراً وحسب ، كما يمثلها المراد لم يكرسوا لها شيئاً ، ولم يتوفر لديهم شيء من
قوة الإرادة ، ولهذا فإن أولئك الناس لا يستطيعون ان يعرفوا جانب الخير منها .
أما أولئك الذين يستطيعون ان يعرفوا بين ما فيهم وبين الكنيسة فسانهم للمصلحون
الروحانيون ، أما نيومان ، وهوله ، واليوت ، وجورج فوكس فقد كرهوا ذلك
ووقفوا ضدّه على طول الخط . لقد تحول فوكس كثيراً حتى غرقت ملايه ،
وولف في وسط الشوق مبشراً برسالة القلوب ، بل انه اعتاد ان يقطع القصر
في الكنائس ، الأمر الذي لم يخل أحياناً من « المراك » واستمال القوة ،
« الا ان الناس انزلوا على غلابيين ، وألقوا أرضاً وكافوا يحرقوني » .
وقد صرّحوا كثيراً وجرحوا بسوءة بالغة بأنفسهم واناجلهم وعصبيهم ثم
أوقفوني . رغم اني لم اكن استطيع الوقوف ، وحسوني في المخرج ،
ثم جلدوا نوعين من السباط ، سباط كلابيه وسباط خيل . . . (٦٤)
انك تجد كثيراً من هذه الأمور في المذكرات . حتى انك تشتم
بأن فوكس صار يبلّذ بذلك الضرب المرح ، اذ أثبت بذلك انه قد
الاحتمال ، بالإضافة الى انه استطاع بذلك الحصول على بعض القوميين
والمشفقين ، بل المجهين .

ان نجاحه كواعظ لم يمكن برير غرضه في جعلنا هذا ، اذ لا بد ان هناك
شيئاً خفياً بالنسبة اليها ، كان مسبب غوته ، لأنه كان يسيطر بسهولة على قلوب
المتسمعين اليه . ربما كان ذلك لأن « الأرواح الجافة » التي كان يعطيها كانت
كثيفة التي يلتهب بسرعة ، من الشراوة الأولى ، تماماً كما كانت معتقداته .
ان من الشعور في حدائق « هابيد بارك » يعلم كم هو ضائع ذلك الجهد
الذي يبذله الوعاظ ، وكما يفشل أولئك المتعلقون أشد التعلق بأيمانهم في المارة
حواس الجمهور . أما فوكس ، فقد استطاع أن يحصل على مؤيديين لم يكونوا
يكتفون حتى للسجن في سبيله ، وانما استملوا الانتباه الذي ألصب
عليهم من جانب الحكومة ورجال الدين ورفاقهم الآخرين بشجاعة ولبات «
وصرحوا بأنهم مع ذلك ما يزالون أصفياء المسيح » وانهم يحطون عن
الور في افعالهم بدلاً من نشأتهم في الكنيسة .

اما ما تبقى من القصة فانه بعيد عن مشاكل اللامتسي ، وانما تصبح قصة
حركة دينية وشأناً من شؤون التاريخ . لقد كنت فوكس عن كونه لامتسياً من
طراز باربروس ، ورجلاً متكتفاً في ذاته لم يجد من يفهمه في هذا العالم ، واصبح
عند حركة «بنية تضاعفت غوتها بعد ذلك كثيراً . ولم يقبل فوكس لانزاله
باعترافها أعراض من مرض خفي ، وانما باعتبارها علامة دلالة على ان
روحه الصحيحة كانت تعاني من الاختناق في وسط عالم تافه ضحل ليس
غير الخسفي والظلمين . وما ان أدرك ذلك حتى انتهت المشاكل بالنسبة
اليه . وكان فوكس كالضحية الثالثة في البحر ، لم توزع سمونها عليها
بصورة متعادلة قامت على جانبها ، اما بعد ذلك ، حين أعاد تنظيم الجموعه ،
وعرف الاتجاه ، فقد صار يحاره هادفاً سهلاً ، انه يقول :

« ان الشئ الكامل الذي فرضه الله على الجسد يهدف الى الاحتفاظ
وبالجسد واعماله تحت مستوى ذلك النظام الكامل ، الا ان نظام الله الكامل هذا
لا تعد مستوى له الا في الميادين الكاملة التي يمكن ان يملأها الانسان . » (١٧)
« ادر حساً هذه السطور على ضوء ما مضاه سابقاً دون ان تسمح لباردة ونظام

الله ، بأن تصرف اذهانتنا عن الفكرة الاسلامية ، فالتفتت هذه العبارات انما
تعمل محاولة اللاهوتي لتوضيح ما حدث في ذاته ، ولذا كانت الكلمات المتصلة
في ذلك عتيقة ، فيمكننا استبدالها بكلمات الخاصة ، الا انها لم تطل بحقيقة الغاية
التي ارادها منها . لقد كان في ذاته دينامو ، وبينا كان ذلك الدينامو موجهاً
لتحريرك متطلبات الجسد المألوف لتكسر الجمال المظلم والطعام والضمآن الاحتمالي -
كالت متطلبات العظيمة الأخرى جامعة عرومة . انه يدعو للتطلعات الأخيرة
« بنظام الله الكامل » . وقد رأينا الكثير من مثل هذا في خلال بحثنا ، رغم ان
هذه الكلمات لا تعجبنا ، نظرا لما العتيق كما قلنا . ان ما يجد عملاً محدداً واضحا
ليقوم به ، على ضوء نظام الله ، سمبراً بذلك عن هذا النظام فانه انما يعمل وفق
« قانون الله » . ويضيف فوكس في معرض حديثه عن هذا القانون قائلاً : « بل هو :
« دع كل من يستطيع أن يأخذه بفعل ذلك » . اما الآخرون ، حسناً ، ان
اللاهوتي لا يعرف شيئاً بخصوص الآخرين ، ولو كان فوكس في مكان النفس
العام لأجاب بمثل ما اجاب به - : « الحيز والتمتع والسلطة الكاملة . الا ان فوكس
لم يواجه هذه المشكلة ، وقد قضى حياته كلها ظاناً ان الناس جميعاً يستطيعون أن
يحتسوا هذه الحرية والتقدير الذاتي ، ولم تعمل تجربته في مجال هذه الضرورية
الروحية من نجاح ، فقد بشر مثل المسيح بأن كل انسان مسؤول عن خلاصه ،
وانه من الأفضل له أن ينظر الى مشكلته ويواجهها ، ولم يكن فوكس سيكولوجياً
عظيماً مثل يسكالك وتيرمان ليسأل نفسه أسئلة صعبة مثل : « كم من المعرفة الذاتية
يجب أن يتوفر في الانسان لكي يمكن ان يقال عنه انه قد خلص ؟ (يفردنا مثل
هذا السؤال الى جواب مثل جواب هيس : لم يحقق انسان ما لخلاص !) لقد
كان فوكس قوي العقيدة متواضع الاحكام ، يشبه شخص يترنم الذي قال لشمسبه
في زاوية من زوايا الطريق : « ان ملكة الله في أعماقك » . وانه لأمر شاق
طويل أن تظهر وهماً ، وقد شعر فوكس بأن حث الناس الى مستوى أعلى من السلوك
الشخصي ينتج أفضل الطرق لتخليصهم ، ولم يكن المقدس الذي به تخلص يشغل مل
المتحول على القردوس بعد الموت . وانما على الثقة بوجود الله في هذه الحياة .

تعلماً كما شعر هو نفسه .

لقد تعامل فوكس : « ما هي علة الانسان الذي لا يستطيع الخلاص ؟ »
انه كسول ، وتقصه امثال العليا . ولا يستطيع ان يرى ابعاد من القدر . فها هو
خلاصه اذن ؟ انه لا يخشى من الأهداف العليا . وأنه لا يخاف من الشعور
بأن وشاح الشراء والانبيا الذين عاشوا من قبله قد استقر على كتفيه ، وحده ،
وان مستقبل البشرية جسماء متوقف عليه . ولما تقبل فوكس هذا لنفسه
كسره من كونه لامتياً شقياً واصبح قائداً كبيراً ، وقد نصح كل من
قابل به باستخدام هذا العلاج . وهنا يتعرض أحدكم قائلاً : « ولكن الناس
ليسوا لامتين جميعاً ؟ » ويجب فوكس على ذلك قائلاً : « هراء ! دع كل
انسان يضع عينيه على العالم الذي يعيش فيه ، فاذا فعل ذلك لانه سيصبح
لامتياً على الفور ، وسيبدأ بالظن بأنه يرى أكثر واعين مما يجب ، ويتضح
بذلك انه لا يستطيع ان يرى أكثر واعين مما يجب .

وهذا يشبه بالضبط قول نولانيس : « يستطيع كل الناس ان يكونوا نوابغ ،
لو لم يكونوا كسالى » . الا ان مثل هذا الظن صعب الإثبات ، فقد يكون ذلك
مصححاً بالنسبة الى نولانيس ونفسه ، وقد يكون صحيحاً بالنسبة الى ذلك .
فما نوابغ هؤلاء ، ولكن القول بأن الجميع يستطيعون امر مختلف جداً ، وكل ذلك
الأمر بالنسبة للخلاص والكمال . واذا كان الخلاص يعني المعرفة الذاتية فانه
ليخرج ان النسبة الكبرى من البشر مطروقة مقدماً .

هنا نفس امر فوكس قليلاً ، لنبحث امر هذه المعرفة الذاتية . ان التاريخ
عند « بالمشخصات الذين استطاعوا بواسطة قوى روحية خالصة ان يتخلصوا من
« عتمة من الظروف ويتحولوا الى مجموعة اخرى متغيرة . بل اعلى . وتحدث
مثل هذا في ميدان الفنون ، وخاصة الأدب . ويمكننا ان نقسم مثلاً حديثاً على
« تلك » . « لا يس الذي ولد في ريف فورتكهام وسط مناخ انجم ، وكان « اله
« مدته في شت الخريف » . فلم كان لورنس تقبل ظروفه التي عرضها «
« انما هذا هو منه الذاتية التي لا يمكن تخطيها . في الظروف الراجعة . كما على

نحن ، لظل حاملًا في المتجهم مثل أبيه ، أو لأصيح ، نضح ، كاتبة في دائرة المتجهم ، أو معلمًا متواضعًا ، إلا أن كفاحه من أجل التعبير اللغوي ، ذلك الكفاح الذي أدى به إلى كتابة الأبناء والعشاق ، لم يكن غير هذه المعرفة القلبية نفسها .

ويتطرق ذلك حل كتاب كثيرين ، فإن التخلخل الذي يقوم به الكاتب في أعماله هو بعد ذاته لتغلغل في أحقاد العالم الواسع ، وفي أحقاد غيره من الكتاب ، فكانه يقارن بينه وبينهم . مكتشفًا كثيرًا من العلاقات ، ومترككًا شيئًا فشيئًا ما يملكه هو من القوة . ولو لم يكن الأمر كذلك أيضًا . لظل دكتور عاملًا بسيطًا في أحد المصانع ، ولما ترك برنارد شو الدائرة التي كان يعمل فيها في دبلن ، ولما رأت ويلز مستخدمًا في دكان بقالة ، وويلك أحد أفراد الجيش البروسي . إلا أن رغبة هؤلاء الملحة من أجل اكتشاف الفات صممت منهم جميعًا كتابًا عظيمًا ، ولوى طفلة هزلة في هذا العصر . ولكن ، هل في إمكاننا أن نقول إن هؤلاء من هؤلاء استطاع أن يدرك نفسه ؟ كلا ، فقد كان ويلك دائم التشاؤم من الأزمات ، وويلز عرافًا سياسيًا ولم تكن الملاحظات التي وصفها لأدواء العصر إلا مجموعة من الأكاذيب ، أما دكتور فقد كان عاطفيًا مسم لفتنا ، في حين أن شو ، الذي يعتبر أعظم الأربعة ، أصبح حين تقدم به العمر رجلًا مفروا بنفسه .

كيف ، إذن ، نستطيع أن نتحدث عن المعرفة القلبية ، والخلص النهائي ؟ لقد خلص د. ه. لورنس نفسه من المتجهم ليصبح في الحق من عشر سنوات مفرًا بلذاته ، فكذب الكائنات وودعنيق اليومي شاترلي ، القبت تلمس فيها هروره هنا حتى أنه ليضايقك . ولرجو أن لا نتجر هنا قديمًا ظائفًا هذا الكتاب الكبير ، وإنما تكمن هنالك مشكلة كبيرة . وما عليك إلا أن تدع اقراء الذين يهتمون كثيرًا على قواهم السيكولوجية يحاولون قراءة كتب هؤلاء الكتاب الخمسة الذين ذكرتهم ، ويهتمون النظر في تواريفهم . ويحاولون أيضًا ، وكأنهم يحلون لغزًا روحيًا ، أن يعرفوا كيف سيمشرون هم حياة كل واحد من هؤلاء إذا توفرت لهم نفس طروهم . معهم يدروا أن هؤلاء الأشخاص جميعًا كان ينصفهم النقد الذاتي ذلك النفس الذي قل إلهامهم . ثم معهم بألوا :

كيف كان باستطاعتهم تجنب ذلك ؟ عند ذلك يدركون أن اضطراب ما يهدد المعرفة القلبية هو أن يتقبل الناس الإنسان الذي يشدها باعتباره قائلًا روحًا ونصليًا هذه النقطة إلى جورج لوكس ، فيا ترى أن أي حد يستطيع أن يبيع حياته أن يربط حلا نهائيًا مقنعًا لمشاكل اللاشمسي ؟ أنه لا يعمل ذلك إطلاقًا مع الأسف . وقد يكون باستطاعة المذكرات ، أن تفردنا شيئًا ، وللهنا بعض الخفول ، إلا أنها ما تكاد تبلغ نقطة معينة حتى نجد أنفسنا منطهرين من الذنوب إلى حوة أخرى . لقد ضيع لوكس نفسه في مناعة الطفاهات التي سجلها عصره . ومعكنا أن تعتبر حركة الصداقة شيئًا فها . ولكن ، هل ذلك كل ما في الأمر ؟ دعنا نذكر إيفان ستراد ، الذي يقول

ستراد : ذهني من ضلال السيطرة ، لقد كانت لدي يرمًا ما - والتي لا تشكر على ذلك - قوة ما في داخلني إلا أن تلك القوة لم تستجب لأي دافع .. جوا : حتى ولا لدافع سبب معقول ؟

ستراد : (كمن يطلق نفسه من مغريات اللاحيثية) هناك الكثير من الأسباب المظفرة ، التي يسهر عليها الأدهياء البارزون ، الذين يطلب عليهم حب الظهور ، والذين يربقون بقولهم للصبرة ماذا سيحدث .. عاذا غشت عن قوتهم - التي لا يمكن أن تشعار لو يسام عليها . لوجدت أنها تبتث من الحياة السرية ..

يمكننا أن نرى كيف إن فوكس الفضل من ستراد ، لأنه لعق قواه الذاتية إلى جودورها الأساسية . وأثارها ووجهها نحو العمل . وقد رفضه كس حياة الدرجة الثانية ، (حياة الدرجة الثانية تنص الشيطان) ، وحمل من نفسه رجلًا عظيمًا ، ولكن ماذا بعد ؟

يلوح أننا لن نحصل على جواب هذا السؤال ، وإنما يجب أن نتخطاه الآن ، لأنها رأينا كيف أنه حين نفودنا مشاكل اللاشمسي إلى زقاق ممدود بين حينا أو سرور ياحتج عن طريق آخر . لو كان فوكس قد أعرق مثل إيليا ، لما غيرنا رأينا فيه ، ولظل سائلة البنا مثل الفضل ، نحائي لامنهم آخر . ولكن ، هل يمثل

اللامتنعون القتل جميعاً ؟ لقد ادرك برسول : « كنت سجيناً ، وما لزال سجيناً ، ولكن ما فائدة كون الانسان سجيناً اذا لم يدرك ذلك الا في ساعة موته ؟ وقد كان فوكس أفضل من لامنتي باربوس والانسان للصرصر أيضاً » كان الفصل من غان كوخ ولورنس ، لأن محاولته أمث الى نجاح أكثر من نجاحها .

ولكن ، في أي أمر فشل يا ترى ؟

لقد دلنا سترأوه على الجواب ، هو : الضلال . لقد تقبل فوكس العالم كما رآه ، ولم يتفق مع المفاهيم الاخلاقية السائدة آنذاك ، وانما اتفق مع التفسير الميثاليزيكية وبنائها ، وهكذا غلب ان الواقع هو ما يبدو .

هنا بعد الى نيته ، نيته حين كان في العشرين من عمره ، يوم اكتشف مجلداً بالياً حقيقياً في إحدى مكتبات لاينرك ، وقراء مباشرة :

« العالم كإرادة ومظهر » لشوبنهاور :

« وشعرت بين الفن والرأسعة ، غير المنحرفة ، تحسنت في ، ورأيت مرة استطعت ان ارى فيها العالم ، الحياة وروحي أنا في حزمة خفيفة ... » (١٨)
لقد جعل شوبنهاور نيته يدرك أنه ، كشاف وكلامته ، كان لديه شيء من شعور الضل الباطن طيلة وقت طويل : بأن العالم لم يكن في الحقيقة هذه الأشياء البورجوازية الظاهرة عليه ، وانما هو الإرادة والوهم . وكان شوبنهاور مولعاً باقتباس بعض العبارات « اليونانية » ، وكان يدعوها « وهم مايا » . أما رأي هذه الفلسفة المنحوسة فهو : أن العالم ليس الا مظهر من مظاهر براهما المطلق الذي لا يتميز بهز ما ، وانك لتجد في المسيحية شيئاً مثل هذا ، اذ نجد : « الله هو كل شيء » ، الا أن الأمر يختلف اذا قلنا وانك متضمن الى قيادة الكنيسة ، أو اذا قلنا وانك لامتنت .

لقد نوفر ذلك للامتنع الذين بحث امرهم في الفصل الأول ، إذ أنهم شكروا في حقيقة عالم اليورجوازية التي ادعوه كملك لأنني لا لجد كلمة أخرى تعبر عن المفهوم الذي اهدف اليه غيرها ، انني اتصدها هنا ، العالم كما يلوح للحيوان

الشرعي الاجتماعي .) ونجد ذلك كله ملخصاً في عبارة دوليل آدم : « أما قضاء هذه الحياة ، فسيقول ذلك خدمنا لنا » . ويعني ذلك أن الشخصية الانسانية معهومة باعتبارها عبوة ، ما تكاد تتصل بالعالم حتى تسرد على الروح سلسلة من الأكاذيب . أكاذيب عن ذاتها وعن علاقتها بالآخرين . ويعتقد آكسيل حين يجد نفسه وحيداً متعلماً ، منهكاً في دراسته ، بأن روحه تحقق بذلك اكتمل صلة بالعالم . الا انه ما يكاد يبدأ بالعيش حتى تبدأ الأكاذيب . « لقد اراد ان يرى ، في العلم الحقيقي ، تلك الصورة المضمونة التي طامنا تخيلناها روحه » ، هذا ما يقوله جويس عن ديفلوس ، الا ان ذلك من مجزات اللامتنع جميعاً ، وقد فعل ذلك فوكس أيضاً خلال تجواله ، ولكن ، هل رأى ما كان يبحث عنه ؟ هل خلقه بواسطة عقله النفاذة في الناس الآخرين ؟

اننا اذا حكمنا عليه وفق مقاييس اللامتنع العابسة الكتيبة لما كان الجواب خير لا . لقد اوتانا فوكس طريقاً ما ، ووسيلة البدء بحل المشكلة ، وانا كذلك لا داعي للشعور بالكتابة والاندسار املمها ، وللضرب بأن العالم والروح يمثلان مشاكل لا يمكن التوصل الى حلها قط ، كما فعل شوبنهاور . ان « المذكرات » تعتبر وثيقة اشد ايماء ونفعا من « العالم كإرادة ومظهر » ، الا انها ليست أكثر صحة منها من الناحية السيكولوجية ، كما يجمل اللامتنع الى ان يعترض . ان مفهوم العالم باعتباره ارادة ووهماً واضح في الصفحات الأولى من المذكرات وخوضه ان شوبنهاور . الا اننا في النهاية نكتشف ان فوكس يخطئ . الحل النهائي ، ونشعر بأن الواقع القاسي الصانع (او كما يقول جيمس : الخفاق البهامة التي لا يمكن تلخيصها) قد أصبحت له اليد الطولى في الأمر . بل اننا نشك في امر فوكس ونحس بأنه قد صار ثرثاراً يتحدث عن نفسه دون اي رقيب ناقد في ذاته . هنالك « ملا » مائة جيمس نايلر :

كان نايلر ساعد فوكس الأيمن ، وكان شاباً لامعاً ، وخطيباً مؤثراً ، وكانت له المرحلة الثانية بعد فوكس في تلك الحركة . الا ان نايلر كان انصبغ خيالاً من هو حس . وقد ترك امرأته من الأعضاء فتعانه بأنه كان المسيح المنتظر ،

والله ارسل ليشتر بقتراب يوم الدينونة ، وهكذا لفتح نايلر وركب حلواً
قاده اربان واما تناديان ، مقبس ، مقبس ، مقبس ، وكانوا متجهين
نحو بريثول ، الا ان الشرطة قبضت عليهم بتهمة الاغتيال ، واعتبرت
ذلك محاكمة مثل فيها نايلر : « اندي بألك ابن الله ؟ » فاجاب : « اجل ،
وكذلك الجميع » ، الا ان القضاة لم يسمروا بالخرج امام مثل هذا الرد لقصم
الخط مع اصول اللاهوت ، فاصدروا حكمهم عليه وكان يتنفس الجسد القوي
في لندن وبريثول ، ونظم جبهته بحرف « بي » (بلاضمير : ملحد) . وتوزق
لسانه بقضيب من الحديد المحسى . وقد اثار وحشة هذا الحكم حتى لوئك
الذين لم يكونوا من الاصلفة ، اما فوكس فلم يره ذلك ، لكنه كان غاضباً
على نايلر بسبب حالته ، التي أدت الى اضعاف الحركة كثيراً . وقد رفض
فوكس التوصلات التي بلدت له لحمله على الوقوف بجانب نايلر ، وأعمل رسالة
نايلر التي سأله فيها ان يزوره في سجنه ، حيث بقي نايلر اقصى معاملة ، وهم
تفصيل أحكام الجلد والحلم والخرق حقه . الا ان فوكس كتب الى نايلر
رسالة في كسر الأمر ، يلومه فيها لأنه يتهمه بالفقرة منه ويقول له فيها :
« لا طبر لك في هذا ... ولا صلح » . وظل نايلر في السجن ثلاث
سنوات ، ثم اطلق سراحه في ايلول عام ١٦٥٩ . ولم يمر عام واحد على ذلك
حتى هاجسه الامور يوماً وهو في طريقه الى الشمال ، فامت .

ويلوح ان ملوكة فوكس في هذه القضية كان جيداً عن الانسانية ، الا ان
ذلك ليس صحيحاً ، لأن فوكس كان قد كرم حياته كلها من اجل مبادئه ،
ولذلك فانه لم يشأ ان يزيغ من هذه المبادئ شيئاً بالمفاجع عن الرجل الذي زيفها .
وقد كان قائلاً هناك : « يمكن تعوير تصرفه هذا كما يور تصرف أي مياحي لا
يدع مشاهره تنطبق على مخالفته . أما رأي اللاهوتي في هذا ، فهو انه من المرعب
الانجيل فوكس نفسه في مثل هذا الموقف ، وان اللاهوتي يجب ان يبنى بالسيكولوجية
الانسانية وحسب ، ويميز بين العالم كإرادة والعالم كهم ، وغداً فان هذه القضية
غظيمة الى درجة انها لا تمت الى اللاهوتي بصفة . فكيف يمكن اللاهوتي ان يجمع

تسمه في مثل هذا الموقف الطائش

من السهل بالنية ان فوكس ان نال : كيف كان باستطاعته ان
يتعاضد ذلك ؟ ان الفلاسفة يقولون لك انه اذا كان الانسان يحمل عقلياً
ما في نفسه ، فلا بد من وجود حقيقة او فكرة تتصلق بهذا المقياس ، فما
هو هذا المقياس الذي تحكم به حل فوكس ؟

ذلك امر صعب . لأننا لسنا متأكدين من الأمور التي انتبهنا اليها ، ذلك ان
لسأل اللاهوتي : ماذا يريد ؟ وسبب ذلك بأنه لا يدري . لماذا ؟ لأنه يريد بصورة
عقوية ، وليس من السهل التحير عن الاحتمالات التي تلتصق اليها فطراكت . لقد
أراد دليلي . مب . ينس جن كان غائباً أرضاً خيالية وتتلاقى فيها وحدة القلب ،
أما دافوس وتومبسن ويبدو لكالوا ، أنصاف عشاق لدموت السهل :

ولست طويلة . أيام الحمر والزهور

التي بضها حلم ضبابي

أما طريقنا . فنلوح لحظات ، ثم يطبق

عليها الحلم . . (١٩)

لقد أراد أكسيل أن يعيش في الخيال وحده ، في لغة على الراين ،
عزلاً بمجملات خضعة تبحث في فلسفة النك ، أما ينس فقد حاول ان
يحقق ذلك بدعوته الى توحيد الشعراء في منظمة أسوية تهتم في لغة منزلة
على لغة صخرية غظيمة في لادوكاي في روسكومون :

فكرت في خطة تهدف الى بناء منظمة صوفية . وشراء قلعة أو ايجارها
والاحتفاظ بها للاعضاء فقط . الذين يملكون اني المزة والثأمل ، وبذلك نستطيع
أن نياحنا نشبه حياة ايلويس وساموئيليس . ولذي شعور أكيد بأن الإيواف
سنتج هناك بطريقة غامضة ، كما فاجعت أمام بيليك ، وسويتدريج ، وبروم ،
أما كتب المقدسة فهي كل ما يكتبه في مجال الأدب الخيالي ...

اد حدة ينس هذه هي مثل اللاهوتي الأعلى ، الذي يجمع حتى لدى
اللاهوتي الايمان بالمرقة والانساب ، ومجملته سلطه رابوية وسط هذه

« الفرض الشيطانية » يجد فيها الانسان ما يرضي رغبته . ولا شك في ان التقاد الماركسيين سيبدعون ذلك نهجاً ، ولن يكون ذلك خطأ محضاً من جانبهم ، ولكن ، دعنا ننحصر في رأي ينس أكثر . ان الفرق الحقيقي بين الماركسي وبين اللامتنسي الرومانسي هو ان الأول يريد ان يسطر بالجنة الى الأرض ، بينما يريد الثاني أن يرتفع بالأرض الى الجنة . ويرى اللامتنسي ان الماركسي قليل الاحداك لأنه يريد أن يوجد جنة في الأرض ، وأنه يهني أفكاره هذه على مفهوم خاطيء لسيكولوجية الانسانية . (تعتبر « العالم الجديد الشجاع » لالدوس هكسل و « نحن » لزاماتين ، تعبيرين نموذجيين عن التقاد الذي يوجهه اللامتنسي للتالية الاجنبية) . . . لقد جمع جورج فوكس بين عملية الماركسي ومقياس اللامتنسي العالي بخصوص « جنة الأرض » ، الا انه برزهم نجاحه في « عملية » فشل في التخلل الى اعمق المثل الأعلى اللاتاني . ترى ماذا انجز فوكس ؟ قد اسس جمعية الاصدقاء ، وأنه لأمر جميل تأسيس هذه الجمعية ، الا ان ذلك لم يسطع أن يقتضي على الطوائف القديمة ، وإنما استطاع بذلك ان يقتضي على حركه اللاتانية فحسب . ولهم من ذلك أنه تقبل ، كعلم ديني ، نفسه والعالم ، في حين لا يستطيع اللامتنسي ان يفعل ذلك . لقد قبل فوكس فلسفة متفائلة جوهرياً . ولما لهم « الاصدقاء » أن في افعالهم نوراً ، شعروا بأن الشر قد انتصر نهائياً ، ولم يعد أمامهم الا ان يعملوا على ضوء ذلك النور ، لأنه قد تم حصر السوء في نطاق محدود . على ان الشر الكامن في هذا هو ذاته التي تجده في كل مذهب بهب اتباعه شعوراً بأنهم يملكون طيبة مقدسة وأنهم منفردون في ذلك . ويعتقد اللامتنسي أن أفضل مكان يستطيع منه أن يراقب كوميديا البشرية الخالدة ، البشرية التي تتحدح نفسها بالوهم ، (ما عدا من شهد جيهوها ، ومن

« من الطريف أن نلاحظ ان قصة زامياتين » التي نشرت في روسيا عام ١٩٢٧ . تتماشى فيها جداً مع قصة جورج أورويل (١٩٨٤) ، بل اننا لنستدعيه لو كانت تلك الرواية ترسنت باللغة الانكليزية لما جراً أورويل من تشرفه . وبالرغم من ان هناك ترسنت أميركية هذه القصة ، إلا أنها مدونة في أسلوب التكلرا .

كان عالماً مسيحياً) ، هو اجتماع تقهه جماعة الاصدقاء في أمهات الآباء ، طاماً التميز بين الحقيقة واللاحقية فهو مفقود ، كما أنه ليس هناك اموالاً بأن انحر مرتبط بالحقيقة ، والشر باللاحقية ، لأن البشر يظهرلون أنفسهم في تلك الاجتماعات مجردة من الشعور بالعبودية ، باعتبار ما لهم من نور ، والمردود أن النور الداخلي لا يصل للشر قط ، وقد يلوح هذا التقاد طاماً بهم حائل ، الا أننا يجب أن نتذكر أننا نرى الأمر من وجهة نظر اللامتنسي . من وجهة النظر روكاتان مثلاً ، الذي يعتقد أن أولئك الذين يدعون بأن وجودهم ضروري لبسوا غير كلاب قلرة . ان هدف اللامتنسي هو أن يميز بين الحقيقة واللاحقية ، والضروري وغير الضروري . فإذا لم تنطع مقاييس فوكس أن تعمل ذلك فان علينا أن نلومه ، لأن المشكلة هي من الصعوبة حيث أن أي اعلان أو اتفاق مؤقت من جانبنا إنما يزيدنا تعقيداً .

لقد كان فوكس ، اذن ، علينا أكثر مما يجب ، وكانت طريقته في التعامل البشر جميعاً بأن يكونوا لامتنين وانفسه أكثر مما يجب أيضاً . مما جعلها تفشل في معالجة التعقيد الشديد الذي تتميز به المشكلة ، ولهذا فقد فشل في حلها .

علينا أن نصترف بحقيقة الجهود التي بذلها فوكس لحل مشاكل اللامتنسي ، قبل أن نترك أمره . لقد كان أفضل أساتذة التكلرا الدينيين ، وأما مبداءه فهو مبدأ اللامتنسي . ولو وجد فوكس في ظروف مختلفة وفي عصر آخر طبعه كان يكون مؤسس دين جديد ، بدلاً من طائفة جديدة . لأن « مؤسسي الأديان جميعاً لم يقتلوا عن فوكس ننازلاً عن بعض الأشياء من أجل جعل أديانهم متشابهة مع الجميع .

بدأ فوكس بحل مشاكل اللاتانية حين تقبل مصيره كني . اننا لم ان اللامتنسي هو بالدرجة الأولى ناقد ، وإذا شعر الناقد شعوراً عيفاً كافياً بالشئ الذي يقرم بنفسه فإنه يصبح نياً .

لقد صدر بليك قصيدته الطويلة عن « ملهى » مختلف من أحد الكتب : ولدت كل الناس يصيحون أنباء الله ، وقد قبل فوكس مثل هذا الشعور من أعمق

قلبه ، بل انه حاول ان يجعل من كل البشر انبياء ، وكان أسلوبه في ذلك من القوة بحيث انه حصل على نسبة كبيرة من النجاح . اما بليك ، فقد قضى حياته مضطرباً تماماً ، ولم تغارق ليرة النبوة صوته قط ، إلا انه لم يتحدث الى الناس فوق المنابر ، وقد اعتبره الناس في حياته مجنوناً هائلاً ، بل ان اصحابه أنفسهم لم يتعرفوا له بالنبروغ . ولم يفلح ذلك الجعود بليك ، وانما واطب حل اماله . فرسم ما رسم وكتب ما كتب من قصائد ، ولم يزل شهرة ولا نجاحاً في كل اماله ، إلا انه عاش بافضل ما في استطاعته ونهى في ذلك يادى . تلك الاغريق ، ولكن بأنه كان يملك كل ما يحتاج اليه :

• لدى البطة الطفية ، والصحة الطفية
والاصفاء الطليون والبرقة الطفية
وزوجة احبها ونحبي

لدى كل شيء : هذا لروايت الجسد . (٢٠)

كان كفاح بليك يشبه كفاح لينث ، بل ان تشابه طريقتيهما في النظر الى العالم يثبت على البصيرة . لقد سبق احدهما الآخر بهاتين عملاً . فهاصر بليك الدكتور جونسن ، وهاصر لينث دوتسونسكي . وكان بليك محظوظاً بزوجه التي وقفت الى جانبه في ذلك الكفاح ، وكانت غداً رومانية لطيفة ، لم تكف قط عن اعتبار زوجها رجلاً عظيماً . ولو توغرت لينث مثل هذه الزوجة لانقلته من جنونه حياً .

اعتقد بليك بأن الشهرة ليست ضرورة لطيفي ، لأن الانسان يولد وسليلاً ويموت وسليلاً ، فلذا سمح لعلالاته الاجتماعية بياهم الى حد انه ينسى وحدته الأساسية ، فانه يعيش في فردوس الخلق . وقد تطلعت منذ البداية مسألة الذاتية المظفرة ، أي انك لا تستطيع ان تتأكد من وجود أي شيء لو أي انسان ما عدا نفسك :

• لا يجب احداً كما يجب نفسه
ولا يخترم ذاتاً كما يخترم ذاته

ومن للشعيل عليه ان يفهم ذاتاً اخرى
كما يفهم ذاته . (٢١)

تلك هي نقطة انطلاق ايوان كاراماروف ، التي تبدأ بالتساؤل عن معنى الفكرة المسيحية التي تمنطق بأن تحب جارك كما تحب نفسك . وان تحب الله الذي يأمر ابراهيم ببيع اسحق . لقد قرر بليك أن يضع الأسس قبل البداية ، فاذا كان وضع أسسه يعني مواجهة الأسس الدينية ، فلا بأس ، وانه يتعرفنا بها في فاتحة عمل من أعماله الأولى .

• بما ان التجربة افضل طرق المعرفة ، فان لحدائقنا على المعرفة يجب ان تكون تلك التي نتجرب ونجرب عليها . (٢٢)

هذا امر طبيعي من الفاتحة العلمية ، واذا وجدته مذكوراً في كمراس نصليه جمعية علمية لما رأيت في ذلك حجباً ، إلا انك ما تلبث ان ترى بليك يتسلق في المفاصل التالية من هذه الفكرة ليفتح في صوفه :

• ... ان الشاعر المبغري هو الانسان الحقيقي ، أما الجسد . او المظهر الخارجي للانسان . فانه مشتق من النبروغ الشعري . بل ان الاشياء كلها مشتقة من هذه الأسس فانها . تلك الأسس التي دعاها الانعمون بالملك ، والروح ، والملائكة الخارسة .

ان المبغرية الشعرية تنمي في كل مكان بروح النبوة . •
بعد هذا تأكيداً آخر على النبوة . كما يمكننا ان نتوقع من الغنثس العام الذي تحدثنا عنه ايوان ان يضيف الى الدار بليك ونحو كرس الى جانب المسيح .

يرى القاري . انني انقلقت من بليك كتابات تزييه وهو سائر في خط مستقيم مع بيته . - • الخيرية هي النعمة الخالدة ، أي أنه لم يصر مع العظات المسيحية التي يقول : • ميركوت هم الفقراء في ارواحهم ، وانما سار مع الفكرة التي تنص الى ان الانسان المبغري . وسقوم في نهاية الكتاب بتحليل مفهومه • المسيحي . • • • • • ، إلا انني آود ان اشرح هنا الى ان هذه • الحياة • ليست فلسفة • باعتبار هذه • الجسد • من البداية وكل الهاية ، واعتبار كل الضم الاخلاقية

الأخرى تابعة لها ، موضوعة من أجلها ، لأن هذه المصلحة « الحياتية » قد تنفي بخلق هذه القيم أو تجددها فحسب . وعندما كتب أرسطاطاليس : « أفضل الأشياء هو أن لا يولد الإنسان ، والموت أفضل من الحياة » فقد صبر عن الرأي الذي يمكن أن يقال عنه أنه جانب من التطرف الديني ، أما في الجانب الآخر فأننا نجد هذه « الحياتية » ، أو فكرة كيريلوف « كل شيء حسن » (لاحظ أن كيريلوف عد نفسه كافراً) ، ويمكننا ، بهذا المعنى اعتبار « الحياتية » ثورة على ما في القوانين الأخلاقية من جبرية :

« عبادة الله هي : تقدير مواهب الآخرين ، كلاً حسب نيته ، ومحبة العظماء أكثر من محبة الآخرين ... » (٢٣)

ويفسرنا بليك بأن المسيح نقض الوصايا العشر كلها حين قال : « أخبركم بأنه لا يمكن أن توجد فضيلة إذا لم نقص هذه الوصايا العشر . لقد كان المسيح يمثل الفضيلة ذاتها ، ولهذا فقد حمل على ضوء دوافعه ، لا على ضوء القواعد والوصايا . » (٢٤)

وهنا نجد دليلاً من راسكولنيكوف وستافروجين ، فكل دافع في الذات هو خير ، و « الحياة هي المنفعة الخالدة » ، وقد كتب بليك في « القدس » :

« حين تطبق الكهوف على الفكر »

فإن الحب سيكشف عن جلوره حتى في أعمق أفاق الجمع ... » (٢٥)
وبعبارة أخرى ، إذا لم يستطع الإنسان أن يعبر عن ذاته ، واحت حيويته تبحث عن مخرج بواسطة الجريمة أو العنف . ويرينا بليك مراراً وتكراراً في أعماله عدم اكتراثه بالمسائل الأخلاقية إذا كان التعبير الذاتي مكتوماً مثلاً : « اقتل طفلاً في مهد ، فذلك أفضل من كبت رغبة غير ممتنة . »

« وإن من لا يستطيع أن يستد الحقيقة يكون مضطراً إلى استاد الكتب ... لكي لا تنتهي الحياة وما فيها من حيرة . » (٢٦)

لقد كان بليك مفكراً جريئاً بطرق أخرى ، بالقضايا الجنسية مثلاً ، فقد قال بليك « قبل قرن ونصف من ظهور « حديق القليس » شارلي . لد . ه . تودس ، أن الجنس يستطيع أن يصل بالإنسان إلى مستوى الرؤى . » وقال أيضاً أن أصل

الطرق فتتطلب على الشرور هي طريقة المساح المجال لهذه الشرور واعطائها اكمل تعبير ذاتي يمكن ، فما نتيجة ذلك الا التفضيلة :

« الا أن الجشع تدفق »

وشيع الحسد من حين الخراف
والغضب من دم الأسود المنقر
ونامت الدعارة مع قطرة اللعاب
أو شبت من حياء

حتى حطم الجشع قيوده وحلوه
والغنى تاركاً الابواب مفتوحة
وغنى الحسد في حقل الغنى
وسار الغضب يتبعه حل صبر
وكان أن ولد للذاهر والمراء
شعب عظيم . » (٢٧)

ويقال ان بليك كان مفتشاً بمرامة الخواص الى درجة أنه اقترح أن يأخذ وصيفة زوجته معه الى غركه ، الا أن زوجته رفضت أن تسمح له بذلك . الا أن اقتراحه هذا كان متفقاً مع التعاليم التي كتبها في كتبه النبوية . ويرينا في « رؤى ابنه اليرن » البطلة وهي تعد زوجها « ثيودورمون » :

« بأن اقتنص لك فتيات لخصيات هادئات ، أو ذهبيات مشيرات ، وأصطحب بجانيك ، على الشاطئ » ، « أرغب انصالك حين ، بركة على بركة يا ثيودورمون . » (٢٨)

ولم يكن هذا دعارة من جانب بليك « وإنما كان جزءاً من عقيدته الدينية . انه يجعل أوثون بأل :

« كيف يمكن لمنعة أن تتلظى في أخرى ؟ ألبت المنع المختلفة مقسمة . خاطلة . لا نهاية ؟ وكل منعة هي حب . »

« السؤال الذي يجب علينا ان نسأله فهو : ماذا كان « حدير نظام بليك ؟

يلوح لنا من هذه المقطعات أن لدى بليك شيئاً من افكار روسو عن
« العودة الى الطبيعة » .

كانت النهاية ، بكلمة واحدة ، الرؤيا . او قول « نعم » . تلك كانت النهاية
بحسب بليك ، وهي تشبه نهاية نيته وريته ! « لشكر رغم كل شيء » .

لقد توغرت بليك ، تماماً مثل فان كوخ ونيتشه ، لحظات رأى فيها العلم
اجاباً تماماً ، وغيراً مطلقاً . وكان بليك رساماً ايضاً ، وقد رسم عدة كوخ
حقول قيع لاحقاً منتهية متأججة ، أما بليك فقد رسم صورة شخصية لنفسه
محاطة بذلك الاساس الخلفي نفسه ، المضطرب البراق ، فكانه لم يستطع ان ينظر
الى نفسه في المرآة دون ان تشرق حي الحياة من ريشته اليتيم . كانت نظرة
بليك الخارجية مماثلة لذلك ايضاً ، الا ان الطريقة التي عبر بها عن ذلك كانت
مختلفة ، وقد عرف طريقته فقط للتعبير عن حبه هذه ، اسماها خلال الجسد
الهموي ، والثابتة خلال الألوان . وقد فضل الألوان المائية لأنها اعطت من الاكوان
الترتية ، وقد رسم اشخاصاً يشبهون اشخاص ميكل انجلو . وأحاطهم بأساس
عظمي من الضياء ، ولم يكن بليك طائفاً عظمياً مثل ميكل انجلو لسوء الحظ . ولم
يعرف من تأثيرات الضياء ما عرفه نرتر ومونييه ، ومع أن لوحاته تتدفق بالحياة ،
الا أنها تتدفق ايضاً بأكثر مما يلزم من الضياء ، مما يبطئها من مستوى
المنظمة . في حين نجد ذلك من أسباب عظمة فان كوخ . ذلك لانا
لا نجد لدى بليك التركيز والشدة اللذين يجدهما لدى فان كوخ .

الا ان لوحاته ليست لانا نخب من « نظرت الى العلم » ، في حين
لا نعلم لوحات فان كوخ ذلك .

ولم تكن صوفية فان كوخ مفركة ، بالاضافة الى أنه لم يبر عنها قط في
رسائله ، في حين اصطبغت حياة بليك وأعماله كلها بهذا الغرض المنظم لصومته .

وهنا يصعب علينا أن نسأل : ماذا نفي بالصوفية ؟ ولماذا نجد أفضل من هذه

• هذا الرأي يجعل المناقشة شيئاً ، ولست نعلم بأنه أكثر من رأيي شخصي •

المرحلة من بحثنا لوجه فيها هذا السؤال ، لان بليك يستطيع ان يبيننا حل
مؤلف الجواب الثاني :

ان الصوفية مشتقة من كلمة المحريقية معناها « اخلاق العيون » ، وكان ذلك ما
عناه بليك بالقيط حين قال ان الرؤية لا تتم باستعمال العيون . ان خدمة العين
تسجل الانطباعات التي تنقل الى الدماغ ليفسرها ، فاذا تكامل السماع ، وكفت
عن تفسير الانطباعات التي تنقلها اليه العين ، فان الانسان لا يعود يرى شيئاً ،
وهذا امر يعرفه جميع الناس . فكم من مرة كنت فيها اقرأ كتاباً ، واذا بك
تسهر بالنوم ، وبدأ ذهنتك بالقراءة ، ثم تكشف فجأة انك قرأت ما يفرب
من نصف صفحة دون ان تفهم شيئاً . يعني ذلك ان عينيك قرأت الباطن ، الا
ان ذهنتك لم يفسرها ، وعليه يمكنك ان تقول انك لم تقرأ شيئاً . وهكذا الامر
مع الرؤية ، فاذا كنت مسافراً بالقطار فانك تنطلق الى الحقول في بداية السفر
تطلع المنظر المتسع ، وتثير المناظر الجديدة في ذهنك مختلف الانطباعات
والافكار ، اما في نهاية السفر ، فانك تجد نفسك نصف غائم ، في حين لا تعود
الاشياء تسلك او تثير فيك شيئاً من الانطباعات ، اي انك لم تعد ترى شيئاً .

لقد نوصل رامبو الى مثل ذلك حين كتب الى احد اصحابه قائلاً : « يجب
على الشاعر ان يرى رؤى ... » . يستطيع الانسان ان يرى رؤى اذا واطب على
نظم مركز يتوصل بواسطته الى اصناف الحواس او لشعوبها . « ويدهي رامبو
بأنه استطاع ان يجرن نفسه على رؤية التخيلات والاعوام ، وأنه استطاع ان يرى
« جسماً » بدلاً من مصنع » ، « ورأى حركات على طرف مؤدية الى السياه
وغرفة استقبال في قاع بحيرة » . لقد ادرك رامبو ان الابصار حمل من اعمال
اللعن ، وأنه في الامكان التأثير على اللعن بقوة الإرادة . ان كان الانسان
الخالص هو الذي يقرر ما يراه .

قد يلوح لنا « اصناف الحواس المنظم » الذي يقوم به رامبو أمراً مستقيماً ،
او من تصرفات الشباب ، الا ان ذلك ليس صحيحاً تماماً . ان لم يدافع رامبو
بنفسه عن شرب الخمر او تناول المخدرات ، وانما دافع عن قوة الإرادة على

الحواس . وكانت النتيجة انه حصل على تركيز ونقبة شديدين للحواس ،
ما بعد كل ما كان يراه ، فصار لا يرى الا الرؤى .

لقد تحدثت عن هذه « القضية للحواس » في معرض حديثي عن لورنس .
أما بليك فانه يقول عن ذلك :

« ان الحكمة القديمة القائلة بأن العالم سيقضي محرقاً بالنار بعد ستة آلاف
سنة شيء صحيح ، لأنني سمعت بضحي من الجحيم .

ذلك لأن الملاك الذي يعمل سيقاً ملتهباً مأموراً بأن يحرق عن حراسة شجرة
الحياة ، فاذا فعل ذلك ، فإن المخلوقات جميعاً ستفنى . وعندما تلوح خالصة
أبيد ، في حين انها الآن تلوح غاية فاسدة . ولن يحدث ذلك الا بطور الاستمتاع
الحسي الى الفضل ما يمكن ان يكون عليه . الا انه من الواجب ، قبل ذلك ، ان
نحرم من اذهاننا فكرة أن جسد الانسان مشبع عن روحه ، أما أنا فليكني ان لفعل
ذلك باستخدام الوسيلة البهيمية ، طريقة التآكل والافادة التي تعتبر من علاجات
جهنم ، وهذا أستطيع ان اذهب الاشياء الظاهرة لأظهر ما يخفي تحتها من مخلود .
واذا استطاع الانسان ان يفتي أبواب الامور فكان كل شيء سيروح له خالفاً .
لقد حبس الانسان نفسه ، ولم يعد يرى الاشياء الاخلال شقوق كفه
المبني . » (٢٩)

ويمكننا ان ننتد هنا بمقتطف آخر من مقدمة « لوريا » :
« نفسي . كيف الانسان الميس نوافذ حس ، يتنفس الهواء من اسفاه ؟
ويصفي الى موسيقى الاكوان من الثانية ، اما في الثالثة . كان حامل
لكرم الخالصة .

توه وتأنق لكي يتفوق العنب ، ويمكنه ان يرى من الرابعة
اجزاء حضرة من العالم الثاني أبداً

لما من الخامسة . فانه يستطيع ان يخرج . الا انه لا يفعل ذلك . لأن
اللعن للمسروقة عذبة ، والحيز الذي يأكله سراً لهذا جداً . » (٣٠)

هذا واضح تمام لوضوح . ويري مت ان بليك يدعي بأن العالم الخارجي هو

محدود . غيلا ، ويمكن ان يراه كل انسان كذلك اذا استطاع ان يرى الاشياء
على حقائقها دون ان تحسه عن تلك الاحقاد العالقة بأبواب الادراك . ولو عاش
بليك ليروي لوسفي ، ليلة النجوم « أو » طريق السرور عند الفسق ، لقان كوخ ،
كما تردت في أن يقول : هذا انسان يرى الاشياء كما هي .

وهناك صفحات أخرى في « رؤى بنات فيون » يوضح فيها بليك
ما يحدث حين يمنع الفهم عن التفسير ، او ما يحدث حين يؤثر فيه
شيء . ويعرف تفسيره :

« قالوا لي ان الليل والنهار هما كل ما يمكنني ان اراه

قالوا لي انه لدي خمس حواس أنا جميعها

فسجروا ذهني في دائرة ضيقة

وأغلقوا غابي في المودة . في كرة حراء مستديرة ، ساعنة ملتهبة .

حتى انهم صوّروني من الحياة !

ولم يعد صباحي طير طيف يرائي .

كأنه محروم في سحابة شرعية

أما ليلى . فتبر كتيب لا يضم غير الموتى ... » (٣١)

ان ما يفصده بليك من هذا هو ان ولها الاشياء باختيارها وملتزمة لاهدوده
ليست بأمر الثالث . وانما هي أكمل حالات الانفعال الطبيعي . الا ان الانسان لا
يولد مزوداً بمثل هذه الرؤى ، ويحبس ضيقة حياته بعيداً عنها ، حتى اذا انشرفت
حياته على الافلاك . قال انه « من الافضل ان لا يولد الانسان . وان الموت خير
من حياة » . لماذا ؟ ولا يستطيع بليك ان يقول لنا لماذا ، وانما يستطيع فقط ان
يصف ذلك ، مستخدماً أسطورة القوط ، وكأنه اراد ان يقول : « يولد الناس
تأجهزاً للراديوي الميككة ، التي لا تستطيع ان تعمل قبل ان تصلح . » . لقد
شأن بليك قبل عصر الآلة ، ولعله كان سيتصلض ضمن هذا التشبيه لو
كان يعيش معنا الآن . الا أنه استخدم قصة « المطبعة الاول » .
ان القراء الذين يسدلون بقراءة هذا الكتاب من هذه المرحلة

يشكون من الاقتراح القائل بأن الناس يجب ان يروا العالم دائماً كما رآى
 فان كوخ ليلة النجوم . وقد يعترضون قائلين : « يمكننا ان نوضح
 من الانسان أن يرى ليله النجوم كما فعل فان كوخ ، ولكننا لا نستطيع
 أن نقول انه يجب أن يرى الأشياء هكذا ، ولعله فعل ذلك مرة ، الا
 أنه فقد قدرته على ذلك حين أكل التفاحة من الشجرة المحرمة ... » هذا مقول ،
 ويمكننا أن نجيب عليه بأن مفهوم الخطيئة الاولى لا يمكن أن يؤكد لنا على وجود
 جنة عدن ، أو على أن الانسان استطاع يوماً أن يرى الرؤى الا أنه فقدنا بعد
 ذلك ، وانما يؤكد لنا على أن رؤية الرؤى أمر جوهري في الانسان . يمكننا أن
 نقول ان المسألة ما شأنا لانه يملك فلا الا أنه لا يستطيع التعلق . وحينئذ الا انه
 لا يستطيع الرؤية ، وعليه فذلك لا نستطيع أن تعدد طبيعياً غير شاذ اذا كان لديه
 ذهن دون أن يكون في مقدوره أن يرى رؤى ا ان معظم الناس يعيشون من اللحظة
 الى اللحظة ، دون أن يكون لديهم توقع لما سيحدث ، أو ادراك لما حدث ، لأن
 وجودهم الجسدي يتطلب منهم انتباهاً مباشراً لما يشغله في الوقت الحاضر ، تماماً
 كما هي الحال مع الحيوانات . ان الانسان الاعتيادي متميز عن الكلاب والقطط
 في أنه ينظر الى المستقبل : أي أنه في مقدوره ان يخلق بشأن ما يحتاج اليه جسده
 في مدى الستة شهور ، او السنوات العشر القادمة ، كما ان فكرة الخطيئة الاولى
 تؤكد على ان الانسان فقد قابليته على رؤية الرؤى لانه صار يفتن بفاليته كلها
 في التفكير بالامور العملية المباشرة ، وذلك على الأقل ، ما يلوح ان اشد رجال
 الدين تمسكاً بربود ان يوضحوه : وقد طلب المسيح من اليهود ان لا يضيحوا
 اوقائهم كلها في الأخذ والسطا ، وان يتجهوا الى زهور الحقل !

يمكنني ، بمثال آخر ، ان اوضح ما اعنيه « بالقابلية على رؤية الرؤى » .
 ان ت. دي. لوردنس يخبرنا بأنه حين عرض الصور التي رسمها كينغتون لبيرو
 ليضعها في كتابه « اعمدة الحكمة السبعة » عليهم ، شكوا في انها صور بشر ،
 وقلبرها عدة مرات ، وقال بعضهم انها صور رجال لأن الفكوك تشبه أسنمة الجمال ،
 قد لا انبهم ذلك . لاننا رأينا كثيراً من «عجور» الا اننا نحب ان نأخذ من الصور

ليست غير خطوط وألوان مجردة ، وان الامر يتطلب منا شيئاً من المجهود العقلي
 لكي نتوصل الى معرفة هذه الصور ونفكر انها تمثل انساناً ما او غروب الشمس .
 ونحن نقوم بهذا المجهود دون ان ندركه ، بالإضافة الى ان هنالك بعض علماء
 الرياضيات الذين يستطيعون ان يعرفوا حل اية مسألة جبرية صعبة بمجرد النظر
 الى معطياتها ، وذلك ، ايضاً ، لأن افهامهم تقوم بعملية الحل بنصف ادراك ،
 وتستطيع ان تدرك ما في المسألة من علاقات ، في حين اننا لا نرى فيها غير خطوط
 وزوايا مشوشة ، أي ان حواسنا لا تستطيع ان تقوم بالعمل ان لم يقم به اللعين .
 واذا استطاع اوروبي أن يرى منظر الغروب مرسوماً على قطعة من القماش ، حيث
 لا يرى اليدي غير تشويش من الالوان ، فانه من المعقول ايضاً ان نقول ان
 الاوروبي الذي يحن هذه القابلية في نفسه يستطيع ان يرى اشياء اخرى لم يكن
 يراها من قبل . وهذه القابلية هي التي توهرت لبليك بالفطرة ، والتي قال لبليك
 عنها ان البشر جميعاً يستطيعون ان يملكوها . اذا هم أففقوا وقتاً الى على امورهم
 العملية ، ووقتاً أكثر على تقوية قابليتهم على رؤية الرؤى ، اما في الدين ،
 فانك غالباً ما ترى ما يشبه هذه السطور .

« لقد علم الله اني وعلمي ان نركز انتباهنا على اوليئنا ، وكنت اذا
 صلت ذلك لأحظ بعد اسابيع ثلاثة ان شهني وزهرتي يلوحان لي دخاناً صادراً
 من مكنة . وفي الوقت نفسه اشعر بأن جسدي وحلي صاراً بطفحان بالضياء »
 وانني ارى العالم كله يتضخ شيئاً فشيئاً حتى ليصبح كالبلور الشفاف ، وانني
 اخف حتى اصل الى حالة من الصبر التام . » (٣٢)

هنا مقتطف من كتاب « سورانكا ماسوترا » البوذي الذي كتب حوالي
 عام ١٠٠٠ م ، تلاقى عن أسطورة لها امتدت قبل ذلك بزمان طويل . ويمكننا ان
 نذكر مئات من مثل هذه المقتطفات من مختلف الكتب الدينية ، ونجدها كلها
 تشير الى الحقيقة ذاتها : ان تمرين العقل يؤدي الى طريقة مختلفة في النظر الى العالم .
 وقد اكتشف لبليك ، كما فعل نيشه : شيئاً أساسياً في الطبيعة الانسانية ، ويمكننا
 ان نعلم من لبليك ان « القوة على رؤية الرؤى » لا تتوفر لنا بسهولة ، ولا نصبتها

فجأة كالحصبة ، وإنما هي نتيجة اتباع تمرين قوي طويل للحواس ، تمرين يهدف منه إلى حمل الذهن إلى اتباع اتجاه مغاير لكل المغايرة لنشاطاته العادية المألوفة ، مغايرة العمودية للأفقية .

إن أفضل طريقة لفهم بليك ، في بحث متواضع كهذا ، هي أن نخصص أعماله — تسلسلها التاريخي — إلا أننا سنعود قبل ذلك إلى الإشارة إلى بعض النقاط السابقة .

لدينا في « ستيغن وولف » و « دميان » ليس ، خلاصة لتساؤل التي عرفها بليك قبل هيس بزم طويل . وهناك عالمان ، أو طرفتان متباعدتان في النظر إلى هذا العالم نفسه ، ويمكننا أن ندهوهما : المهمة . والثلاثية . وأنه لمن الواجب على الفنان أن يربط بينهما ، أي بين ستيغن وولف الذي يؤثر فيه الموسيقى أو الشعر ونجعل نفس فجأة بالتوافق والكمال ، وستيغن وولف المتضيق المتأثر المريض ، أو بعبارة أخرى بين عالم الفن والموسيقى والمنفعة العقلية وعالم الأشياء العقلية والعمل المضي والكآبة . ولكن ، أين يلتقي هذان العالمان يا ترى ؟ إن بعض الناس يشعرون بهذا العالم الأول ، عالم التوافق في الفن أو في الطبيعة ، ونحن ندهو هؤلاء الناس « حساسين » أو « فنانين » .. إلخ ، إلا أنهم يقولون قد أن الفن أمر والمعيش أمر آخر . وهناك جزء مناع في « بودنيروكر » لترمس مان ، يصف فيه كيف أن الشاب « هانز بودنيروكر » يذهب لمشاهدة « لوهينغرن » وكيف أنه استيقظ في الصباح التالي ليذهب إلى المدرسة ، فيجد أنه صار يكره العالم الذي يعيش فيه ، والقبح البارد ، والرفض ، ورائحة المضاف المبيقة في المدرسة ، وهنا نشهد مشكلة اللائيمي الأساسية ، كما نشهد العالمين ، عالم الدهور والحياة ، عالم « لوهينغرن » ، وعالم المدرسة الكئيبة .

وتوماس مان هو من اتباع نوافليس والمدرسة الرومانسية الألمانية ، مثل هيس ، كما أن طريقته في وصف المشكلة التي تتعلق بالعالمين تجعل منها أمراً غير مأوف ، يشبه المسافة . إلا أن هناك فنانين وشعراء آخرين نجد لديهم شيئاً من التناقض فيها يخص العلاقة بين هذين العالمين . وتراهم قاعدين على وضع قدم واحدة في كل

عالم دون أن يضايقهم ذلك ، ومن هؤلاء : ستج وجويس وهيريك وشكسبير وروايتيه وبليك أيضاً .

كان هدف بليك الأول أن يصور هذين العالمين تصويراً تمهيدياً ، ففعل ذلك في « أغاني البراءة » و « أغاني التجربة » ثم بدأ يعالج المشكلة بتعبير أكثر في قصيدته الطويلة الأولى « كتاب ليل » . وتبل هي الطمأنينة البريئة التي تجررها مشكلة الموت ، فسأل الرحمة وسأل السحابة وسأل الدودة ، إلا أن هؤلاء يؤكدون لها على توافق العالم الأساسي ، وأبوة الله . ثم تدخل القبر (وهناك ما يشير إلى أن بليك أضاع هذا بعد انقضاء القصيدة) ، ويرحبها صوت يصدر من حضرة قبرها ، صوت يخبرها بمخبرات الحياة ، بتصور العرضي : « لماذا لا تستطيع الآن أن تقتصر على قتالها ، والعين البراقة على سم ابتسامة ؟ » (٢٣)

ونقبة تيل (ليليك) دميان (ليس) ، أما هدف هذه القصيدة فهو أيضاً ، أن العرضي يجب أن تواجه .

ولا نرى شيئاً من البراءة في قصائد بليك بعد « ليل » ، إذ يجد في « رؤى بنات ألبون » أن أوثرن تقع طرسة اعتداء على شرفها ، في حين يشكك الحقد والكراهية والظنوة زوجها حين يعلم أن خبره قد عرف جمدها (من المقيد) نلاحظ تشابه هذا مع المواقف الماثلة التي يصفها د. ه. لورنس في « طيف في حديقة الورد » ، ولزم فولكنر في « ضجة وحياج » ، أما الجانب الأكبر من القصيدة فيتألف من توسلات أوثرن يزوجه حين تحاول أن تقتنه بأن البراءة لا يمكن أن تشوه . إلا أن ذلك لا يجدي شيئاً لأن توتودمون ترك الأفعال يطحن على « أبواب إدراكه » ، فحضور أنه قد حدثت شيئاً ما يدعونه « بالخطيئة الأولى » . أما في « أميركا » ، فإن بليك يستخدم الثورة الأمريكية وتجوير العبيد ومزيج للاعتلاق من سجن الحواس الخمس . ونجد في هذه القصيدة الأبيات الرائعة التالية :

« انتهت الأزمان ، وموت الأشياخ ، وما هو الضجر يطعم ،

وتسود الملح اللاهبة التي زيلها يورايون في قوسايا العشر
 لقاد موكب النجوم في ليل طويل وقطار شامسة
 انني اسمح ذلك القانون المنحصر ، واحيله تراجاً ، وانشر السين بعيداً بعيداً ،
 تحمله الرياح الأربع كتاباً ممزقاً ، حيث لا احد يجمع الصفحات ...
 ستجد تلك النعمة اللاهبة ، ونعلم ذلك السقف القصير ، تلك الحياة
 الدينية الشاحبة .

سنبعث عن العقاف والطهر لدى البنايا . عن القضاء في تلك الطبيعة
 المفعمة بالخشونة ، رغم ان مهدها يتدنس ليلاً نهراً .
 فذلك لان كل شيء حل في الحياة مقدر ، ولا تنفط الحياة الا بالحياة
 لان الروح التي تسدها عنوبة النطفة لا يمكن ان تشوه
 فاذا انتهت النار هذه الارض ، فان الانسان لن يفي ،
 انه يسير وسط هذه النيران الشهوانية ، يذمبن لفتا من البرونز
 اما ركبته وطعناه من القضة . وحده وراة من الذهب . (٢٤)
 انه يستخدم « النساء » في « اوروبا » كرموز للانطلاق والتحرر ، لان مشاعر
 النساء عملية ، مباشرة ، مقصورة على الارض . ان ايتارون - الانثى
 المقابلة لـ « لوس » الذي يمثل اللانهاية . تصبح قاتلة :

« اذهب ونشر البشر بأن حب المرأة خطيئة
 وان الحياة الخالدة تنتظر عودة سين شتاء
 في ملهى متحيل ، حيث لا وجود هناك قط ... » (٢٥)
 ان الرمزية التي يستفهمها بليك واضحة هنا تمام الوضوح ، فان التفكير
 المركز في تصورات الدين يجعلها خرافات ، ونجد ان انهامات بليك تنهل على

« معظم النساء الأدبيات يدلفن عن دأى بليك » « انه لا يوجد في ان الأدب العالمي عد أقل . من
 الامور العظيمة التي انفلها ، تصوير المرأة القداسة في شكل أ مبع . هي لاسراء شهيدة الحداثة
 أما الرجال فانهم لا يستطيعون أن يكتبوا عن المرأة شيئاً . »

العالم كله ، لانه يفكر بهذه الحرفية . اما ألد اعدائه فكانوا الاستدلالين .
 ورجال الدين الطبيعيين من امثال جون ولوتير وروسو والطام بريستلي
 ونيوتن . (يقابل هؤلاء اليوم الجمعية الطبيعية « وينكرون مثل ديوي ،
 ورسل -) وقد قال بليك عن هؤلاء انهم « انقلد حطرون » خاصون
 للطريقة التي تفكر بها المرأة .

نجد في « اوروبا » ان نيوتن يذكر الناس بهرطقته يوم الحساب الاخير
 (ويمكن لكل قارئ ان يعلم لماذا كره بليك نيوتن اذا قرأ كتاب نيوتن -
 عن التواءات) ، اما « لوس » فانه رمز الطبيعة المتنبهة ، وهو يدعو
 اولاده جميعاً وكفاح الدم . وقد قال بليك ، كما قال شو بعده ، انه
 سيأتي اليوم الذي يسفك فيه « رجال الحيلال » دم هؤلاء الحرفيين الذين
 جعلوا هذا العالم مكاناً غير مناسب للحياة .

و « اوروبا » هي تضفيدة الاولى من سلسلة من التضال عالج فيها بليك
 مسألة العقل الضيق المنطق بالطريفات (الرقيا الواحدة وتوم نيوتن) ، وقد اعتقد بليك
 بان مثل هذا العقل هو العدو الخفي . وفهم بليك الانسان ان الاحام الثلاثة التي عرفناها

« خافنا هنا بالاعتكفت التتالي » من سرخية شر « بيت الشلب العظيم » « الفصل الاول
 من التوتوير » « ما العمل ان ؟ انقل في هذا الوحل » ويرصنا البقاء فيه هؤلاء الخنازير الذين
 يعتبرون هذا الفكر آلة لعان لحوهم ومل خبيثهم ؟ يجب علينا ان
 نكتبهم غري الموت والحياة ، والتي لا نغير ان امرت قبل ان اسبقك .

« ولكن من نحن ؟ لنصنم عليهم ؟
 « ومن هم لكي يمتكوا علينا ؟ ومع ذلك لانهم يملكون هذا بلا لرجد . هناك
 معاد خاتم بين انفسنا وانفسهم ، وانهم يعرفون ذلك ، ويعملون موجد ،
 حائلين بذلك ارواحنا . انهم يؤمنون بانفسهم ، وما علينا إلا ان نؤس بالانسا
 لعتهم ... »

« امم من خلق نيت انهم لا يستحقون ترواح .
 « لا تخف فقتك « فاتهم بفسدهم « ونحن نقتل أصل ما في طبيعتنا لنصلهم
 كي يدم . وان طنا بأب مودود غنل طوعنا ينحنا من الضوح ... »

في الفصل الرابع ، وخلق لكي يسهل عليه امر تحليل مشاكل اللامتنى : الجسد ، والقلب ، والعقل ، ودعاه على التوالي : تارماس ، ولوفا ، وپورايون . وتعالج قصائد الرئيسية الثلاث : «لألا» و «ملتن» و «ماتيس» تداخل هذه العناصر الثلاثة في مشهد من سلسلة من المشاهد الالهامية . في حين تلوح في ظاهرها صيغة التباسك ، الا انه بالرغم من الارتباك الموجود فيها ، فان فكر بليك الخلاق لا يتجلى الا في هذه القصائد . اتنا نجد الحوادث كلها تحدث في داخل نفس البطل (الانسان) اليون الملاق المضطجع على صحرة المصروع . (ونذكر هذه الطريقة القارى . بيقظة فينيجان تلك الاسطورة العائضة التي تحدث في عقل البطل المضطجع النائم ايضاً) . ولعل احد ايات قصيدة «ملتن» يوضح ما هدف اليه بليك من هذه القصائد : «اعتبر بكلامي هذه ... انها تهدف الى علاجك الايد ...»

ويمكننا ان نعتبر هذا البيت عنواناً لكل اعمال بليك . وقد اضاف بليك الى رموزه الثلاثة : لوفا ، وتارماس ، وپورايون «رمزاً رابعاً هو «لوس» ، الذي يمثل الخيال ، والذي يفهمه البعض على انه المسيح . الا ان بليك لم يمين بالخيال ما اعناه «ملتن» حين وصف «عرض الشيطان لحياله بضمير» ولا ما اعناه شيلر حين ميز بين الخيال والوهم . لقد كان خيال «ملتن» امرأ من امور العقل ، وخيال شلر امرأ من امور الانفعال . اما خيال بليك فكان مربعاً مضطرباً من العقل والانفعال وحتى الجسد . وقد عرف بليك اهمية الجسد ، تماماً مثل نيتشه ، ولم يثن شاعر من اجل الجسد كما فعل هو ، ما عدا واث وتمان طبعاً ، لان الجسد هو خلك الجزء من الروح الذي يمكن للحواس الخمس ان تميزه ، ولها فان للجسد مكاناً في الخيال .

اما عمل الخيال فهو النظر الى الاعاق ، وقد عبر عن قصد في «الشمس» : «لأفتح العوالم الأييدة ، لأفتح العيون الخالدة» في اعماق الانسان ، على عوالم الفكر ، على الأبد . (36) الخيال هو الوسيلة لمعرفة الذات . ونحن نفهم من بليك ان الخيال ليس انفعالياً فقط او غشياً فقط ، وانما هو ، بنفسه في كل الرحو ، في الجسد والانفعال والعقل

وما «لوس» الا صورة نفسية لاعماق الانسان ، اما النصف الآخر فهو الوجود الموجب ، التي يدعى «بالشيخ» . تمتلك كل انسان قوى شبيهة حتى نحن الساعة حين تستقط انسانة وتلقي بشبهه الى الجبرة ... (37)

ان الشيخ هو الشكل الميت ، وهو يمثل الادراك المستقر ، اما «لوس» فانه متزايد متح شيئا فشيئا . واذا تراجعت الحياه ، فان حدود فعاليتها تلوح حية ، تماماً كما يلوح الجسد الميت كالجسد الحي . ان الميت هو الشيخ ، اي الجانب المدرك من الانسان ، الذي يخطي . فيظنه نفسه ، وهو يؤلف الشخصيات والمعادن وما يعرف به الناس . وقد ادرك ستيفن وولف في لحظة من لحظات رؤاه ان «الانسان ليس شكلاً ثابتاً لا يتحمل التغير» ، «الا حين يكون في قبضة الشيخ (ومعظمنا في قبضته في كل يوم) فانه يرى نفسه والعالم اشياء ثابتة لا تتحمل التغير» .

ولقد عرف بليك عالمي هانوبود نبروكر وستيفن وولف ، بأن الاول هو عالم «لوس» والثاني عالم «الشيخ» . والشيخ شيء غير مرئي ، كالعطيف ، الا انه ما ان يسطر على الانسان حتى يلوح كل شيء جامداً ، غير متغير ، ثابتاً . غير حقيقي .

تمكنا هنا ان نرى الى اي حد استطاع بليك ان يحل مشاكل اللامتنى ، بل من رأينا كيف ان النظام الذي يقضه يمثل هيكل هذا الحل ، اكثر من اي نظام آخر . ان روكانتان وميرسون ولودنس وكريز وستراود واوليفر وكارنليت كلهم في قبضة الشيخ : في قبضة شخصياتهم الخائفة ، وانهم ليرون العالم خامداً ساكناً . لانهم يحسون بأنهم كذلك . اما علامة وجود هذا الشيخ فهي اللاحقيقية . انك ان تحث في امر التشتت في هؤلاء الرجال : مجنون تولستوي الذي يقر ، لم يستطع ان ينجو من «الرحب» لانه كان يحمل مصدر معه ، ولم يكن هذا

المصلوح غير نفسه ، ولورنس الذي اعترف بأنه « لم أحب حله » (نفسي) التي أراها وأسمعها ، ورليم جيمس وخوفه الفاضل من وجوده ، وجدت هذه المخاللات كلها تشير الى الاعراض التي أشار إليها بليك .

ان السبب ، كما ادركته . ي . لورنس ، راجع الى الطبيعة التي يربكها الشعر : أي الى الطفل المتحكم في القابليتين الآخرين . وقد رمز بليك الى العقل بـ (يورايون) أي « ملك الغيباء » ، أما يورايون هذا فإنه يحاول ان يفهم بدور الدكتاتور نحو المنصرين الآخرين ، الا ان الانسان لا يريد ان يكون حكومة دكتاتورية ، لان ذلك يجعله غير متوازن ، واذا استمر على هذه الحال طويلاً فلا بد من حدوث أمر ما . بل ان ذلك الامر سيحدث حتى اذا كان الدكتاتور أحد المنصرين الآخرين : لوقا أو ثارماس ، وحتى الجسد ، (وثارماس هو أرق أبناء السماء) ، ذلك لان مشاكل الحياة تتطلب تعاوناً مشتركاً بين الطفل والانفعال والجسد على ان لا يتفوق أحد هذه العناصر على المنصرين الآخرين . نجد انفسنا الآن في قلب اسطورة بليك . ان ملحمة الطويلة المشوشة « فلا » أو الالفه الاربعه « هي طريقته في كتابة ما يشبه « الاخوة كارامازوف » ، وهي حكاية سيكولوجية تجري حوادثها في العقل البشري . أما البطل البيون العملاق ، فإنه يعلم طيلة القصيدة التي تبدأ حوادثها حين يحاول يورايون ان يقبض على زمام الدكتاتورية .

ونجد ثارماس يشكو :

« ضاع ، ضاعت ، ضاعت كل المصادر الاصلية في نفسي ! »

وهو يعني بذلك ان من المتعذر عليه ان يصبر عن ذاته بعد الآن . (ويخبر المصدر الاصيل لدى بليك شكلاً من اشكال التعبير الذاتي) . ويلاحظ خلال القصيدة ذلك الارتباك الذي يحدث نتيجة لبطرة إحدى القابليات سيطرة تامه ، ونلاحظ كذلك ، وبصورة رمزية ، كل التخييرات التي يمر بها البطل البيون - م . ي . لورنس ، ونجسكي ، وفان كوخ ، وايفان وميتا وأليوشا . ونجد ان يورايون هو النذل الاول دائماً ، لانه ليس للعقل وحسب ، وانما هو الشخصية

والهزة الثانية والشبح ، وما ان يبدأ الانسان بالتفكير حتى تتوفر لديه فكرة عن « من هو » . فإذا كان الانسان جسداً فقط « أو انفعالاً فقط لم يدرك ميزاته الثانية قط ، وعليه فإنه لن يكون في امكانه ان يحصل على التوازن مثل نجسكي ولورنس وفان كوخ . ان يورايون هو الذي يتر المسئلة . ويتحدث الانجيل عما يشبه هذا ، حين يسند أول خطأ يحدث في الكون الى الشيطان وغورده ، والشيطان هو النور والاحراك ويورايون .

الا أن اللامتسي يعتقد بان الحياة تهدف الى حياة أكثر ، الى شكل أهل من اشكال الحياة ، الى شيء أكثر من مجرد السوبرمان الذي ليس غير رمز شعري له (تحملاً كما هو داني عن رؤياه المسيدة بالرمزية الشعرية) ، وهكذا نجد ان يورايون هو أهم العناصر الثلاثة ، وقد كان السقوط أمراً ضرورياً ، كما ان ينشئ نفسه ادرك ذلك ايضاً . حل يورايون ان يشمر وحده الآن ، وعلى المنصرين الآخرين أن يشعوا ، وما ان يتقدم يورايون أكثر ، حتى تحدث السقطه ، ولا يمكن الوصول الى الله بدون هذه السقطه ، فإذا امرك الشاعر ذلك استطاع « ان يشكركم كل شيء » . « لانه اذا كان الشر أمراً لا يمكن أن ينظم أو نحل مشاكله فإن فكرة - الشكر - دهم كل شيء » - تكون حينذاك تناقضاً ذاتياً ، الا أنه يجب ان يكون واضحاً وجديراً بالاهتمام ان نعلم ان هذا لا يشبه بأي شكل من الاشكال فكرة هيجل القائلة بأن « الله في السماء ، وكل شيء حسن في العالم » ، وحتى لو كان الشر ضرورياً ، فإنه يظل شراً ، وفوضى وألماً ، فإنه يظل حقيقة خارجية ، ولا يمكن ان يكون شيئاً آخر بتغيير وضعه أو لقاء شيء من الضوء عليه . ويلاحظ لنا ان هذا الموقف يشبه موقفاً آخر نجد فيه جيشين متعادين يقف أحدهما ضد الآخر : غاماً رأي هيجل فإنه يصبر على ان السلام امر ممكن لانه من السهولة اتيت انه لا داعي ان التضاد ، اي انها صديقان فعلاً ، وأما رأي بليك فإنه يقول بأن السلام ضروري ، الا انه لا يمكن ان يزول اذا لم يمسح أحد الجيشين الآخر . وهذا هو الرأي الوجودي الذي عبر عنه لأول مرة سورين كيركغور ، وهو رأي اللامتسي ايضاً ، وهو « كنتيجة لذلك - الرأي الديني

أيضاً ، أما الاختلاف الدام بين هاتين الفكرتين ، الوجودية والحقيقية ، فإنه متضمن في المقارنة بين عنوان كتاب هيجل « فلسفة التاريخ » وعبارة جيمس جويس « التاريخ كايوس انحول ان استيفت منه » . ونجد هذه العبارة في الصفحة ٣١ من يوليس . وقد زود بليك الرئي الروحي بالرمزية والاسطورة .

والتوافق هو الهدف النهائي في رئي بليك . إلا أنه ليس هدف الحياة الاول ، لان هذا الهدف هو الحصول على حياة أكثر وفرة بأي ثمن . أما التوافق فيمكنه ان يحدث بعد ذلك .

يقف بليك اذن مع نيتشه ودوستوفسكي وهيس . ان الطريق الى الامام تقوم ال حياة أكثر وفرة ، الى اودالك أكثر ، أما الاعتدال فلا يمكن ان يكون جواباً . ولهذا لن يكون الاعتدال العقلي جواباً ايضاً ، كما لن تكون كذلك فكرة البحث عن مستقر زمري « حيث لا نجد وجوداً » . أما « الجنة بعد الموت » ، فإنها أمر لا علاقة له بالحياة . ان الطريق هو الى الامام . الى حياة أكثر ، وقد لفل فان كوح نفسه ، وجن نيتشه ، الا ان راسكولنيكوف وميتيا كازامزوف استمروا ، بعد ان أصبحا بمشاكل اللاعتمس . وتخلوا التخلل في التجربة القاسية ، بدلاً من الموت ، وأنهم كما في « جرائم اخرى » ، ومضوا الى اعين ما في الحياة الانسانية ، الى الفضي الذي دام عشر سنوات . والتي كانت بمثابة تطهير وثيقة لها . بل ان الحياة نفسها ضعى . الا ان طريق العودة لا يمكن ان يكون الى الخلف . وانما الى الامام .

انه لمن المؤسف ان يضطرق حجم الكتاب الى الاختصار على ما عساه من اعمال بليك ، الا انه قد اضمح لنا من البحث السابق ان فلسفة بليك بدأت اولاً باعتبارها فلسفة لا انتمالية ، مثل فلسفة فوكس ونيتشه ودوستوفسكي . اما أهم النقاط التي انضمت من هذا التحليل الذي قنا به منها تطامح الدين الذي يميز حل بليك . ان الخطيئة الاولى والاعلام والمنة تمثل كلها المعسلة الطبيعية لمحاولته مواجهة الدام كلامهم

وتمكننا ان نخص أفكار بليك بما يلي : ان الله ليس مدمراً ، بل

رؤية الرؤى ، الا أنهم ليسوا كذلك ، لانهم يعيشون حياتهم خطأ . أنهم يعيشون تحت ضغط أكثر مما يجب وبشدة معرلة « آسدين معطين » . الا ان ضباع هذه القابلية على رؤية الرؤى ليس خطأ الانسان وحده . انه خطأ العالم الذي يعيش فيه . العالم الذي يفرض على البشر ان يتفقوا جانباً كبيراً من وجههم ، في الاخط والخطاه ، لكي يطلوا اشياء .

ان القابلية على رؤية الرؤى تتوفر بصورة طبيعية للبشر جميعاً ، فافا شمرنا بالراحة الكافية فان كل ورقة في كل شجرة من اشجار العلم . وكل ذرة من الباري يمكن ان تمثل عالماً مفصلاً في استطاعته ان يهب الانسان منعة لا حد لها . وهذا مثلت هذه الاشياء في ذلك فان ذلك خطأ الانسان ، لانه هو الذي يصيب وفته وضلالته من اجل التفاهات . اما الانسان المثالي ، فهو القاهر المتأمل . والحكيم الذي لا يريد من الحياة الا ما يبد به رصفه ، والذي لا ينظر الى البند مطلقاً ، ويمكن ان يتوفر هذا النوع من التفكير للهن الشرقي أكثر من للهن الغربي . وقد لاحظ البروفسور وايت عيد له :

« كلما ازادت معرفتنا بالحق والأدب والفلسفة الصينية عن الحياة ، ازادت اصحابنا بالمراسل التي فطنتها تلك الحضارة ... ومع ذلك فان العلم الصيني لا يستحق الالتفات اليه ، وليس هناك سبب يدعو الى الاعتقاد ان الصين تستطيع ان تقدم أي نجاح في مضمار العلم فيما لو تركت وحدها . ويمكن ان يقال ذلك نفسه عن الهند .. » .

اما سبب ذلك فواضح جداً . لان الطريقة الشرقية في التفكير هي طريقة بليك اصلاً ، ولا يصل هذا التفكير الى الوصول الى حضارة ميكانيكية تتميز بالتقابل تدريجي . والادسة الالكترونية ، ولهذا كره بليك نيوتن والفورة الصناعية . وانه سبب على الغربي انه يفكر في كلمة « تأمل » بدون ان يفكر في « حلم » او « لارحي » ، لو « غير عملي » . وانه ليصعب عليه ان يفكر ان معظم الحضارات

التي هي « الجبر وتسامح » حيث

قاسم على قاعدة التأمل وازدهرت وأثرت وقامت فيها خير النظم . ويمكن
أن يستبر بليك خبر مثال على المزاج التأمل ، ولنا نجد فيه شيئاً من مخافة
والعالم الخامل ، ، لأن قيمه كلها واضحة نقية .

• يدخل الناس الى الجنة ، لا لأنهم كتبوا عواطفهم ومشاعرهم وتقبلوا عليها ،
ولا لآله لم تكن لديهم عواطف ومشاعر ، وإنما لأنهم طوروا أنفسهم وأبغضوا
المقبل ما في استطاعتهم ، ولا تمثل كنز الجنة نقياً للمعاطفة ، وإنما هي حقائق
العقل التي تصدر عنها كل العواطف ، دون أن يكسبها شيء في عظمتها الأبدية .
أما اللاحق فانه لن يدخل الجنة ، مهما كان طاهراً أو مقدساً . (٣٨)

ويمكننا أن نلاحظ اسماة فهم ، التأمل ، في الغرب إذا تفحصنا وجهة النظر
الماركسية ، التي تقول : « لا فائدة للدين بالنسبة لي ، لأنه ليس عملاً » ، وأنه
ليعتبر فشلاً أن يسلك عقل الانسان مسلكاً يرى فيه الدين امرأ عملياً .

انحضرنا تقريرين من الماركسية شيئاً فشيئاً ، ولعلنا نجدنا لا متسقين لأن اللامتنسقي
هو الانسان الذي يفكر على الطريقة الصينية . أما ثورته ضد القاييس الغربية
فانها تأخذ شكل الاحساس بضاعة هذه القاييس ، الاحساس الذي يعبر عنه
ت. س. اليرت في « القاريين » وهو يسأل اسئلة عن اشياء يعتبرها غيره من
الغربيين مسلماً بها ، أما سؤاله النهائي فانه يحيل الى ان يكون مثل صيغة الحاج
(بطل بنيان) : ما يتعين علي أن افعل لكي اخلص ؟ ولا يصدر هذا النداء إلا
عن اشد الحاجة ، لأنه يرى العالم « فوضى شيطانية » . ولا يجد نفسه متأكداً من
ميزته الذاتية في هذا العالم . أما ستيفن وولف فانه يعبر عن الخطيئة بما يلي :

« كل شيء مخلوق ، حتى أبسط الاشياء ، خاطيء مقدماً ، متعمد مقدماً ،
ان الطريق الى البراءة يكمن في الخطيئة ، والتمسك في الحياة الإنسانية . (٢٩)
وهذا الرأي مشابه تماماً لرأي نيومان . الذي يعتبر من اشد المسيحيين
تعبساً :

« انني انظر الى عالم الناس فأجد ما يغنيني بكآبة لا يمكن ان نوصف »
« لانني اجد العالم متعلقاً بأكله لا . . . لا . . . من المسيحية الكريمة . . . التي عملت بها »

كياني . انني انظر الى هذا العالم المانع الخبي فلا أجد فيه انعكاساً للحقائق ،
وان مجرد التفكير في اندحار الخير وغلبة الخطيئة ، والكفر ، عثل رؤيا
تطيش بصوابي وترعيني وتخلد العقل بغموض يلوح أنه لا طائفة للانسان
على حله ، وهكذا أجدني مضطراً الى القول بأنه : اذا كان هناك رب حقاً
فإن البشر مقبلون على كارثة رهيبة مقرعة . (٤٠)

لاحظ عبارة « يلوح أنه لا طائفة للانسان على حله » ، ان مبدأ الانسانية
ينكر ان هناك مشاكل لا طائفة للانسان على حلها . وما دامت كلمة « الانسانية »
قد وودت في بحثنا فلتذكر قول ستيفن وولف : « الانسان انشاق وتنازل
بورجوازيان » .

عثل المقتطف السابق من فيومان العرض الكلاسيكي لفكرة الخطيئة الاولى :
« كارثة رهيبة مفرقة » ، وهكذا نجد أن طريقة نيومان في النظر الى العالم متشائمة
جداً ، وهي طريقة دوستوفسكي وبيك وكافكا أيضاً ، ويمكننا ان نجد رؤيا
مماثلة لها لدى القاص الحديث خرافام فريين ، (رغم ان العناصر المتضمنة
التي يسلطها في قصصه لزولا عند افواق الجمهور يجب ان نبعده من أي
بحث جدي) . ان تلك الطريقة هي طريقة اللامتنسقي الغربي .

الا ان نشاؤم بليك ودوستوفسكي لا يتعدى نقطة معينة ، ثم نرى
نيسا من فنور يأتي من اتجاه اميلانه ، ذلك هو اتجاه العنصرية الشعرية ،
أي القابلية على قول انه نعم :

« ايشوس . ملكة المياه ، اي اشباح لك في السماء
أختاه ، ما اشد غيظي ، لأن أطفالك منشرون »

كأنهم لا المرحلة ، تترافق على الموجة ، حين يشرب القمر الندي . (٤١)
انها القابلية التي يمكنها ان ترى « علماً كاملاً » في الذرة من الرمل ،
في ورقة (ورقة وحسب) في اطرافها شيء من السورة . وذلك هو
« كان يتنص نيومان وكافكا وغيره » .

ويمكننا ان نرى ، من هذا التعريف الاول لفكرة الخطيئة الاولى ، الخطوط

الاول لحق « الخلاص » و « النعمة » ، والكنة هي الاتصاف « بلا أمل » الى « القوي القبطية » ، والنسبة بها ، ومقاسة سباطها بلا أمل أيضاً . وتكرر هذه الكلمة من وجهة نظر اللاهوتي الثام . وقد قد يشي « لن نبدأ بالحياة ما لم نولد ان الحياة مائة » واعرف نيومان بأنه يعتبر فيشر ملحونين دون ان يكون لهم أمل في الخلاص ، رغم أنه أنفق حياته « عذولاً » أن يخفف من هول هذه الحقيقة على العقل الإنساني . وكان في استطاعة الموت أن يشبه حياته « بصخرة تخرج باستمرار ، في حين يتعين عليه أن يشتر على محاولة وضها الى الأبد » . وأخير مارتن لوتر المرأة التي دعت له بالعمر الطويل قائلاً : « سيدي ، انني على استعداد للتنازل عن نصيبي في الجنة اذا استطعت أن أتجنب البقاء على قيد الحياة أربعين عاماً أخرى » . كلا ، ان اللاهوتي لا يفهم البشر امراً سهلاً ، وانما يفهمه ذنباً طويلاً « حافلاً بالمشاق » اذا كاد على افضل ، اما اذا كان على اسوله فإنه « وعده هبة من البر » و « داه من المهيب لا يحتمل ارتداده انسان » .

كانت تلك الرؤيا نفسها التي جعلت اكسيل يقول : « اما قضاء هذه الحياة ، فيجعل ذلك خدمتنا لنا » . ولقد كان اكسيل متصوراً . كان لديه على الاقل ما يجده لدى المتصورة . لان المتصور هو الذي يقول : « ارضي الله احبش » « الا انه لا يقصد بذلك انه يريد ان يموت . وهناك طريقاً اخرى تتفطن نوعاً من الموت :

« ان يموت الانسان من اجل ان يحيا » . وكان متولفاً من اكسيل ان يحس نفسه في الفتحة على شفاف الزاين ، ويطلع كعبه الفلسفية للصبرية . لان رأى العالم والبشر كما رآهما نيومان ، بل كما رآهما الموت أيضاً في « نوزي المحترقة » .

« وجوه متوترة ، يصفلمها قمر من

عولة عن التحول بالتحول

مملوءة بالادغام ، والمعاني القارعة

يتضح فيها ورم اللاهوت ، واللاتم كيز

الرياح الباردة تصصف بالبشر والاوراق الممركة

تلك الرياح التي تهب قبل الزعان وبهذه ... » (٤٢)

الا انه لم يشأ ان يعتبر نفسه ملعوناً بلا أمل لمجرد ان بقية العلم تلوح هكلاً ، وانما انطلق بلسانه عن خلاصه . ومع انه قبل ذلك وهو محرف عنه برومانسب التي كانت تبيل الى القلاع القوطية الطراز والفتيات فوات للشعور الدعية ، الا انه ظل سائراً في الاتجاه الصحيح .

تري ما هي الوسائل التي يمكن ان يتوصل فيها البحث عن التعبير الثاني ؟ هناك خطوات الرؤى المبركة ، لحظات الشعور بالتواضع . ويسجل ينس واحدة من هذه اللحظات في قصيدته « الرد » :

« حل عالمي الحسون ومضى

وجئت رجلاً وحيداً

في محل مزدحم من صلات لند

في بقي كتاب متروك ، وامامي للحد طارغ

يسطر على المنصة الرخامية

• • •

ويصفا كنت اخلق في المحل . والشارع

شعرت بجسدي يتهب

ولاح في في مدى حشرين دقيقة أو أقل

ان سعادي كانت من اللحظة والروعة

حيث اني شعرت بأنني صرت مباركاً ، وانني لمكاني أن ابارك . » (٤٣)

« قارب حلة صوف اودار التي يو تصور أم تلك الذين يروى ملو كشكته في قصيدة ... »
« ... لا يولد ... » « ... نصفي » « حين وجدت في ذم لور » في ذلك من تلك الحقائق
« ... في تلك الحقائق » « ... في تلك الحقائق » « ... في تلك الحقائق » « ... في تلك الحقائق »

إنها لتجربة حادة ، وأنها لتعقيد من لحظات الـ «نعم» . ولولا ذلك مع
«التجربة» الباطنية ، لأبنا نتبع للامتسي فكرة عن الحالة العقلية التي يعمل
بها إنسان الرؤى ، ويسعى إلى تحقيقها بصورة مستمرة .

يستطيع إذن أن كلمة «إنسان الرؤى» لا تعني هنا «من يرى رؤى» . مثل
القديس يوحنا ، الذي كتب «الرؤيا» ، وإنما تعني ضغط ذلك الذي يرى العلم
إنجائياً . وقد يمرض ممرض فيقول إن فكيرا يتصاح فلما أبصاراً . وهذا صحيح
في الواقع . ويذكر القاريء أنني انطلقت شيئاً من حديث وليم جيمس من
السكر ، الذي قال فيه إن السكر كثير القابليات الخاصة في البشر . بل إن في تلك
المعطيات ما يشير أيضاً إلى أن الإنسان المصاب يشعر بذلك الفوضى مباشرة بعد
وجبة شهية من الطعام ، إلا أننا يجب أن نكون حذرين هنا للصدد ، فإن للاختلاف
الخاصة بالاختلاف الاعتيادية ، حالة المولد الواحد ، وسلكه الإنسان لتغير طبيعته
الغادي المؤلف ، الذي يرى الحياة من وراء منظار وودي . تقول هذه الاختلاف
إن ذلك شيء لا يمكن اختصاف لسطوة ما ، فإذا انخفض ذلك ، نتيجة لمرض
أو لسوء حظ ، فإن ذلك الاختلاف معقول ، ما لم يعد من ذاته .

ولا يستطيع للامتسي أن يعتبر مثل هذا التأكيد شيئاً داسي ، أو صحيحاً .
لأنه أمر بعيد عن سيطرته ، أنه يريد أن يقول : «أفعل» ، لا لأن مصداً سيكون
ممتازاً بالصدفة ، وإنما لأنه يريد أن يقول ذلك . أنه يعتقد بأن القابلية على
قول «نعم» يمكن أن تولد وتؤثر بصورة دائمة . وهناك ما يسمى بذلك في

فريق رؤى القديس ... أما هذا اللحن الكبير ، فإنه يسجل حالة اللاإدراك ...
منه ظلية .
ويشير هنا أن لفظ أن سطر يقول هنا هو سطر في حين «نعم» ...
يرغب الإحاطة
«يذكرني هذا شخصاً» ...
ورامحه .

لوحة فلان كوخ «دخل لتعصر من الحنطة» ولوحته الأخرى «طريق السرد
عند النسم» وكذلك في الحركة الأخيرة من سوناتا بتهوفن «هايمر كلايف» ،
وفي كل حركات «مكتفا نكلم زواشت» ولوحات مينة لكوكان . إن
الامتسي يعتقد أنه يستطيع أن يخفى نفسه مثل هذه الطريقة في رؤية
أعماله بصورة دائمة ، ولكن كيف ؟

أنه يستطيع أن يعمل ذلك كلما كان في مقدوره أن يعرف نفسه أكثر . ويتوكل
له ذلك بانياع نظام يتعلم بوساطة حل ضغطه وانقسامه . ويهدف منه إلى التوافق
والترجيح . تلك هي الأجوبة التي مستخلصها من هذا التحليل . إنك لا تجد
في أذهان البشر غير هذه الملاحظات الجسدية المباشرة ، فإذا وضعهم في
جزيرة صحراوية مقفرة ، ولم يكن لديهم ما يشغل أذهانهم ، فإنهم
سيجنون . لأنهم لا يمكنون دافعاً حقيقياً . إن اللغة المنصبة على حضارتنا
هي الضجر . وقد لاحظ كبير كفارد ذلك أيضاً :

«كان الأكلة ضجرين ، وهذا خلقوا الإنسان . وكان آدم ضجراً لأنه كان
وحيداً ولهذا خلقت حواء ... وكان آدم ضجراً وحده ، أما الآن فقد ضجر
هو وحواء ، ثم شعر آدم بالضجر هو وحواء وقايل وهايل ، وازداد سكان
العالم ، فصار الناس يضجرون ضجراً إنجائياً . وشعروا بأن عليهم أن يتعبرا
أنفسهم فبنوا برجاً عالياً ليصلوا بوساطة إلى السماء ، وكانت هذه الفكرة ذاتها
ترداد الأثرة ففصرهم كلما ازداد البرج ارتفاعاً ، حتى أوحى بهم أن يروا
أن الضجر صار صاحب اليد الطولى في العالم» (٤٤)

أجل ، هذا التفكير ناطق ، إلا أنه ليس إلا تكراراً لقول جيمس بأن
في إهماني كل إنسان شعوراً بالضجر ، واللاانجياز ، والاحساس بأن البشر
جميعاً في مستوى واحد :

أنهم لا يعرفون أنفسهم وهم يعيشون في سجن ، لذا نرى كيف يستطيع
«أن يهرب من الضجر العام الذي يتحكم على الجميع بالظلمة»
كان حل بليك : «ذهب وطور قابليتك على رؤية الرؤى حتى تعمل بها إلى

أفضل ما يمكن أن نكون عليه . وهذا سؤال . ولكن كيف ؟
لا يمكن أن أجيب عن هذا السؤال بشيء مستخلص من المفردات
السابقة التي بحثناها حتى الآن . كما طعنت في الفصول الماضية . ملاحظته
إلى أن ساحة هذا الكفاح واسعة جداً . على التي سأحاول أن أقصر الإلم
في الفصل القادم على اسئلة نموذجية محددة .

الفصل التاسع

تخطيط الحلقة المفرغة

تقف حارة وفكوت الشاب أكسيل في قعر القطعة . يحضن أحدهما
الأخر . وكانت سارة قد أطلقت على أكسيل رصاصتين من بعد خمس
ياودات . إلا أنها لم تكن في المرتين . وتبقى سارة أغنية عن العالم الذي
يملكه الآن بأيديها : أمواتي بشداد . وتلوح البيت . وخطبان التوبيخ
والاحلام التي قد تحفها . إلا أن أكسيل العابس يأمها .

« ماذا عصفها ؟ ألكي يعيش ؟ كلا . إن وجودنا كامل . المستقبل ؟ صدقني
بإسرة أفأقلت : أنا مستعدا للمستقبل . فإذا ستكون كل الحقائق حدة عقار منها
السراب الذي حشاه حتى الآن ؟ إن مرة رجائنا لا تصبح لنا مجالاً للبقاء في
الأرض أكثر مما بقينا . وما الذي يمكننا أن نطلبه من هذا الكوكب الشقي الذي
نسكن فيه سوداوتنا وكآبتنا . هذا الأفكار الشاحبة التي لقد تماوروا عن هذه
الحققة ؟ .. ألا تمرين - إن الأرض نفسها صارت وهم ؟ ما فكري يا سارة بأنا
دعونا حب الحياة في قلوبنا الغريبة . أما أن فرصى بالحياة حد هذا فإن ذلك يتم
حرقاً خمره قسماً . أتعيش ؟ إن خدمتنا سيعملون ذلك لـ ... آه . العالم الخارجي ؟
« نعمي ذلك الجسد العتيق يخدمنا بالأوهام .. ذلك الذي يمدنا بمغناطيس نسير

سحري ، في حين تطبق قبضته التي يغطيها وراعه على حصة من التراب ! (١) وتتفتح سارة فيشريان قدح السم ويخوتان في نشوة فاحلة . وليس هناك شك فيها تنوعه من نبضه كمنطق على هذا المشهد الاصفر : فان آكسيل مثل الكاتب الذي خلقه يمثل نموذجاً منظرًا للانسان الخالم بالعلم الآخر . ان هؤلاء الخاملين بالعلم الآخر هم عموم ، سواء علموا بذلك أم لم يعلموا .

ولكن ، هل هذا عدل ؟ لقد بدأ نبضه نفسه كحلم بالعلم الآخر . وانضج مع شوبنهاور على ان الحياة « امر عجز » ، وان أفضل طريقة لتصلها هي بالتأمل فيها . ولقد بدأنا دراسة اللاتنسي بانسان يقضي أمسياته محققاً في قب الجسد ، « متأملًا » في ما يراه . اما فان كوخ عند تعاقد من الحياة حين كان يقضي أيامه في الرسم في البيت الاصفر للكان في كول . في حين ذهب كوكان الى الجسد الجنونية متفتياً أثر الحلم نفسه « الترف والذعة » . بل ان زبادت أيضاً تضع أولئك الذين يعيشون فوق مستوى أنفسهم ويسبقونها بأن « يلجأوا الى الوحدة » ، وينجوا من لحاح ذباب السوق ، « أي من البشر الآخرين » . كلا ، ان آكسيل على صواب ، رغم ان انتباهه كان طريقة كثية لمخرج من المشكلة ، وما الذي يمكننا ان نطلبه من هذا الكوكب الشقي .. ؟ الا ان سارة كانت قد تحدثت عن « طرق السود الشاحية » ، وعن خليجان الترويح . ان النالسا يرى الرؤى مثل فان كوخ ليجد كثيراً من الآمال في مثل هذا العالم . اما آكسيل ، فانه انما يلحن حلم البشر ، أي النفس الآخرين . للذين يمثلون أساس المشكلة بالنسبة اليه .

ولا يستعان أن تقر بهذا قبل أن نلجأ الى اتقان رؤى آخر هو نوحاس تراهيرن ، لان تراهيرن هذا يصنف الطفولة بذلك الوصف الشهير ، في « مصور من التامل » حين :

« لاح كل شيء جديداً وجرى لأول مرة نادراً ومغيباً وجميلاً بكيفية لا توصف .. ولاح لي أنني كنت متنبواً الى حل تبرز فيه أعمال الله بكامل عظمتها وفخامتها ، وقد رأيت تلك كله وسط سلام يشبه سلام جنة عدن ..

كانت ظفوة شرقية ، وكانت اللحظة خالدة ، ولم تكن لتعصد ، وما كانت مبلوطة قط ! اما غير التولوع وأحجارها فقد كانت من الذهب الخالص ... ، وكان « الأشياء ملائكة براءة مناعة ، وكانت للحقيبات لعلماً عربة طيبة من الحياة والجمال ... » (٢)

ويسأل تراهيرن : لماذا تكلم مدلولات الخلود هذه عن الظهور ؟ ويجب : « لقد كسفت نورها ... تقاليد الناس وتصرفاتهم . ان القدي ، والبطلم الاصر » لم يدعيا الناس يردوا تلك الأشياء كما كانت من قبل ، ولهذا نرانا هرباء من الفكر وتقاليده وآراء الناس في هذا العالم ... لقد جعلوا لها « أشياء لم تكن للاحلم بها » . وكنت ضحياً فصول انقيادي في أترهم . » (٣)

وهو يختم ذلك بعبارات تشبه هرطقة بيلاجيوس : « ان موديتنا ناجمة من العادات والآراء الخارجية عشر مرات أكثر من كونها ناجمة من جسد أو قص في الطبيعة ، كما ان الامر وللعني الذين يقيطانا لم يكونوا لأن اجساد آبائنا وأمهاتنا فرضتها علينا ، وانما فرضتها علينا حياة آبائنا وأمهاتنا ! »

هذا هو سلوك بليك أيضاً ، سواء أكان فلك مشابهاً لسلوك بيلاجيوس أم لم يكن ، وهو في الوقت نفسه سلوك الصوفيون جميعاً . ويمكننا ان نرى فيه اقتراب سرية تراهيرن المسيحية من السلوك الرومانسي . لارن ايها تيس بليك :

« تلوح الأشياء كلها طبيعة عظيمة ، قدعة بالية صراخ حقل على جانب الطريق ، وزقيق مركبة خفيفة وخسوفات القلاع الثقيلة ، لغالصة في وسيل الشتاء لتياء تريف الصورة التي تنوعها عن زهرة تنفتح في قلبك . » (٤)

• ملاحوس . (الدكتور الكبير) أكثر مكر : الطبيعة الأولى و كما رواها اللطيف أو عظيم)
• « كل شيء وكل شيء هو من أمالنا » ولم يولدنا نحن ، لأننا نولدنا « صلال أو شورو »
• « أريد أن ضافية أراوتنا الخالصة ليس هناك شيء لنا » ما دعا ما وضعه الله .

يريد يبين أن يقول أن قبح العالم ، أو قبح بعض مظاهره ، هو الذي يفسر «مطلوبات الخلود» .

« إن الضرر الذي ينجم من هذه الاشياء القبيحة شديد الى درجة لا تسمح لي أن أتحدث عنه . »

وهذا ما أراد آكسيل أن يقوله أيضاً ، إلا أن فكرتي تراهرن وبليك تخلصان من ذلك ، لأنهما يعتقدان بأن الناس الآخرين هم أساس المشكلة وبخبرنا تراهرن في مكان آخر بالمحطة التي يصل فيها الى قراره العظيم :

« ولما جئت الى الريف ، وجلست بين الاشجار الساكنة واللال والمراعي ، وكان وقتي كله ملك يدي ، قررت أن أتقن لوقاتي كلها ، مما قلني الأمر بحثاً عن السعادة ، عطني أروي هذا الظم الألهب الذي تشعله الطبيعة في ذاتي منذ شبابي ، ولقد كنت مصراً على هذا القرار الى درجة أنني حثت على عشرة باونات في السنة وارتميت بالجلود وأكلت الخبز للبلول بالاء . وكل ذلك لأنني أردت أن يكون وقتي كله ملكي وحدي .. » (٥)

هنا قرار لا نهائي ، ولم يلح هذا القرار شيئاً حين وجدناه في (سيدلر) ليس ، لأن ذلك حدث في الهند ، أما أن يحمل هذا القرار أوروبياً على التجوال والبحث في الريف الأوروبي ، مرتدياً الجلود ، مثل جورج فوكس (الذي كان محاصراً تراهرن محريباً) فإن ذلك يلوح لقلوبنا الغربية كمرآة صعبة ، ولقد جعلنا على الشك في صحة مثل كل من نعرفه عنه أنه يفعل ذلك . إلا أنه مع ذلك قرار عقول صريح ، ولا يتطلب الأمر من الإنسان إلا شيئاً من الفهم المتواضع ليقول « إن الخضوع أمر يستند على الطمحيات ، وحسب ولست أميل الى الطمحيات . كما أنني أميل أشد الميل الى الحرية والبطالة . » ولست أريد بهذا أن أقول للامتنين شيئاً أن هذا القرار يعتبر حلاً صحيحاً لمشاكلهم ، بل إن الاعتراض الجمل الذي يهيم صدق هو في حياة التجوال لا تسمح بالطملة والتأمل . بل إنها تشغل في نظامنا حاجة اللامتنين الى اتجاه . أو عمل أكيد واضح

إلا أن عمل « الراحة » مهم جداً ، أما النتيجة ، أي ما إذا كان ذلك مجادياً أم خبيثاً ، فهي ثانوية . وقد تعود ثانية الى بيتس ، الذي يعتبر مثلاً أقل أهمية من البحث الذي بأيدينا الآن . إلا أنه من المستحسن أن نقتله ولا نختلف منه شيئاً بهذا الصدد . اننا نجد في مقدمة « ولدا » شاباً يدهي دانياله بوليري بخبرنا كيف أنه شعر حين كان في المسرح ذات ليلة ، برغبة قوية في المتأفف والتعبير عن رأيه في الطريقة القذرة التي كان الممثلون يقومون بها « روسيو وجولييت » :

« وفاجأني هذا المظهر ، لرى ما الذي سيجعلني اذا خلعت ثوبي حداثي وفتحت واحدة على السيد والاخرى على الآنة ؟ أعجبتني أن أحب حياتي القبيحة مثل هذا المذهب المحدث ، عجبت أنني أدع هذا يحدث . لا في حلم الوهم ، وإنما بين أشكال من التركيز والشد ؟ »

وقلت بصوت خفيض ،

لست تحبك للشجاعة ؟

لا أنني أجبت .

بل أملكها ، ثم بدأت بخلع حداثي ... (٦)

إن عبارة « أملكها » يمكن أن أصب مستقبل مهمة جداً ، لأنها وصفت دقيق لمدى المحدث الواضع ، لأنه اذا ذهب الإنسان حياته القبيحة مثل هذا المذهب المحدث فإنه ذك يعني شكلاً من أشكال التركيز . وانني لأقر بأن عبارة « أشكال التركيز » عارضة ، إلا أن القارئ لن يشك فيما يريد بيتس أن يقوله . عندما حل راسكولنيكوف المرأة ، ارتكب مثل هذا العمل ، الذي كان صيب حياته حياً مجدداً . أو على الأقل ، كان ذلك أملاً . وعندما اقترس ستاروجين ذات في العشرة من عمرها ، وسرق ورقة تقنية من كاتب المصرف ، فإنه لم ينجح في ارتكاب « شكل من أشكال التركيز » ، لأنه « ولوء حظه » لم يكن معه القدر بما يكفي ليحمله على انتهاك الإعراض أو السرقة ، أما محاولته لارتكاب عمل يحمل معنى مختلفاً عن الانفعال الذي وضعه فيه ، فقد كانت فاشلة ،

كانت فكرة بليك « ان الروح الحقيقية التي تمتنع بالقطعة الجذبة لا يمكن ان
تتوه قط » قد وقتت نفسه ، وكان على متفروحين ان يتعلم ان الاعمال ليست
شريرة بذاتها وانما يضع الانسان الشر فيها بالمفاهيم التي من اجله يرتكبها ، اما
مقياس المفاهيم النهائي لدى بليك فانه « ان الحياة والنشاط في تنهيا » ، لما افتر
فانه لا يمكن ان يوجد الى جانب الكفاح « من اجل الحياة بوفرة اكثر » ، والذي
يعبر هدف الدين النهائي « في حين نجد ان متفروحين كان بلا دفاع .
اننا لا نعرف الكثير عن حياة ترهين مع الأسف . نعرف ماذا حدث
حين قرر ان يعيش على الخبز والماء ويلبس الجلود . اننا نعلم في حالة حركس انه
لم يمل النجاح الكامل بالنسبة لخايس اللاتسي على النجاح . اما ترهين فقد
صار قساً لماتلة ريفية واستطاع ان يعيش حياة لأمية ، ثم مات وهو في
الثامنة والثلاثين . فاذا اردنا ان نحكم عليه حسب « تصور من القائل »
ليستنا ان نقول انه نجح في التوفيق بين العالم وبين رؤاه حتى استطاع ان
يرى العالم كما رآه فان كوخ في « طريق السرو عند الفسق » ولا يمكن ان يتم
هذا التوفيق الا بالوحدة ، وقد فهم لينش ان المجتمع ليس غير قائم من
الحرايا التي تمكس الصور مشوهة .

قد يعود علينا بالطبع أن لنجا الى حياة المتصرف المندوسي الكبير وراماكريشنا
وتقاود بينه وبين الصوفيين الغربيين الذين عتاهم . والمفاهيم هنا مختلفة
فلننهد نقابها المعروفة في القائل « وتفوق على النفس » ، « رغم ان
الاافكار الغربية كانت طافية على تقليد التأمل هذا » في الوقت الذي ولد
فيه وراماكريشنا ، اي في عام ١٨٣٦ ، ويمكننا ان نرى هنا ماذا حدث
حين يجد اللاتسي نفسه وسط نقابك تعتبر التأمل شيئاً مألوفاً .
(سالتف في الصفحات التالية بعض المقصودات من كتاب « حياة » وراماكريشنا
الذي لم يذكر اسم مؤلفه ، والذي نشرته الاكاديمية آشراما » في مليراس . وهو

« يحمل هذا الرأي الثابتة طمأ » « مأجود » عند المحدثين »

كتب مترن بخوي على اشياء كثيرة هامة في اقبله الأخيرة .
ولد شري وراماكريشنا لابوين بهرامين في قرية صغيرة من قرى الهند تقع
في البنغال . ولوح منذ شبابه انه كان يرى العالم كما رآه ترهين ، وكان اذا قام
بشئ من الادوار في الاحتفالات الدينية ، يفرق في غيبة من النشوة ، حتى
ان المتفرجين كانوا يشعرون بأنه كان « الطفل كروشنا » نفسه الذي كان يقوم
بتشيله . وكان في طفولته خيالياً يميل الى القصص الدينية والاساطير . وكان
يقراها للفلاحين بصوت عالٍ ولم ينح له ان يقرأ من الأدب الخيالي غير
هذه القصص طبعاً . ولوح لابويه انه كان ينضم أشخاص تلك القصص
معنا ان ذلك كان علامة على عبثيته او الخلاله العصبي .

وحدث لراماكريشنا تجربة هامة في حين لم يكن له نغدي السابعة من
العمر بعد . واليك ما يقوله هو عن ذلك :

« كنت أسير في يوم من الايام في حيزران او غور » في عمر ضيق بلصل
بين الخفول . وكنت آكل شيئاً من الرز حله في السلة ، وبينما كنت حل هذه
الحال نظرت الى السماء . رأيت سحابة مغطاة ، وبينما كانت تلك السحابة تملأ
حواشي السماء كلها ، كانت هناك أسراب من الطيور البيضاء تطير في مقصبتها ،
وقد أتت ذلك كله متراً يديماً متلفاً جليبي أنطلق غيالي الى أفق بعيد جداً .
« ضدت احاسي بالاشياء المباشرة لحقت على الأرض » وانتشرت حبات
الرز حولي ، ثم وجدني بعض الناس وحلوني الى البيت ... » (٧)

ينصح انه هذه التجربة حلالة وثيقة بنشئي لينش . وقد جرب لينش ذلك
« هو اكبر سناً ، وكان موجوداً ضمن حضارة مبنية على النقد المادي بصورة لم
تصبح ثلاثان مثل هذا الطرف في الاتصال . ومع ذلك كان لينش وراماكريشنا
« نوعاً من التوافق » وحصل على قابلية في النظر الى العالم جعلت الحياة بالنسبة
« شكلاً مستمراً من الشكوك الركيك » . وهنا يجيبونا ان تذكر كيف كان
« يستحق » حول بحيرة ملهابلاتا هافاً « دوع النبطة » و « رأيت افكاراً
« في افني » افكاراً لم نعرف مثلاً « ما من قبل » ، « ينشر السكون والسلام

على الجبال والقفلات ، و : « اعل من البشر والزمان ستة آلاف قدم » .

الا ان هناك اختلافا كبيرا . فقد عاش راماكريشنا في قرية صغيرة . وكان ابوه برهمنيا ، وقد كان محبا من العشق والاشياء المقدسة . بل كانت حياته ماثرة على وثيرة غنائية . وكان باستطاعته ان يشعر بحالة تقهقر متى أراد ، كما تخبرنا بذلك الاغاني الشعبية التي نغني عن حياته . كان راماكريشنا يشبه ونرا فينا بقليل باستطاعته ان يطلب بالانعام لأي اعتزاز بها نفعه . وامام تي جبال لم توافق في محيطه . وقد نكون مدهورين اذا سألتنا : اتراد سيجعل بذلك التوافق لو انه عاش في « برصرك » التي عاش فيها رامكوليكونه ، او في المحيط الذي يصوره لمرامام خرين في « صخرة برايتون » ؟

كان راماكريشنا على ما اعتقد محفوظا اذا اتاح له ان يعيش حياته وسط تلك المحيط المادي . الا ان ذلك لا يؤلف جوابا كاملا . فقد رأى نيشه رؤياه عن المحيى والحياة ، وهو في طريقه الى سترسبرك . بعد ان قضى اياما طويلة وسط وحشية سوح المطول وجشها . الا اننا يجب علينا ان نمرد الى هذه النقطة فيا بعد . لقد كان مزاج راماكريشنا الروحي او كما يجب ان نقول : سلسية التبليغ مستمرة على التطور خلال شبابه ، وقد أصبح شعوره الاكبر كاهن في عهد « كالي » في هاجتيسوار ، وهو مكان مخصص للمادة ستة امراء من صيدا وقاتل على خروته . ولحق راماكريشنا بأبيه في المعبد في الوقت المناسب .

وبدا راماكريشنا يفكر باط بغيره في التوافق ، الذي كان طبيعة ، ما دام حظه سالوا منذ البداية على تنج لسطورة حياة كريشنا على هذه الأرض . وما دامت تجاربه الصوفية ، كتلك التي رآها في الحفل ، قد وعته افواكا لحالة كاملة من حالات الهدوء الداخلي . لقد قال نراه : « انه كان يعيش في السعادة ، الا ان راماكريشنا قال انه كان يعيش في الله . في حين انها صبا شيئا واحدا ، اما بليك فقد دعا ذلك « الرؤيا » . وقد أدرك راماكريشنا ، كما فعل نراهمن ، ان الهدوء يتأتى في لحظات التأمل توجهه للتفكير هو فكرة التوافق ، وعليه فقد بدأ يمرد بنصفه في أماكن لم يكن يجابه فيها أحد .

وكان يفضل الأماكن التي يطل الناس أنها مسكونة أو مسجورة ، وكان يجلس متراجعا ويحاول ان يعمل اتصاله وعنه متدوين لتحقيق اكمل ما يمكن من الاتصال مع العالم . وبعبارة أخرى فإنه كان يحاول أن يحقق العلاقة التي لمستطاع نيشه ان يحققها عندما كان يستمع الى « كريشنا ريسولت » - او عندما كان يقرأ « الانفصال » لثوبنهاور .

ولأنه يمكننا ان نقول ان كل من جرب ذلك يعم ماذا يحدث بعده مباشرة ، فاذا لم يستطع الحيل ان يحفظ تلك الفكرة العامة متطورة دائمة ، فان الانطلاق متميل الى تشتت بالأرض ، كالطير الذي لا يستطيع أن يطير . انك لتجلس تناولا ان تجعل ذلك ينقل الى المياه ، وتمرح ساعات واذا بك ترى ان الأشجار والارض صارت أكثر خضيق من قبل ، وان فكرة « المناطق الميادية » تلوح هراء . ان الاشياء حبقية أكثر مما يجب . وهنا نعود الى هليان وروكانان ثانية . ان هذه الطيمة اللينة التي تحير الاشياء فتجعلها تلوح صامدا لا تسمح للعين بالنفوذ فيها ، هي كل ما يخلق أولئك الذين يشتدون الوحدة ، أما الاختلاط بالناس الآخرين فانه يثير على الأكل روح التنافس . ويجعل الانسان على جعل نفسه أفضل في معرض المنافسة بالغير . آكان سينين ديدالوس ، بطل جويس ، يضجر مثل صهره بكونه غائبا ، اذا لم يكن في استطاعته أن يقول لنفسه : ان اصواتهم انخفاء جعلك يشعر بأنه كان مختلفا من غيره من الاطفال ؟ ه هذا ما فيه راماكريشنا حين يجبرنا من الوحدة الملهمة .

« مياني يوم لا ترى فيه اشياءك السامية لك ، وستخلف من خيظتك نراهنا كالشيخ المرحب ، حينذاك سنهف : كل شيء زائف » .

تقد اخبرنا راماكريشنا كيف انه مر مثل هذه المرحلة ، وكيف صلب ثم المقدسة (كالي) : « هل أنت حقيقة أم أنك وهم ؟ ترى هل أنتدع سبي او ظلت أنني أستطيع أن أعرفك ؟ »

« بدأ يشعر أنه كل عباداته وتأملاته لم تنج له لحظة من لحظات رؤى لادة الخمر » .

« فلبست ثوبه الأم لاني لم أحصل على بركة رؤياي للأمم . شعرت وكأنني شيئاً يتصر على كالمثل للبلد . واستنوت على قلق شديد . وعشت أن يكون في استطاعتي أن أراه في هذا العالم . ولم أعد أحمل الانفصال أكثر عما استلته . ولاح لي أن الحياة لا تستحق أن يعيش فيها الإنسان . ثم وقع بصري على السيف المعلق في معبد الأم . ففتزت إليه وقبضت عليه معبها أن أضعه في يدي . وقمنا كشفت الأم المباركة من نصفي لي . ودعفت إليهما والمعبدة . ولم يعد لها وجود . ولاح بدلاً عنها بحر واسع لا نهاية له ولا حد . بحر وضاه من الأمداء الروحي . كانت أمواجه تنهال علي من كل جانب . إلى أبعد ما كان باستطاعة بعيني أن تروى ... أمواج تزيد عن ثلثاني . ووجدت نفسي أشت . ثم استنوت الأمواج فسقطت فالتفتور . » (٨)

إن ما حدث واضح كل الوضوح . فقد اتجه التأمل الطويل حتى أنه لم يعد يرى نفسه . أما محاولة الانحياز فقد كانت خطأ فاصلاً عند تراءى الميراث فاقبضت كل نشاطه الحياتي . وكانت رؤياه مثل رؤيا نيشه عن فدا مثل . ولري هذا كيف أن اللاعني يعرف نفسه فجأة . وأنها رؤيا أليشا أيضاً من حب الأرض وحب الحياة . أو : كذلك الكافر في رؤيا أليشا . الذي كان مظهراً لـ سير تلك الأجيال الطويلة . والذي أعلن أن لحظات قليلة في الحياة تداري أعناق شقاء ذلك السمر . وأنها بقعة شرا تخرج ترو الضميمة أيضاً . وأحارب الأعمى التي اقتضت أمامه حيلة تدبر وبوجهه . ولكن . من تحت أقدام الحواس جميعاً . ولذلك فأنها على التيقن من خياني روكوند تماماً .

لقد عبرنا بذلك بأن هذه الرؤيا يمكنه جميعاً . « إذا كانت يوم الأمومة نقيّة نظيفة » وعليه فأننا نستطيع في مثل هذه الظروف أن ندرك الرؤيا شيء موضوعي تماماً . كالجوهر في البهائم . ومرة أخرى حدثت عن تشاك أمام أعيننا . كلا أن ما حدث لراماكريشنا هو أن سطر لوتس . « أمه » الثالثة . وقامت هذه الأرواح بعمل باقي . وأنه لا ريب أنهم قد فهموا هذه لأن إدراك هذا يمثل الخلاص النهائي . « ما هي » ما هي » في الآخرة

أو تقديس الذين يرون الرؤى . يحيل إلى النظر بأن الرؤى لاحت لهم . في حين أنه يكون من الأرض لو قلنا أنهم هم الذين لاحوا للرؤى . إن الشكبة الحديثة حققة في الشك في إمكانية وجود مثل هذه الرؤى باعتبارها شيئاً يمكن للنفوس . إلا أن هذه الرؤى ليست كذلك . أنها ليست غير آمنة على قابلية الأرواح على حمل الأشياء تحدث . أما التفكير الغربي فأنه يحيل إلى انخضاع الأرواح لوجود المسند الواضح .

من الضروري أن نغير هذا واضعاً قبل أن نتقل إلى بحث حياة راماكريشنا . وأنها طبيعة يصعب على الفهم لها . لأن أذهالك لذلك هذا . إلا أنها لا تدرك أنها تتحرك بصورة مقاربة .

أدخل أية مكتبة في لندن . وانظر في قسم القلعة حتى تجد كتاباً يحمل عنواناً مثل « ما هو الإنسان ؟ » أو « هل نستحق الحياة العيش ؟ » وقرأ نصف صفحة منه وسررت ما أعنيه بقولي « انخضاع الأرواح لوجود الواضح المحدود » . فكان المؤلف يقول : « حسناً . انني جالس على الكرسي . انظر إلى شاشة الحياة . ماذا تعني ؟ » وهو ينظر خارجاً ويقل ما يراه . إلا أنه لا يسأل : ما هي العناصر الموجودة في نفسه والتي تجعله يرى العالم كما يراه . وبالإضافة إلى ذلك جاء حتى لو ادرك عينه إلى الحافة وسأل نفسه على طريقة فرويد أو كس : « إلى أي حد تؤثر حواسي في الأشياء التي أراها فأنه سيطلق فاحصاً هذه الحواس وكأنها موجودة تحت المجهر . وكأنه ليس غير شخص ثالث ينظر إليها . »

حدث عكس هذا في لحظة من لحظات الرؤى « كواحدة من لحظات اليوشا أو تينيه . أن الاستمرار على قذف والفئات « بالانفعالات والمخبرات التي تشبه انهياراً من الكواكب يعمل صاحب الرؤى يدرك أن إدراكه صارت كالنيار الذي يدير المحادثة . وتسيطر عليه هذه الفكرة القائلة بأن العالم قائم على القوى الخفية . في حين كان من قبل يرى العالم حاملاً خندماً تحظى فيه التضاهات بالأهمية . تماماً كما يلوح في قرية كتيبة بانسة . أنه يرى العالم لأن ساحة تكان تجتمع فيه قوى هائلة . ويملك فجأة أمرين . طبيعة العالم

المنبذة على القوة الدافعة ، وطبيعة نفسه المنبذة على هذه القوة أيضاً ، وعليه
ليبدأ من ان يرى الاشياء كشيء خامدة - صار الآن يرى قوة الحياة طامعة
في الامتصاص ، والارادة من اجل حياة اكثر وفرة . اما هذه الارادة فالتا تخفي
عادة ، تاركة العقل المدرك مشغولاً بشؤونه ، ويظل هذا العقل المدرك متعباً في
عالم المادة ، يحاول ان يشعر بأنه غير متعب ، يانطق بالقيمة الشخصية والقيوت .
ولاهراً ما يتصل الوجود المدرك بالوجود اللامدرك في الناس . ولهذا فان المدرك
المدرك يحيل الى تحقيق الراحة بقله اقل ما يمكن من المجهود .

الا ان هناك بشراً آخرين دهنهم باللامتدح ، يتصل وجودهم المدرك
بوجودهم اللامدرك دائماً ، وهكذا نفل حقولهم المدركة شاعرة دائماً بالحاجة
الى مصاحبة الاهتمام بتحقيق « حياة اكثر وفرة » ، والقبيل من الاهتمام بالراحة
والثوازن وغيرها من الاشياء التي ينفق البرجوازي بها . لقد حاولت خلال
تصوير هذا الكتاب ان ابين كيف ان اللامتدح في حاجة الى اكتشاف طريقة
بسطحية براسطتها ان يجدد لقوى الموجودة في حماه ليعيدها في تنفسها .
ومن الواضح انه اذا كان يفرط هذه القوى ادراكاً خامساً ، فان الامر المعقول
الذي يجب عليه ان يفعله هو ان يزيد من ادراكه فليكتشف ما تهدف اليه .
ويبدأ اللامتدح حاملاً بقوله : « يجب ان احصل على الاتزان الذي يمكنني
من النظر في اعمالي نفسي » . وهكذا نجد يظن عليه باب غرفته . الا انه يكتشف
ايضاً لسوء الحظ انه غالباً ما يعرف نفسه بصورة افضل تحت تأثير تجرب
جديدة ، بينما لا يمكن ان تتوفر له هذه التجارب الجديدة اذا كان حبيس
غرفته . وينشأ الصراع في بداية الحياة الجديدة . « الصراع ففتي شهده
ثانية اذا عدنا الى قناعة ومتغير وولعه » .

لقد نجح راماكريشنا في توجيه التواضع دائماً ، ففهم على اسبغ ، فرد
يتحدر به ، وضجاء كشفت قوى الحياة عن ذاتها في نفسه . وقالت له : « هـ ؟ »
انك في تحوت . انظر الى هذه الاعمال التي اعدتها لك لقدم دائماً . « هـ ؟ »
توفرتم راماكريشنا وزياد الاثر في العالم . « هـ ؟ »

خفيفة ان يكون مليء بالحياة . وانه ليس غير الحياة ، وان هذه الحياة قائمة
بمحاولة لا نهاية لها من اجل تعزيز مطبوها على المادة . لقد ادرك ان كوخ
هذه اللوامة الاعاقية أيضاً حين رسم طريق السرور عند الصن ، « وليلة
الحوم » . تراء كما ادركها بينه وبين أيضاً حين ألف « حامر كالافير » .

ان المشاعر الخاصة بتواضع راماكريشنا اللامتدح هي التي سهلت عليه
امر الحصول على ذلك الادراك ثاقبة . اما ولما « كالي » في العهد فقد
سارت رمزاً لذلك الادراك .

لقد صور الصان « كالي » امرأة سوداء غاسية الملامح ، تحمل صبغاً
دولاً بشرية يشين من ايديها الاربعة ، بينما تبارك باليدين الأخريين طفلها ،
« دعت على جسد زوجها « شفاء المصطح » ، وعقل شفا الحياة المدركة ،
أما « كالي » فالتا تحمل بواض الحياة : في حين نجد حول عنقها فلاة من
حرم البشرية . وكألسا من كان ذلك الفتان الذي صورها بهذا الشكل ، فانه
لا بد ان يكون فينشأ آخر على الطراز الهندوسي ، ولا بد قد أدرك ان بواض الحياة
تدري من الارادة الشخصية الممحصنة من اجل الحياة الدائمة . وانه قد تهدف الى
حالة اكثر من طريق حوت الافراد . « وتصور الاعامي الهندوسية هذه النوبة
عد البشرية التي تتميز بها بواض الحياة وتجد في لمعانها :

« المخلوقات كلها لعب بيد لى (كالي) المجتونة » .

ونجد في نسرى :

« امسى أمتى . وكلك امى » (شيفا وكالي)

ثم نجد في اخرى (وهي تكشف عن هذه النوبة بصورة اشد) :

« سأنتهك هذه المرة ايها الأم كالي

ثاني ونبت تحت كوكب شيطانى

ل يعرف كم هي حرية هذه الأفكار على الطبيعة الحرة ، ويبره القدر الى المنصف
الحق . « أنتك » كالي . « لم يكونا نتمتع بالوسوء في خدمة الخدمة » ، « وكنت في
الخدمة » .

وان من يولد تحت مثل هذا الكوكب يأكل امه ، كما يقولون (٩)
ويشبه هذا ما يصفه ديموستوكي على لسان كبريولف : ... والانسان
الذي يفرس فتاة صديرة هو غير ايضاً ، وكذلك الانسان الذي يقتل نفسه
لسفاً عليها ، فهو غير ايضاً ، كل شيء غير . وقد ادى تصوير نيته من
هذا المفهوم نفسه الى اختياره ، ضد المسيح ، و ... محمداً قليلاً .. الخ ،
كما أدت الفكرة القائلة بأن ، كمال ، قاتلة مدبرة الى ظهور مذبح الشاك
في الهند . تماماً كما قادت افكار نيته الى الياسة التي اتبناها النازيون
حين كانوا يصفون الاسرى بالكلاب في معسكرات الاعتقال .

صار راماكريشنا كاهناً في معبد كالي ، بعد ان مات اخوه ، وهكذا
انتشرت شهرته كمقدس في مختلف أنحاء الهند . وقد كان كاهناً غريب الاخوار
اذ نادراً ما كان يبيع قواعد العبادة ، بل انه قدم الطعام الذي كان مخصصاً للكهنة
الى عامة المعبدين ، واخضع البعض على هذا ، الا انه ابعدهم غالباً . ولقد
رأيت ان كالي قد تجسدت كل شيء ، وكان أثل ما أبطه ، ادراكه قد
فيه ووجه تلك التهبوبة الفاعلة للشرارة التي يدعوها ، سامنديه ، انه رأى يوماً
غلاماً انكليزياً يجلس متكئاً على جذع شجرة ، وكان جسمه متجنباً في مواضع
للآفة ، تماماً كما كانت صور كريشنا تثير فيه ذلك المألوف ، تعمله به .

ولما بلغ راماكريشنا السادسة والأربعين زاره مدير إحدى المدارس القريبة ،
واقفاً بمحاضرات كرونا هذا يصبر واحداً من تلاميذ راماكريشنا القياوزين ، وقد
جعل كل ما دار بينهما من احاديث في مجموعة تحت اسمها الياس "تجبل
سري راماكريشنا" . ويعتبر هذا السجل الوحيد الذي في ايدينا الذي يقلق الياس
يوماً فيوماً اقوال ذلك القديس الذي اسكره الله . (وتحتوي الترجمة الانكليزية
على نصف مليون كلمة ، مما يجعل الكتاب ثلاثة اضعاف تجبل المهد الجديد .)

الكتاب - عليه دي أن ايليه بأن عليهم أن يقتلوا البشر بسيفهم . من أجل ذلك القديس
وكافرو بامسكون كسافرين ويقتلونه ثم يمسكون . ويقتل - الله المعبود .
سري لند

وليك شيئاً من احاديث راماكريشنا فيه :

« حاجت مرة قليلاً من الماعز في أحد الايام ، وما كادت تقض على
غريبتها حتى ولدت غراً صغيراً وماتت (لان صباؤاً اطلق عليها النار) ، وحاش
السر الصغير بصفحة الماعز ، وكانت الماعز تأكل الحشائش ، فقلعنا السر
في ذلك . وكانت الماعز تنفخ غشفا للسر مثلها ، وموت الايام ونحاشق صار
غراً كبيراً . وفي يوم من الايام هاجم القطيع غراً آخر ، فادعش السر المهاجم
ان يرى غراً يأكل الحشائش ، فلفق به حتى ادركه . وبدأ السر آكل الحشائش
يصور ، الا ان السر المهاجم اضله الى الماء وقال له : انظر الى وجهك
في الماء . الاتراء مثل وجهي ؟ شكلاً شيئاً من اللحم .. الا ان آكل الحشائش
لم يستطيع ان يزود اللحم واستمر على الضياء . حتى انه استطاع ان يفتاد
رائحة اللحم وطعم اللحم بالمران . ثم قال له السر المهاجم : ترى الآن انه
لا فرق بيني وبينك . ففعل وانبعي الى الغدابة ...

كذلك الانسان : فانه انما يأكل الحشائش باستناده ، بالراء واللحم ،
لما التفتاه والقرار كالماعز فانها يشبهان سلوك الانسان الهادي ، في حين ان
الغلاب مع السر والعيش معه يوقظ فيه الامثلة الروحي ، فليعلم انه (والسر
للمهاجم هنا هو الحكيم) مثل الحكيم تماماً . اما ان ينظر الى نفسه في الماء ،
فانه يشبه معرفة الانسان لنفسه الحقيقية . (١٠)

ويجمل هذا بنا الى تذكر ستيفن وولف وانقسامه الى الانسان واللب ، أي
المزى والسر ، تفكراً مقارناً . ان البوردجوازي يقوم بدور المزى فيشرقي
العالم ، اما السر فانه دور اللامتنس ، ذلك الدور الذي اختاره راسكولنيكوف
حين قتل تلك المربية المسجوز ، فكان بليك وحشاً من "من الاسمرلر على البشر
مع الماعز . الا ان المقارنة لا تكون دقيقة في هذا المجال ، ورغم ان راماكريشنا
غفل مصره كلاتيم وقضى حياته عموماً اقناع الآخرين بأن يكونوا لامتنس
ايضاً . الا ان ستيفن وولف (المزى) كان يستمتع بالموسيقى والشعر ، ولما
قلنا لا نستطيع ان نهمه بأنه يجوز ، الادراك الروحي ، واذا بلغ اللامتنس

مرحلة راماكريشنا من الادراك الروحي فان اقتضات تنضج ، فلا يجره هناك ما يدعو الى قتل امرأة أو ارتكاب أية جريمة عدا . ومن اعجب تعاليم راماكريشنا قوله ان جميع الاديان متحدة ، وبعبارة تاريخ حياته : بأنه سرب كل انواع الطم الدينية . وانبج تعاليم مختلفة للطوائف (وقتك امر عجيب جداً في الهند ، تماماً كما لو اعلن شخص ما في انكلترا انه وفي وقت واحد قلد ومن الاحقاد و كاثوليكي وروماني) . وقد درس راماكريشنا المسيحية والاسلام ، فبعد الفناء بدلاً من كالي ، ثم عبد الله الذي يشمل كل شيء . - وقد عرف راماكريشنا حقيقة الكون الالاسمية لما ضاربه في شيء ان يدعها مختلف انواع الرموز ، كانت النتيجة واحدة بالآ ، اي الادراك الروحي للامل قد .

ولعل ان ترك راماكريشنا علينا ان نوضح للنفس من ادراك الله . وهذه صفحات ١ ، مختلف انواع التجارب الدينية ، يتحدث فيها جيس من الحالات للزاجية للالاية :

« يستطيع الحبنا ... ان يتصوروا هذا ، اذا استطاعوا ان يستفيدوا حالاتهم الشورية في تلك الحالات للزاجية للالاية ، التي تفلنا فيها عبراتنا الواضحة في الحياة ، او مشاهدة مسرحية ما ، او امرأة احلى القصص ، وخاصة اذا بكينا ، فكان ممعها نقتحم جداراً في اماننا ونصل كل خطايا السابقة نأركة لقلوبنا نظيفة رقيقة ، مستعدة لقبول اشياء سمي . الا ان سطفا يهودون الى مفلساة المشاق المألوفة ، اما اولئك الذين يمتدونه عبرات القديسين . فانهم يخلصون منها الى الأبد .. » (١١)

لقد لاحظنا كيف ان راماكريشنا كان حسن الحظ لانه عاش حياته في قرية هادئة ، ولم يولد شعوره بهل الامرجة الالاية وبخاصية التحيلة ما صله الآخرون من التمار خطصهم من قوة العالم . (يتذكر قراءه نسيحة عبد الميلاد ، لدكتور المشهد الذي يقرأ فيه سكرووج) فقد لية ويلة ، في المدرسة ويعتق حطته بذلك الكتاب ، وكيف انه يقاسي ما يقاسي من الحياة . وبلاي .

ثم يذكر حطته السابقة بذلك الكتاب ، فيحصل على تلك الامرجة الالاية من جديد .

وعليه ان نفهم ان راماكريشنا استطاع الاحتفاظ بحساسية الطفولة ملية حياته . أما نحن ، وسط حصارنا العقلية ، فاننا مقطعون الى البلور في مزاج معين . ولهذا فانه ليس تزييفاً ان نقول ان حضارنا هي المسؤولة عن انتشار القياوج الانسانية والمادية في الفكر ، اما راماكريشنا ، الذي يعتبر في الطرف المعاكس ، فقد كان بامتطاعته ان يغدا الى الحق ما يستطيعه الانسان من دخول تخلي ثشوان ، الأمر الذي لم يستطع ان يفعله الا عند غشيل جداً من المرييس ما عدا اولئك القديسين الذين ظهوروا في القرون الوسطى ، والذين كانوا قادرين على ان يهبوا حقولهم ايضاً للتأمل والهدوء .

لقد سار الناس يعتبرون راماكريشنا في البنين الانيرة من حياته نجسداً ، كالسبح وكريشنا وكوتاما (بل ان الآلاف بعد عورته اليوم باعتبارها تمثل الله) . واصيب راماكريشنا في عامه التاسع والاربعين بالتهاب في بطنه تحول الى سرطان قتله في آب عام ١٨٨٦ . ودخل كثير من تلاميذه المريد وتفاعلو فيها ، الا أنهم عادوا بعد ذلك الى التخلل بين الناس ناشرين تعاليمه . ويعتبر نازيندرا الفضلهم ، اذ انه نشر تعاليم راماكريشنا في انكلترا وامريكا .

انضحت لنا من الضلوع الاخيرين نتائج معينة عن اللامتسي ، ويمكننا ان نغير عن انشعا ايمية بقولنا ان اللامتسي يلوح في اساسه رجل دين ، يرفض ان يوجد نفسه على ما يفعله اصحاب التفكير الضليل من اشياء تحصر الوسائل الوحيدة التي يتبع للانسان البقاء على قيد الحياة في حضارنا العقلية . ويجب ان نؤكد ثانية اننا لا نقمى « بالدين » اي دين معين ، لأن « الخطبة الاولى » و « الخلاص » و « الكنية » اشياء يفكر بها اللامتسي بصورة طيبة ، مما كان ، وايها كان .

وبالاضافة الى ذلك فان الطريقتين الشرقية والغربية في التفكير تبتلان الى القول بأن الخطبة الاولى هي مجرد وهم . وقد ظل راماكريشنا يظف من

تلاجه ان لا يجتروا انفسهم خطاة ، الا انه لم يكف من اعتبار الناس الذين يشغلهم « العالم » ارواحاً مقيمة ، ارواحاً خالدة . أما الطريقة المثلى لتخلص من الضلال ، فان الآراء على اختلاف أنواعها تنفق على طريقة واحدة هي : في التطرف ، فان التطرف يمثل الضرورة الاشد . أما بوقا فانه دعا الى محل وسطه . الا ان ذلك حدث بعد تجربة التطرف أيضاً ، وتجربتنا المتألمة فيكاي كيف « انه كان يجهد نفسه في العمل أكثر من الآخرين ، ويمشي حياة خشنة ، بل أشد خشونة من حياة الآخرين ، ويخرجه ضميره أكثر مما تقطعه خيالاته الآخرين ويريد ان يعيش وحيداً ، فينك جميع الآخرين . » « ولك مثلاً » . « كثر على التطرف » ، (ويستطيع القراء الذين يريدون أمثلة أخرى ان يقرأوا « الموال بوقا » ترجمة وودوارد) .

« ولدت في نفسي : لغزوس يا كيجيزانا انني أتمنى أكثر طبع انساني ، ثم كنت انساني وسدنت أدبي .

وهكذا شعرت باغراء ينفذ في دماغي بعد أن سددت لهما منافذ الاصلية ، تماماً كما لو خاص في دماغي سيف بضربة قوية . وتلاشت ضلالي ، بينما انحور ادراكي العقلي ، الا أن جسدي لم يعد يحتمل مرارة ذلك الكفاح ، رغم أن شعوري بذلك لم يستطع أن يسجل على تلك التحور العقلي .

ثم نعلم ان كوننا ألباع نفع حتى صار هيكلاً عقلياً ، وبينما كان يسبح في المنهر ذات يوم ، وجد أنه لم يكن لديه القوة لإبقاء نفسه خارج الماء ، وأوشك حل الغرق . الا أنه صر على حصن منقل ، فنتبت به ، الا ان حله التجربة التي أتاحت له للتحور بمشاعر الانسان مباشرة قبل الموت ، ضقت فيه ما فعلته مثليتها في رماكنا ، اذ وجهته ادراكاً لحقيقة حطه : هي أنه كان يريد حياة أكثر « لا حياة الخلق ، ثم تذكر :

« وفكرت بعد ذلك ، وقد ذكرت كيف كان أبي السبرني يحرق الاروس يوماً ، وكنت جالساً في ظل شجرة التفاح الوارف ، سيداً من العنكب في الملاذ الحسية والحالات المرضية ، اذ غرقت في تأملاتي . السحابة العنكب

لوجه ، والتي ترافقني متى كنت وحيداً ، مرتاحاً ، أشعر بمشهي لطيفة . ثم قلت في نفسي : أهلاً هو طريق الحكمة ؟

لقد جعله هذا الادراك يقرر أن يأكل ويشرب بصورة اعتيادية ، وان يعتمد على حساسية خياله ومقدوره على التمييز بين الأشياء من أجل الحصول على النتيجة النهائية المشتهة .

ثم جئت بورالملا ، وهي ضاحية قريية ، ورأيت هناك بقعة جميلة ، تألف من غابة ساحرة ونهر مازو سليل صاف يجري في دعة ... وكانت على سفلة القرية التي يمكنني أن أستجلي من أهلها علماني .. وهكذا امها الاعوة ، جلست أفكر . ولدت في نفسي : انه المكان المناسب للكفاح . (١٢)

وكان هذا المكان هو الذي شهد تأملات كونانا في الحرية ، وتأملات نرفانا عن الشرقة الكاملة والاموال اللغني . (قد نشك في امكانية تحقيق ذلك ، الا أن هذا على أية حال شرح للطريقة البوذية وحسب .)

ويمكننا أن نحدد أمثلة أخرى في التطرف لدى القديسين المسيحيين ، فهناك مثلاً « مايرينج سيوس » (أو سوسو) الذي عاش بين ١٢٩٥ - ١٣٩٦ وهو الذي يخبرنا في « تاريخ حياته » كيف أنه كان يظن في اختراع وسائل تعذيبية رهينة بجمسه ، فكان يرتدي وشاحاً من الشعر ، وسلسلة حديدية كانت تحز في جسده حراً ، بينما كانت تندد جسده اربطة جلدية ذات رؤوس وخفافات برونزية مشقوفة ومفروزة في جسده ، وكيف أنه لبس تلك الأشياء سنوات عديدة . وحل على ظهوره صليلاً من المسابر القديسة المفروزة فيه طبلة تماهي ستوت ، وكان يتم على باب خشية منخورة ، مغطياً نفسه بمحصر صيداً وشاة . واستمر على ذلك ستة عشر عاماً ، ظل يبعثها أنه انضج جسده اصصاعاً تاساً . وقد أقتنه بملك أنه غرامطوراً من كتاب « مايسر ايكهارت » :

« هناك قابلية أخرى خالقة أيضاً تصدر عن الروح .. أجل ، ان لي هذه القابلية لحمة خالقة ، غامبة . وخطة خشنة حيفة لا يستطيع أن يصفها الانسان . انني لأصيف انه اذا استطاع الانسان أن يجد في ذلك شيئاً من الخبطة والمثمة ،

عن طريق رؤيا عقلية ، فان كل ما يعانيه من عذاب يصبح تنفعا ..
لا يكون شيئا مذكورا ... (١٣)

لقد أراد سيوسه أن يحصل على تلك الفكرة «اللامية» .

اب قيمة هذه الاشياء للطرفة هي بالطبع في حيوية الارادة للكانسية
فيها ، أما اذا كانت محرية باعتبارها عقوبات مقصودة ، وعدا متعمدا ،
وحسب ، فانها تكون عديمة النفع على غارة . لأن الأمر الوحيد الذي
يهرها هو وجود «الارادة» .

لقد صار بحث هذا الكتاب حقله كاملة ، ولست أعرف الى انحاء حل
نهائي كامل ، لمشاكل اللاهوتي ، وانما الى الاشارة الى ان هناك حلول
تقليدية ، أو محاولات بذلت من أجل الوصول الى تلك الحلول ، ويجب ان نعود
الى مت. ي. موله ونسوته « بنهاية الانسانية » علينا أن نبث محاولة جديدة
أخرى من أجل الوصول الى حل ما ، وهذه المحاولة هي من الامة بحيث لا يجمع
أعمالها في هذا الكتاب . تلك المحاولة هي « النظام » الذي انبه جورج
غورديف لحرب الاطوار .

كان غورديف في السبعين من عمره تقريبا حين مات عام ١٩٥٠ (وتم بحرفه
أحد عمره بالضبط) . وقد لخص حوائل أوجين علما من حياته مشرقا ، نظامه و
بعض تلاميذه ولنا معرف عنه الشيء الكثير ، وانما نعرف أنه يروا من أصل
قروا زي ، وقد بشر بتعاليمه في موسكو وپترسبرك ، وأثيرا في أوروبا وأيركا .

ويشير كتابه « الجميع وكل شيء » العرض الرئيسي لنظامه ، ولم يطبع
في انكلترا الا القسم الأول منه وبيع هذا القسم في ١٢٠٠ نسخة ، وقد
أن يقال عنه انه غير جدير بالقراءة لأنه شديد الصعوبة ، الا أنه تعلم أنه
كلفت لتلا يقراه الخواف ويقرؤنه ، أنهم فهموا غورديف . . وقد
ذلك الى المربوط بهذا الكتاب تحت مستوى «يقظة فيبكان» .

ولحسن الحظ وأو لونه كما يقول غورديف ، فان هناك «مجموعات
مبسطة لفلسفته ، كالتقدمة التي كتبها كيبب ووكر» «مجموعات الأفكار»

وكتابات أحد تلاميذه البارزين «ب.د. لوسينسكي» مثل «في البحث عن
المعجزات» . . ويقتض هذا الكتاب ما حدث هذا التلميذ حين كان يتعلم
على يد غورديف ، وهو يصفه بأنه كان بالنسبة اليه كما كان سقراط
بالنسبة الى أفلاطون .

ويمكننا اعتبار نظام غورديف أكمل وأشد الفلاسفات الوجودية مثالية ،
ولا يخلق هذا النظام بالأفكار لمجرد الأفكار ، وانما يتم بالتتابع ، وهذا طاق
«النظام» نفسه يتألف من نمازين وقواعد مختلفة ، لا يعرفها الآن غير تلاميذه
غورديف وانبايه ، ونحن معنيون هنا بالجانب النظري من هذا النظام .
يبدأ غورديف أشد حالات الايمان ضللا . فيقول ان الانسان غارق
في هذه الضلالات والادهام الى درجة أننا لا يمكننا أن نعتبره حيا يعيش ، وانما
هو آلة ، أي أنه ، بعبارة أخرى . لا يملك شيئا من الارادة الحرة لهذا

يلوح هذا أشد الآراء تشاؤما ، ألا أن هذا لا يمثل كل فلسفته ، لأنه بعد
أن يؤكد على أن البشر نائمون وأنهم انما يسرون في نومهم دون ان يتوهم لهم
شيء من الادراك الحقيقي ، يستمر فيقول ان الانسان يستطيع أن يحصل على
شيء من الحرية «واليقظة» . الا ان الخطوة الاولى للحصول على الحرية هي ان
ندرك اننا لسنا احرارا . وما حقا قرأنا في القصص البالية السابقة عن لا متنب
صرحوا بهذه الحقيقة ، فانه ان بشكل صعبة ما في طريقنا . (يشتمل
جانب من جوانب فلسفته على ملاحظة الانسان لنفسه وللآخرين . لأنه
يكشف بهذا عددا كبيرا من الاحمال الميكانيكية والفيزيائية .

ومن أطرف ما في نظام غورديف بالنسبة البانوضيحه للطرف الثلاث ،
طريقة التفكير ، وطريقة الراهب ، وطريقة التبوجي . وتتمثل هذه الطرق الثلاث
الوسائل التي بحثها في الفصل الرابع : أي محاولة السيطرة على الجسد . وعلى
الاتصال . وعلى العقل . الا أن الطريقة تكمن في أن غورديف يدعي بأن نظامه
يمثل طريقة رابعة تتضمن الطرق الثلاث الأخرى . وقد عيت جماعة غورديف
في جنوب فرنسا «معهد التطور التوافقي للانسان» أي تطوير الأنسان الثلاثة

بصورة تجعلها متصلة مع بعضها البعض . يمكننا الآن ان نقول ان نظام غورديف
واللامتسي سبحانه الى حلف واحد .

لقد نظرت في فهرس كتاب أومبسنكي وضعت المواضيع الفلسفية عن
المواضيع البيولوجية . فاما الفلسفية فلا يمكننا ان نجزم بصحتها او بخطئها
ولذلك اطلت منها : « القصر هو لرحس صخرة والارض هي قمر صخرة » ، اما
الاجرام السماوية فهي كانتات حبة غلظنا تماماً ، « ويستطيع القزى ان يتبع
هذه الافكار او ان يرفضها ، الا ان تحليل غورديف البيولوجي يعتبر تحليلاً
نقاداً متعصباً » يتحدث فيه عن المواضيع التي تحدثنا عنها في هذا الكتاب .

يقول غورديف ان هناك حالات لربما تحصل من حالات الاموالك . اولها
هي التروم ، والثانية هي تلك التي يفتني فيها البيولوجيا في المادي حياته ويدهوا
غورديف ساعراً ، بالاهراء اليقظ ، اما الثالثة فهي تدعى « التذكر الثاني »
وسنشرح هذه الحالة ، في حين ان الرابعة هي « الالهة الموضوعي » .

ولكن تعتبر حالة « التذكر الثاني » اهم الجميع ، فقد رأينا كثيراً
من اللامتسين يمشون في مثل هذه الحالة ، وأفضل مثال يذكر في هذا
المجال هو سنيان وولف حين نراه في القرائن مع ملوية . ويمن في
« محلي مزدحم في لندن » .

ويشرح أومبسنكي « التذكر الثاني » بكل وضوح ، انك تنبه الى شيء
موجود امامك وكأن الانتهاء يصدر منك وينصب على الشيء . اما اذا خرجت
في المكارلة لو ذكرنا لك فان الانتهاء يشبه الى امحائك ، الا انه يحدث احسباً
ان يتصرف الانتهاء الى الخارج والى الداخل في وقت واحد ، فنقول مثلاً :
« من انا ؟ هنا ؟ » ويجعل هذا السؤال لهما كماً مركزاً لنفسك ولعيطك . (وأفضل
الامثلة على هذا في الادب الملهدي الذي يصوره تولستوي في « القوقازيين » ،
حين يرى اولتين الجبال لأول مرة ، فيتصور له اكمل تذكر ذاتي . » ويقول
أومبسنكي : « تأتي الانسان لحظات التذكر الثاني حين يرى محيطاً جديداً
لم يكن يتوقعه ، وناساً آخرين لم يكن يألفهم » ويحدث ذلك في الاسعار مثلاً

أو في اللحظات التي يفعل فيها الانسان جدياً ، ولحظات الملهم . .
ويستطيع الانسان ان يتقن نفسه هذا التذكر الثاني بالتابع نظام معين
مقصود . الا ان ذلك صعب جداً . جرب . كمحاولة ، ان تنظر الى ساعتك ،
ويصفاً يكون انتباهك مضمراً الى معرفة الوقت ، حاول ان تشعر بنفسك وانت
تنظر الى الساعة ، ومن بعد انك متحصل على اللحظة التي تدرك فيها كلاماً من نفسك
والساعة ، الا ان ذلك لن يدم أكثر من ثوان ؟ وبعد ذلك تدرك نفسك وحدها
أو غرض الساعة وحسب . ان تلك اللحظة التي تدرك فيها نفسك ناظراً الى الساعة
والى نفسك هي الحالة الثالثة التي تحدث عنها غورديف . (أما أولئك الذين لا
يمكن حرقهم عن النظر الى حياتهم كسرسرية واعتبار انفسهم أبطالاً ، فانهم
يشبهون نيتشه حين كان صتيراً . وهم يحاولون ان يروا انفسهم خارج الرضعية
كما يحاولون ان اعتبار انفسهم اعتباراً موضوعياً .) ولشرح ذلك من وجهة نظر
اللامتسي يمكننا ان نقول اننا نعرف انفسنا بشخصياتنا ، اي ان هويتنا تنبش
زجاج النافذة ، اما نحن فنلتصقون به بشدة ، بحيث اننا لا نستطيع ان نشعر
باقصاها عنه . اما التذكر الثاني فانه يشبه العودة الى الخلف ، بحيث انك
تستطيع ان تجز بين نفسك (زجاج النافذة) وبين العالم الخارجي المتميز
عنه . ويخص لنا أومبسنكي كيف ان بعض غمريات التذكر الثاني استطاعت
ان تهب اصحابها حالات شعورية شديدة التركيز ، ومن الواضح انه له
وجد حلاً واحداً كان اللامتسي قد اخله .

« يقول أومبسنكي في الصفحة ١٩٠ من كتابه ، في البحث عن المصبرات » ما يلي :
« كنت مرة أسير في شارع ليواني متعباً غير الياسكي ، ولم أكن أعرف انفسه بالتدريج متعباً
على تقديري الثاني ، وماذا ذلك من جهود ، ان قصصها ، الحركة وكل شيء . حولي صرختني
في ذلك . وصارت اذاعت ذلك الانتهاء اسفل عليه في لحظة متعالية ، وانفسه مسي
عليه في لحظة اخرى . وأحياناً شعرت حين ذلك في نفسي ، انني اني شير
قصيرة . فاضطت لشارع من اقبال ، مصرى من لاداد ، انني بعد ان التذكر في الوقت
صغر عن الآخر ، من طقت الشارع الذي . ولما وجدت اني وحسبك . اني اني اني اني .
عادي في حصر لحظات . عند اني شعرت اني اني اني . اني اني اني .
انني انني انني . انني انني انني . انني انني انني . انني انني انني . انني انني انني .

ويقول لنا غوردريف أيضاً ان الانسان يضع كمية لا يستهان بها من جويته فيها يدعو ، بالانفعال السلبي ، كالتخوف والاشمئزاز والغضب ... الخ . وهو يدعي بأن هذه الانفعالات هي غير ضرورية بالنسبة للانسان ، وانها تشبه في كونها اسراراً وضع عود تهابت مشتمل في كؤوس من البارود . ان الانفعال السلبي هو أمر مخرب لمصنع الجوية البشرية .

وفي الانسان مراكز متصلة . لمركز الفعل ، ومركز حركي ، يقوم بكل الاعمال الحركية التي يتطلبها الجسد) ومركز حسي . ومركز لطري . ولديه كذلك مركز جنسي ، ومركزان ساميان لا يعرف عنها لهنيا يسملان في اعماق العقل الباطن . (رغم ان ادراك هذين المركزين يمثل راي القديسين) . وعمل الانسان الى مزج هذه المراكز ، واستعمال الجوية المخصصة للمركز الحركي في الانفعال ، او الجوية المخصصة للانفعال في الفعل ، او الجوية المخصصة للمركز الحركي في الجنس . ومن قواصم ان المراكز جميعاً تميل الى سلب الجوية التي ينتج بها المركز الجنسي ، وتطلب بدلاً من ذلك نوعاً من الجوية التي لا يحده لطف . (وقد قال غوردريف لاسبينكي انه لأمر عظيم ان يعمل المركز الجنسي بجويته الخاصة .) ومن الجوانب المهمة في نظام غوردريف طريقة ملاحظة المراكز والتمييز بين الاعمال التي يجب ان يقول بها كل منها .

صغار في رواية من روايات فيسكي احدثت ان أكثر من مائة من المفسرين والمؤلفين ما ركب محطاً بتلكري نفسي أن أكثر من شيء من المفسرين . وموت صاحبان ، راحته في انهم يشككوا . أي في هل يمدحاً من قبل الذي كنت فيه ووجهي مستقلاً عربة ، في طريقى إلى الطبيعة . وكان الصلابة منه قليلة جداً قرباً من حرجة مرعبة بل يمكن أن تقول اني تذكرت كل شيء . قصة واحدة . لذلك كيف اني كنت أسير في التلويحسكايا ، وكنت اني كنت أذكر نفسي . وكيف فكرت في الصغار ، وكيف اني فكرت عند ذلك في يوم حبي . وفي الوقت نفسه . وحيث كانت مائة من ذلك اليوم . كنت أسمع بأبال مقولة مأخوذة . إذ فادرت على صبي . وصحت شفي في البيت . وحدثت شغف كقولاً . في الطريق بينا كنت نسير نعلم . في مرسكايا . أن أكثر من مائة من المفسرين . في ذلك وقت .

الا ان الصعوبة الرئيسية التي يجب ان يلقها النظام هي ميل الانسان الى النوم والى عمل الاشياء بصورة ميكانيكية . فقد تعلمنا قصيدة او قطعة موسيقية في يوم من الايام ، وانما بالعالم كله يصيح حقيقياً ذا معنى عشر مرات اكثر مما كان من قبل . وقد نقرأ القصيدة في اليوم التالي او نستمع الى القطعة الموسيقية ثانية . وحينئذ تتعلم ذلك بصورة ميكانيكية ، لاننا نكون قد اعتدنا عليها . الا ان هناك اموراً أخرى من الافضل ان نعلمها بصورة ميكانيكية . ويمكن ان اطبع هذه المعصية على الآلة الكاتبة بسرعة مقبولة ، لان هذا العمل خرج من نطاق المركز الحسي الذي علمني كيف استعمل الآلة الكاتبة) وتعمل في نطاق المركز الحركي (الذي يستطيع ان ينجز عملية الطبع بصورة افضل) . فاما أوت كل المراكز اعمالها الخاصة بها فلن يكون هناك تداخل في الجوية وانما يمكننا ان نحصل على أقصى ما نستطيع للحصول عليه من الاداء المركز .

وتعتبر أكثر مرحلة ، للروية التركيز ، وحد التمييز الذي يملكه الانسان ، راسع تجميع اوسبينكي : ميكولوجية امكانية التمييز الانساني . وفلسفة غوردريف في هدفها (وهو الادراك السامي) والاممية التي يسبقها على مفهوم التمييز ، علاقة وثيقة بملفة فرناند شو ، ولا يختلف غوردريف عن برنارد شو الا في ان شو لا يصح حداثاً لامكانية التطور : (بالنسبة لما قد يكون بعد ذلك . يمكنني ان اقول ان ثلث لا تترك الا شيئاً غليظاً ، ويمكنني ان يكون هناك شيء عند ذلك) . ولقد يأتي يوم ، ولعل ذلك يكون بعد فروع عديدة . ينطلق فيه العمل امر دون ان يتعدى شيء في المكان الذي كان فيه العالم المادي يوماً ما . وحينئذ يتصل الله الى تلك الحياة . وهذا ما يقوله ت. ي. لورنس . انه ليرد هنا الاذكى الفرانك شوية ، لا لمكار غوردريف ، الذي يحدد الهدف في قصد : فالخطوة الاولى هي ان نكف عن النوم الملتصقي الذي نعيش فيه الآن . وفي هذا يقول غوردريف :

هناك قصة شرقية تخص علينا كيف ان ساحراً غياً شيئاً كان يملك ردة كبر أمر السراقة . ولم يشأ ان يستأجر طاراعياً . كما لم يشأ ايضاً ان يضي

سابقاً المعرف الذي كانت تدعى فيه ، ولهذا فقد كانت الخرافات فيه في الغاية ،
ولسقط في المستعجمات ، بل كانت غمر ، لأنها كانت تعلم بأن الساحر يريد
ان يخلق لحومها وجلودها ، الامر الذي كانت تكرمه جداً .

وأخيراً وجد الساحر علاجاً للأمر ، فترجم الخرافات مغناطيسياً ، وأوحى اليها
بأنها خالدة وأن سليل جلودها لن يولد في شيء ، وأن هذا على العكس سيكون
متعة وسروراً عظيمين لها ، ثم أوحى للخراف بأن كان سيداً علياً يجب التقطيع
الى درجة انه كان مستعداً لصل اي شيء من اجله ، ثم أوحى بأنه اذا حدث شيء
لها فانه لن يحدث في ذلك اليوم على الاقل . ولهذا فلاحاجة بها الى التفكير
به ، وأخيراً أوحى الساحر للخراف بأنها لم تكن غرافاً قط وانما كان
بعضها اسوداً ، وبعضها صفراً ، وبعضها بشراً وبعضها سمرة .

واختبر بذلك نتائج بشأن الخراف ، فلم تفر ثانية ، وانما انتظرت
بأنه ذلك اليوم الذي يحتاج فيه الساحر الى لحومها وجلودها .

ان هذه الحكاية تصور الانسان المنحصر في (١٤) ويتحدث غوردريف في صفحة سابعة بالثيرة الاصلية التي يشير بها
الدين الصوري :

« الانسان مرتبط بكل شيء في حياته ، مرتبط بالخيال ، مرتبط بحسنة ،
مرتبط حتى بهذابه - بل انه مرتبط بهذابه اكثر من ارتباطه بأي شيء آخر .
ويجب عليه ان يحرر نفسه من هذه الروابط . لأن الارتباط بالاشياء والشيء بها
يقصع المجال لظهور الف « أنا » في الانسان . يجب على هذه « الانا » الكثيرة ان
تحرر لكي تولد « الانا » الكبيرة ، ولكن كيف السبيل الى موتها ؟ »

ان إمكانية « الحقيقة » تستطيع ان تحل ذلك . ان حقيقة الانسان تعني انه
بدأ يدرك لافئتيه ، أي انه صار يدرك ميكانيكية الحياة ، واستسلامه وضعفه
للثباتين . فاما لم يكن الانسان يخشى نفسه لانه لا يعرف شيئاً عن نفسه . (١٥)
ولرود ثانية :

« يجب ان يموت الانسان حالاً وان الأبد ... »

وشرح ذلك القديس برحاً :

« اني اعيش ، ألا أنه لا حياة بي
وهكذا ، وعمل عند الطريقة الملوحة بالأمل
أموت . لأنني لا أموت .. » (١٦)

وشرح غوردريف في « المصباح وكل شيء » عبودية الانسان بطريقة
لشد تحقيقاً ، ألا أنها واضحة بالنسبة اليها . لأنها ليست غير محاولة لخلق
أسطورة ثابتة عن الخطيئة الأولى .

انه يقول ان كلثة كونية قد شطرت من الارض قسمين ، القمر ،
وقرأ آخر أصغر منه نسب الناس (زعم أنه ما يزال موجوداً) . ويجب
أن توصل الارض ، طامناً ، لمئين القمرين ، (وقد ذكرت كيف ان
غوردريف يعتبر الاجرام السماوية كائنات حية) . اما هذا « الطعام » فهو
نوع من الطعام يصنعه البشر ، وبعبارة اخرى فان الغرض من وجود البشر
على الارض هو ان يصنعوا « طعاماً » للقمرين .

« ألا ان البشر لم يصنعهم ان يلعبوا مثل هذا الدور الثاني في النظام الشمسي ،
انهم طردوا في انفسهم « العقل الموضوعي » الذي يعتبره غوردريف الحالة
الرابعة من حالات الادراك » . وهكذا فان نصبرهم عن القيام بهذا الدور صار
يهدد وجود القمرين بالخطر . وعليه لردت بقية من كبار الملائكة ، تصح جداً
تتم هذا العقل الموضوعي عند البشر . وهكذا أوجدوا في الانسان عنصراً يهدى
« كوتنا بوفر » يجعل البشر يفهمون الخيال على انه واقع « ومنذ ذلك اليوم
حتى الآن ، ظل البشر تائهين في لعالمهم ، ولم يكتفوا بذلك فحسب . بل
صاروا يقدّمون « الطعام » الى القمر وهم يبدون إعجابهم به ا لسلو الخط ،
فان علم قدرتهم على رؤية الاشياء بصورة موضوعية صارت فتودهم الى الملائكة
تخطى سرعة للغاية واتهم الضروزي لبعض الناس على الاقل ان يبدوا في انفسهم
توقفاً جديداً من الادراك . وان يفطروا حقاً ببطء ويتحملوا في ميته كل المشاق
على ان يكون ذلك بصورة نظرية : ومن غير ان يشعروا بما يحدث لهم . ألا

يكون مثل هذا الانسان لامتناهياً ؟

كلهم فالهم ، ويوجد غورديف الى هذه النقطة دائماً . يجب ان يتصوروا
بضرورة الاستيقاظ . ان نمسح هؤلاء البورجوازيين القاتمين ، بالخرافات ، كما
نعملنا بذلك حكاية الساحر امر ذو مغزى هائل . ان حفيد بلزبول الحكيم
« الشيطان » (والذي يعتبر المتحدث بلسان غورديف) يسأل في نهاية « الجميع
وكل شيء » عما اذا كان بالامكان اتخاذ البشر وتوجيههم نحو الطريق للمستقيم ،
الا ان بلزبول يجيبه قائلاً : « ان الطريقة الوحيدة لاتخاذ سكان الارض
هي في اتجاه عنصر جديد فيهم ، عنصر أكثر مثل - كونفابورف - ... قوي
بحيث يجعلهم يشعرون بأن الموت أمر لا مفر منه بالنسبة اليهم وبالتالي
ان يهربوا من تنوع عليهم عيوبهم . » (١٧)

وبشبه هذا ما يوحى به الدين أيضاً : « تذكر النهاية » ، ولكننا نستطيع
ان نرى أيضاً انه لا تقع في فكرة إيجاد مكان خيالي لوجود فيه ولا حياة ،
لان الامر متروك للوجود ، وهل الانسان ان يعيش أكثر ، وان يكون أكثر
ولهذا عليه ان يدرك دائماً مبدأ التوحيد ، وقد قال غورديف لاريسكي :
« هناك وقت معين واسم معين لكل شيء . كما ان الاسكانيات التي يمكن
ان تتوفر لأي شيء موجودة لوقت محدد وحسب » .

نرى إذن ان بحثنا لادنا الى تشكيل عدد من المفاهيم التي وجدنا انها دينية
فكانتنا قطعنا كل مراحل الحياة الانسانية وخططنا اصول الدين من جديد ، ولم
تذكر عندما كبيراً من المفاهيم التي يفتبرها رجال الدين ضرورة تفهم الدين
- الله والجنة والجحيم - وعلمتنا ان ندمر ما كنا نؤمنه ، حتى الآن ، بضروريات
الدين الاساسية المألوفة الجوهري . وأذن ان هذا هو هيكل الدين كما مشا لأول
مرة في أذهان البشر . أما التلقين العقلي المستمر فانه ضروري للاحتفاظ بهذه
الخطوط غير مشوشة او غامضة . اما مقبلاً فقد كان كما يلي : « اية حقيقة
دينية انما تتصور ذاتياً » ، ونحن حين نتحدث عادة عن حقيقة فكرة ما فاننا
نعني علاقتها بحقيقة ما خارجية ، وقد قال كبير كتّاب « الحقيقة هي الذات » .

وهذا هو المفهوم الوجودي . ولكن هل يمكن ان تكون عبارة « الكلب ازرق »
حقيقة دينية ؟ كلا لأنها حتى اذا كانت صحيحة موضوعياً فانها تظل موضوعية
ولهذا فلا علاقة لها بحقائق الدين . وقد يكون صحيحاً ان تقول « ان هناك عالماً
روحياً نذهب اليه حين نموت » نعملاً كما نقول « الكلب ازرق » . ولكن
هذه الحقيقة في هذه الحالة هي حقيقة من العالم الخارجي . ولهذا لانها ليست
حقيقة دينية . ولا يمكن ان توجد الحقيقة الدينية بعيدة عن الطل . بعيدة عن
المجهود الشخصي من اجل ادراكها . ونحن كتب ايكهارت : « لا يستطيع
الانسان ان يعيش بدون الله ، كما ان الله لا يستطيع ان يعيش بدون الانسان » .
فانه كان يتحدث عن حقيقة دائمة ، ولكن ، حين اتخذ « إخوة الروح الحرة »
من هذا عدواً لاراحة اراذلهم والقضاء على المقاييس الاخلاقية ، فان هذه الحقيقة
لم تعد صحيحة بقدر ما كان الأمر بينهم . ان القوى الخلقية المطلقة لا
تعود صحيحة حين لا تستند على حياة ما . ان يوحى بحقائقنا عن تلميد يسأل : « أين
تذهب الروح بعد الموت ؟ » وبجيبه استاذة قائلاً : « لا حاجة بها الى ان
تذهب الى أي مكان ، لأن الجنة والجحيم يملآن هذا الكون بصورة متعادلة » .
ويمثل هذا القول محاولة لاطلاق عبارة موضوعية عن الحقيقة . الا ان يوحى
نفسه يحلر قراءه بشوة ينشله قائلاً في اول كتيبه : « اذا لم تكن تحاول ان
تثبت صلتك بروحياً فدع كتابي هذا جانباً ، ولا تحشر نفسك به ، واعا
الزم خاضعتك » . وهذا يمثل جوهر الدين .

وحين غفلت . ي . حوله في فرنسا عام ١٩١٧ ترك خلفه عناصر مجهود
ضخم . وكان ترثته البادية بهذا المجهود ، مظلماً ، بالظلمة ، اما اول خطوة
يخطوها سمودة الى تريف الدين ثانية فهي ان يزيل ما خلقه بالقيم الاخلاقية من
حقائيات وأن يحاول ان يرى شكلها الاصيل كما وضعها فيه اولئك الناس
الذين ابتدعوها .

الا ان اللاهوتي ظل ما يخاطبه قرناً كاملاً من الزمان بلويع بالطريقة ، دون
ان يدرك ماذا كان فعله ، وهكذا فقد كان يخلق شيئاً جديدة عن طريق التضييق ،

ويمكننا ان نرى بعد مضي اربعين عاماً على موت هولم نتائج غرق كامل من البحث الضلي . فقد اعتبر هولم الاشياء التي كان يتوقها ويأملها مقدمة لـ «الانكار» لباشكل ، الا انه كان من الافضل له ان يسترها غيباً للأدب اللا ذاتي الذي لا يخفى عنه بعد الآن ، ذلك الأدب الذي بدأ بدوستويفسكي في كتابه ومشاهدات من تحت سطح الارض ، متصفاً ومتيناً وولفه ، و«الحياة السرية» ، و«مذكرات جنسكي» ، و«العقل في متهى حدود الاحتمال» .

ويمكننا ان نعيد لتحليل هذه الآمال ، يصح كثرات نتحدث بها عن تطور الوجودية . ويجب ان نقول ان تفكير هولم لم يطلق انفلاقاً منطقياً ، اما البسط الطرق لفهم اصوله وشعوره الضمني ، فذلك انه ففهم عن طريق كبير كفارده . حين عبر كبير كفارده عن ثورته ضد جيل في «المحقق اللاعلمي» ، فانه كان يحاول ان يفهم الفلسفة ضد الفلسفة ، ولكننا ان لدع هذا غيرنا في محاولتنا التصرف على ما كان يصطه . لقد غلبت أرسطو بالوصول في وجه مفراط قبل ما يقرب من ٢٤٠٠ سنة بنفس الطريقة ، اي بالاحضار الذي يشعر به الشاعر نحو النطق ، الا ان الحضارة الغربية تسرعت في التحكم على أرسطو ، لأن المسألة الحقيقية ليست متعلقة بمشكلة هل ان $2+2=4$ أو 3 ؟ وانما بمشكلة : هل تقدم الحياة بأولئك الذين يحبون الكلمات أم بأولئك الذين يحبون الحياة ؟ أن مفهوم مفراط لتاريخ (الذي يصير عنه البروفسور وايت جيد في عصره) ، يقول ان الحضارة تقدم بالنسبة التي يكون بها المفكرون مولعين بالتحريد ، اي بالمعرفة من اجل المعرفة . أما أرسطو فقد انشأ بالالتزام على حدة لفرفة ومعرض مفراط للمعرفة في كل مناسبة . ان ارسطو حتى نيشه يعتبر للمعرفة اداة وحسب من اجل العيش ، ويقول انه ليست هناك معرفة مجردة . وانما هناك معرفة مفيدة وغايات لا قائمة فيها . ولو تصورنا ان الناس أخوا على مفراط ان يعرف «المعرفة الحقيقية» فانا نتوقع منه ان يقول : «كل ما يمكن الانسان من ان يعيش اكثر» . وهذا ما تفهمه من المسرحيات ايضاً .

لقد شعر كبير كفارده مثل هذا ، ولم يكن . باعتباره انساناً حياً حياً مكرراً ،

ويقتضى من غناب شديد ، ممياً بما اذا كان باستطاعة الانسان المجرد ان يتلمب نظاماً كونياً مجرداً وانما كان يمدد المحلوق البسط المخطوط الخاص . للطلب الذي يدعى «موريس» كبير كفارده ، والذي كان عليه ان يقرر شيئاً ما في وجه الله . والذي كان حاجة ان ان يشعر بأن لذلك القرار كل الاحمية مطلقاً وصورة نهائية . وليس ذلك لأنه اذا انتحار بين الله وبين الشيطان فان النظام الكوني سيبصر بصورة افضل .

اذا تذكرنا اختلاف المنح شيئاً فشيئاً بين سالور وبين هايدلبرر بخصوص معنى الوجودية فانا سنفهم ما يلي : ان مطروحة كبير كفارده كانت من اجل المعلمين والمثوريين ، وضد المجرده واللاشمسي . اما قلب سائر الذي لا نهاية له ، بين «الوجود الهاته» و«الوجود يلاه» ، في «الوجود والعلم» فانه لم يقل ازحاجاً كبير كفارده عن ثورته «هايدلبرر» من الوجود والازمن . ولعل كبير كفارده كان يفضل على ذلك كله «مدينة الليلة المفرحة» وفوسن ، و«اربعاء الرماد» لأكبوت ، وليس هناك من شك في ان لامتسباً يشترك معه في هذا التفضيل . ان سلوك كبير كفارده هو من الوجودية بحيث ان حينه يعتبر الله واسطة بينه وبين رفاقه من البشر ، ولا يستطيع ان يقبل وجودهم بدون قبول فكرة وجود الله ، انه يمثل حالة مطروحة من حالات الشاعر ستيفن ديدالوس الذي يقول : ان أحدهم ، ان أحدهم شيئاً ما عند الله وروحي الا ، وأحدهم كل مفاهيم المعرفة وللخضارة والحوامل الاجنبية وعمل الخير .

من الضروري ان نؤكد على هذا السلوك المتطرف لكي يكون في امكاننا فهم ما يؤلف جوهر الدين . انه لا يعني المعرفة والحضارة وعمل الخير ، وانما يرفض ان تكون هذه الاشياء الاحمية الاولى . ان سلوك ابوين آدم (يطلق لي هنت) الذي يقو بأنه لا يحب الله وانما يطلب من الملائكة ان يسيط الى الارض ليحب ، رفاقه ، هذا السلوك كبريه بالنسبة اليه مثل السفطة المعاطفة تماماً . كان هولم مثل كبير كفارده ، أي أن الدين كان امراً ظاهرياً بالنسبة اليه . وقد كان شاعراً ، اما مفهوم الدين بالنسبة اليه لمهر مفهوم شاعري . انه لا يفان

مطلقاً بكونه (كما يفعل الملاحظون) وإنما يقاوم الكواكب بالأطفال :

« رحلة من البرد في ليلة من ليالي الخريف .. »

وانطلقت خارجاً

ورأيت القمر ودياً ، يتكبد على سياج

كفلاح أحمر الوجه

ولم أتوقف لأقول شيئاً ، وإنما أومات

وكانت هناك نجوم يتألق فيها الشوق والحزن

ببهاء الوجوه ، كأطفال المدن ... » (١٨)

ان مفهوم الدين لديه يشبه مفهوم ج.ك. تشيسترتون ، فان الأخير يحدثنا عن بطله الذي يجب للندى الى درجة انه لا يعلم بأن يقول : « ودلث سيارة اجرة حول الزاوية كالريح » ، وإنما « ودلث الريح حول الزاوية » وكأنها سيارة اجرة . (١٩) وهذا هو المفهوم الوجودي أيضاً . ان طريقة « الشرب » (عبارة من عبارات هيجل) تشير الى الخارج ، الى التجريد ، أما طريقة « تصوف » فانها تشير الى الداخل . الا الموجود .

لقد جبر هوله عن كراميته للطريقة الخارجية ، الطريقة الرومانسية ، في مقاله « عن الرومانسية الكلاسيكية » :

« يظن الرومانسي ان الانسان غير نهائي ولهذا فانه يجب ان يتحدث عن اللانهاية دائماً ... » « انه غالباً ما يطر ، يطر فوق المهلوي ، يطر في الأجواء الخائفة ، وانك لتجد كلمة « لانهائي » في كل بيت من ابياته ... »

وهنا يمكن جوهر كل « رومانسية » : ان الانسان « الفرد » هو خزان لانهائي من الامكانيات ، وانك اذا استطعت ان تنظم المجتمع بهدف لتنظيم الظلم ، فان الفرصة ستوفر لهذه الامكانيات ، وستضمث انت .. » (٢٠)

« اما الكلاسيكية ، فيمكن تعريفها بعكس ذلك تماماً ، فالانسان حيوان ثابت . محدود جداً يتميز ببطيئة متسرة ثابتة ، ولهذا فلا يمكن ان يصدر عنه أمر مسمول بدون التقاليد والانظمة .. » (٢١)

ونجد هذا التمييز في جذور كل اقوال هوله « فانه يتحدث عن الفن الحديث (والفن الحديث بالنسبة لهوله هو فن بيكاسو وكودييه بريسكا) ، فيقول : « هناك نوعان من الفن ، هندي وحيوي ، وهناك فرق نوعي كبير بينهما ، ولا يحل هذان النوعان تمييزاً عن فن واحد ، وإنما يتجان هدفين مختلفين ، ولقد وجدنا لتطمين ضرورتين متباينتين من ضرورات العقل .. وينتق كل من هذين النوعين ويتعلق بسلوك عام معين نحو العالم ... » (٢٢)

يلوح للقارئ الآن ان ما عمله هوله فعلاً كان أنه أوجد تمييزاً بين الطريقة التفاضلية ، والطريقتين الانسانية والتشاؤمية في النظر الى العالم ، وانه دعا الطريقة التشاؤمية « بالطريقة الدينية » . الا أن هذا ليس صحيحاً تماماً بالنسبة لأفكار هوله ، ويمكننا ان نوضح ذلك أكثر بالإشارة الى تطور نظرة شوبنهاور الى العالم لدى نيتشه . أما رأي شوبنهاور - الذي هو رأي برودي في أساسه ، فانه يقول ان الارادة هي الحقيقة الكاسية خلف العالم ، الا أنه أضاف ان الارادة تخدم عالم الفكرة والروح في أنها لا تنهض للعمل الا بخاف خارج عنها متعلق بالعالم ، بعالم الفكرة . أما حرية الانسان فانها كاسية في رفضه للعمل . الا أن أهم تجارب نيتشه للارادة ، أي تشييت ، جعلته يرفض نتائج شوبنهاور ، ولكنه لم يرفض تحليله لعالم كلادة ولعالم كوهم . ان مفهوم نيتشه العظيم يقول ان « نعم » وجهه فكرة عن الهدف ، فكرة تلوح ايجابية . وهكذا وبعبارة أخرى ، فقد كان نيتشه دينياً متصرفاً .

وقبل ان تقتطف شيئاً من الصفحات الهامة في « الآمال » يجب علينا ان نوضح هذا الخلاف بين حيوية نيتشه واسلوب هوله الديني ، وليس الخلاف واسعاً بينهما كما يبدو لأول وهلة ، فان هوله لم يكن راغباً في الاهتمام بالمشاهبات ، لأن المحسنيين لنيتشه ويرنارد شو كانوا يداقون عن نظرف حيوي يبلغ حد الاساهية . أما الآن فان شوق دعات ، ولم يعد أحد يقرأ كتب نيتشه في انكلترا ، بينما أدت هجمات إليوت عليها الى تغطية عناصر التوافق بينها ، فصارتا مثالاً افكاراً حقة بالية بالنسبة لذكثاتورية نقد إليوت . ويعرف الجميع تأثير هوله على إليوت ،

كما أن حللها التلخيص عند الحوية تحويلاً إلى التبر على خط واحد ،
واليك ما يقوله الميت :

« يقول الميت بابت : « ان اعطاء المحل الأول للأرادة يمثل طريقة
أخرى لإعلان أن الحياة هي عمل من أعمال الإيمان .. » وهذا صحيح ،
ولكن إذا كانت الحياة عملاً من أعمال الإيمان ، ففي أي شيء هي عمل
من أعمال الإيمان ؟ ان المتأدين يبرعت الحياة وعلى أنفسهم شو يقولون ،
كما أظن : « في الحياة نفسها » ، إلا أنني لن أتهم الميت بابت بأية شبهة
هنا مثل حله ... » (٢٣) واليك ما يقوله هوله :

« ان علم الحياة ليس كعلم الالاهوت ، وفلا فلا يمكن تعريفه بمصطلحات
الحياة » ، و « التقدم » ... » (٢٤)

وهكذا نرى كيف أن الميت فهم الحياة شو بصورة خاطئة ، فيما نجد أن
عبارة هوله صحيحة ، إلا أنها لا تنطبق على نيتشه أو برتراند شو أيضاً . فقد أدت
وجهة هوله في أن لا يعتبره الناس نيتشياً إلى اضطرابه إلى التصريح بعبارة غير
مقبولة بصدد العلاقة بين آرائه وآراء نيتشه . فقد اشتمل في أحد أبحاثه
الطويلة تشبهات حية للتعبير عن شكه في الفلاسفة وفي نظمهم :

« وقد يرتدي الإنسان درعاً مضطرباً مزعوماً ، حيث يلوح لساكن كوكب آخر
لم ير درعاً من قبل ، مثل شيء لا انساني ينمى بقوة ميكانيكية عاتقة ، ثم إذا
رأى الدرع يمر خلف فتاة ، أو يأكل شيء في المطبخ ، فإنه سيدرك حالاً أنه
لم يكن قوة لينة أو ميكانيكية وإنما هو انسان حادي يرتدي درعاً غريباً . » (٢٥)
وهذا هو جوهر نقد نيتشه للفلاسفة في « وراه الخير والشر » في بحث
« تحال الفلاسفة » . إلا أن هوله لا يريد ان يعتبره الناس نيتشياً ، ولهذا
فانه يقول :

« لست أريد أن أشير إلى أي شك في إمكانية وجود فلسفة علمية ، ولست
أعني ما عناه نيتشه حين قال « لا تفكر فيما كان ما يقوله الفيلسوف صحيحاً
أم لا » ، ولكن أسأل كيف ظن انه صحيح » ، لأن هذا يمثل مرحباً من « الشك »

التي لا يمكن كونه هولاً . ان الفلسفة المثالية يجب ان تكون موضوعية
وعلمية تماماً . » (٢٦)

لقد فشل هوله في معرفة ، أو أنه لم بشأ ان يعرف ، ان نيتشه لم يرفض
إمكانية وجود فلسفة موضوعية ، وإنما رفض ان يتوقف بمسألة أية فلسفة غير
وجودية . وهكذا فان نيتشه وهوله هنا امرأاً ولسناً باتفاهما الفلاسفة
قد يتضح هذا أكثر لهوله اذا كان قد قرأ أعمال كبركتارد .

وقد يلوح هذا لفراء الذين لا يهتمهم الفلسفة لثروة بحثت من عتلا وتحليلنا
للانستي . ولكن دعني احاول ان اوضح هذا بعض المهارات : ان مشكلة
الانستي تصل به إلى طريقة في النظر إلى العالم يمكن ان تدعى « تساوية »
(طريقة روكاتان مثلاً) . وقد حاولت ان افهم ان هذه التساوية صحيحة
مقبولة ، وعقبها فاشط من الحساب ككل للكل العليا الانسانية (كما يقول بأن
الانسان يرتدي على درجات من موتى البشر إلى الخياء اسمي .. الخ) ، ولتقد
الفلسفة بقولها انه لا يمرر هناك لمحاولة الفيلسوف ان يعرف العالم ما دام لا يعرف
نفسه . ان هذه الطريقة تقول بأن المثل الأعلى (الفلسفة الموضوعية) لن تتألف
من المفكرين وحسب وإنما من البشر الذين يجمعون بين المفكر والشاعر والانسان
العلمي . وليس قول اسفة الفلسفة « ما هو الغرض من وجود هذا الكون » و
« وأما « ماذا يجب علينا ان فعل بجائنا ؟ » ، أي ان هدفها ليس بظاهراً
مخولاً من الناحية الفلسفية ، وإنما هو خلاص الفرد . والآن يمكنني ان
اشرح بأن هذه العبارة هي لأعندة دينية ، سواء وجدناها لدى الفلاسفة
أوغسطين أو لدى شو . وان اهم جانب من جوانب هدف هذا الكتاب
هو انني حاولت ايضاح هذه النقطة .

لم يسبق ان أوضحت متفكر قبل هوله تحيزه بين رأي الفيلسوف (الانسالي)
والرأي الديني ، ويمكنني ان اختلف اسس اختلافه مع نيتشه من الصفحات
الأولى من « الآمال » حيث يضم الواقع إلى ثلاثة اقسام : المادي ، والحيوي ،
والديني :

« دعنا نفترض ان الواقع ينقسم الى ثلاث مناطق ، منفصلة عن بعضها البعض بمحدود مطلق ، او بانقطاعات والمية حقيعية : (١) العالم للأعضاء ، الذي تعالج امره الرياضيات والعلوم الفيزيائية (٢) العالم الحسوي ، الذي يملأه علم الحياة وعلم النفس والتأريخ ، (٣) عالم القيم الخلقية والقدسية . » (٢٧)

ان نيتشه يتفق مع اللاهوت الأوغسطيني في اعتبار العالم مؤلفاً بصورة جوهرية من المادة والروح وفي اعتبار الحياة منطقة عملها المشترك ، أي انه لا وجود هناك لواحد مطلق منها . كما ان المادة اللاعضوية هي دائماً التحول الى مادة عضوية ، ويدرك حوله هذا في مقالة اخرى من « بروهون » :

« يمكن ان توصف عملية التعبير بأنها اشفاء الحرية بصورة تلقائية على المادة . ويمكنك ان تقول بخصوص الاميا ان الحياة صنع لفترة يمكن ان تدل منها القسالة الحرة الى العالم ، ولهذا فان عملية التعبير كانت توسعاً تدريجياً لهذه الفترة . » (٢٨)

ويستعمل حوله هنا ، كما في أي مكان آخر ، اصلاح « التعبير » بدون ان يضمه أي نقد معين ، اما جوهر نقده للانسانية والرومانية فانه مستمر في عبارته التي يصف بها الكلاسيكية : « انت مخلص دائماً قهرهم الحديد » ، وهو يقول :

« ان مقدار الحرية الموجودة في الانسان مبالغ فيه . ان ديني والاراء التي حصلت عليها من الفلسفة الميتافيزيكية بدعواتي الى القول بأنها اسرار في بعض الأحيان النادرة ، الا ان كثيراً من الاحمال التي نطق بها حرة ليست خبر اعمال اوتوماتيكية . » (٢٩)

ولا حاجة بنا الى الاشارة الى التشابه الموجود بين هذا وبين حيوية غورديف فان لديه مفهوماً مثل هذا من الحديد ، ويلخص حوله هذا قائلاً :
« يمكنك ان تصف حقائق التعبير بقولك انها تلوح وكأن تياراً عاصفاً من الادراك قد تفلط في المادة ، محاولاً ان ينظمها ليستطيع ان يبرز فيها الحرية . »

ولكن الادراك ، بصله هذا ، سقط في شرائط بعض الاتجاهات ، والد سيطرت المادة على الامراك الذي كان يريد أن ينظمها وفيدته باوتوماتيكيته . لقد أصبحت الاوتوماتيكية والادراك يحكيان عالم النبات مثلاً ، أما في عالم الحيوان فان الادراك ما زال يخال شيئاً من النجاح ولسيطرة ، الا أن الاوتوماتيكية تتيح الحرية خلال عملية التعبير وهكذا يؤدي ذلك الى اختناق هذه الحرية . ويستطيع الانسان ان يحصل حل صورة هذا التعبير من هذا التوضيح . ويمثل الصورة ميلاً من الادراك يتدفق في المادة وكأنه يتدفق في قنار صغير يحاول أن يوسع مجراه من الفاتحين ، ويختر التفرات ، الا أنه غالباً ما يتوقف أمام صخور شديدة الصلابة . في حين يستطيع ان يتدفق في صخور اخرى ليعود الى الحياة ثانية ... ان الطريق الملتزم بالمادة قد تهب جانباً من تيار الادراك شيئاً من التماسك الذي يساعد على البقاء دائماً بعد مروره . » (٣٠)

يمكننا ان نظارن هذا بكلام ليلث في نهاية « العودة الى ميتو خالغ » ، حين يقول : « لقد جلبت الحياة الى دوامة القوة . وأجبرت عودتي الى المادة على اطاعة روح حية ، ولكنني باستمادي هذه الحياة جعلته سيد الحياة ، لأن في ذلك نهاية كل عبودية .. » ونحنوي عبارات ليلث هذه على حفيظة اللاهوتي : « أقول بهم نحنون التوقف والانقطاع قبل أي شيء آخر ... » (٣١)

ونجد لدى شو ، كما نجد لدى غورديف ونيتشه ، ادراكاً للمجهود العظيم الذي تقوم به الإرادة الضرورية من اجل التعبير حتى من اقل ما يمكن من الحرية . ويضع هذا اولئك الرجال بجانب باسكال والفديس أوغسطين كمفكرين دينيين ، ولا يتخذ آراءهم من التشاؤمية الا ادراكهم الصوري لامكانيات الارادة الحرة ، الفية من مريكات الاوتوماتيكية . ان « بيت اليوت في التمام حول العائلة » : « والملاحظة الجزئية التي ينفذها الانسان لمعرفة اوتوماتيكيته » بقصه في مستوى وسعد مع حوله وغورديف وبرهسون ، تماماً كما تؤكد عبارته « دع ارادتك تكون كاملة » في « الصخرة » على علاقة افكاره بنيتشه وبرهون وايكهارت . لقد نبأ حوله بنهاية الفترة الانسانية الحالية ، هذه الفترة التي اختتمها ، كما

قال هول ، عصر النهضة وبهذه فكرة الخطيئة الاولى التي تعتبر لها المحدث المطلق .
لقد آمن بأن هذه الفكرة لا يمكن ان تبدل بدون عو كل مطور التفكير الواضح ،
وفتح الابواب لتأديج التفاضل الطائفي الفكرية . لقد ادرك ان :

« الايديولوجية الجديدة ضد الانسانية لم تسلم ان تولد انشأاً تاماً
لافكار القرون الوسطى . ان الفترة الانسانية طورت في العلم شيئاً من الامانة ..
ومفهومياً لحرية التفكير العقلية سيظل .. » (٣٢)

لقد كان التبدل الذي حصل في العالم العقلي ، منذ ان كتب هول هذه
العهات مسؤلاً عن كل هذا . كما ان فترة الحبيبة ضد الانسانية ليست
غير نتيجة للتخصص والاختيار الشديدتين اللتين قام بهما افراد مثل بليك ونيته
ودوستوفسكي وشو . اما الانسانية فهي اسم آخر للكسل الروحي ، او عبادة
تصنيفات متناهية علما ومناطقة كانت انماهم مشغولة بالمعلم الرياضي والتحيز بالي
بصورة لا تتيح لهم ان يفلقوا بشأن الاصناف الدينية . ومن القسروزي لولا
الناس ان يعضوا الخطوط الاولى والاشغالات الخاصة بهذه الاصناف لأظهرها
بصورة اوضح حتى تكون قابلة للفهم . الا اننا لا نتوقع منهم ان يكون بإمكانهم
تصنيف كل ما خلقه عصر النهضة من ترهات ، فان هذا يدخل في اختصاص
الفراد يحسن بالمعامل الدينية احساساً عميقاً بشيخ لهم ان يعضوا ذلك بسهولة . وقد
وضع شو اصبه على الحاجة الحثيثة في مقدمة « الوحدة الى مير شالغ » :

« مع الكنائس نساء اقساما : لماذا لا تحدث ثورة ضد قوانين الرياضيات
كما تحدث ضد الدين ؟ ليس ذلك لأن قوانين الرياضيات مفهومة أكثر . ان
لقانون اكمال المربع هو غير مفهوم بالنسبة للانسان العادي تماماً كما لا يفهم هذا
الانسان قصة الحقيقة « الأثنايزية » ، وليس هذا لأن العلم خال من الشعر
والاساطير والمعجزات وتواريخ الحيلة التي يتأخر بها « الاصدقاء » يطولاهم
ولغسياتهم ، ومن الفاهين والفاهين الذين يدهون بأنهم مكشوفون . بل على
العكس ، فان تصورات وفلسفات العلم كبيرة جداً وصغيرة بقدر كثرتها . الا
ان طالب العلوم لم يعلم ان قانون الوزن النوعي يتألف من الاعتقاد بأن ارخميس

تقتر من الحمام وركض حارباً في شوارع ميروكوز صالماً : وجدتها .
وجدتها . لو ان قانون اكمال المربع يجب ان يتبدل اذا استطاع احد ان يثبت
ان نيوتن لم يدخل بيتاً في حياته .. اننا نجد في الرياضيات والفيزياء ان
الايمان ما يزال قديماً وبامكانك ان تتسلق بالقانون وتترك الاساطير دون
ان يتسلق احد بالخرطقة ... » (٣٣)

دعنا نربط هذا بما يقوله بطل هول في الاعتراف لا يعترف به عاطفية :
في « الاعتراف » :

« ليس عندي شيء من مشاعر الرضى بالحسين ، واحترام التقاليد ، والرهبة
في الحصول على العاطفة التي شعر بها انجيليكو ، والتي يلوح بها لازل في معظم
المدافعين عن الدين . فان ذلك كله يلوح جلاء . اما المهم فهو ما لم يدركه احد -
الضال الذي شبه فكرة الخطيئة الاولى .. ان الانسان ليس كاملاً ، وانما هو
مخلوق نرس . الا انه مع ذلك يفهم الكمال . وعليه فليس لأحتفل العقيدة من
أجل العاطفة ، وانما قد ابتلع العاطفة من أجل العقيدة . » (٣٤)

ان فهم الاسلوب الكامن وراء هذه السطور هو ، كما اظهر ، من اهم
الأمور التي يحتاج اليها صرنا .

لقد اجتر هول « آتاله » مقدمة لثراء باسكال . وقد حدثت انا ايضاً من
تأليفي هذه الدراسة عن الاستمعي . الى انجاد مقدمة لحقل لا انتهاء له . لحفل
بحمد شو وغوردريف من ناحية ، وبيناً يحده من الناحية الاخرى بروشتالي
متعصب مثل كبر كغارد ، او كاثوليكي متعصب مثل نيومان . وقد بحث في
هذا المجال اشياء كثيرة عثما على راينهولد نيور وكفكت قبل بريدف ، وبجهد
عني ان اعترف بالدين الذي في عني لها ، « ولايوت الذي يدين له بذلك
كثيرون من افراد جيلى » بالنسبة لقالاته العاطفة عن الانسانية والسرور الديني .
ويجب ان اتقول هنا انه لم يحقق كتاب يضم مائة ألف كلمة هذا الهدف قبل
الآن ، فانا استطاع هذا الكتاب ان يكون خاضعاً للمودة الى قراءة شو فيمكنني
اقتن ان اتقول انه قد حقق الهدف ان شو يمر الآن بفترة يشغل فيها الناس من كيمته

فهرست

صفحه

۵

۹

۲۷

۵۱

۸۰

۱۲۹

۱۶۳

۲۱۰

۲۴۲

۲۹۵

تقديم

۱ - بلاد العميان

۲ - عالم بلا قيم

۳ - اللاتيني الروماني

۴ - محاولة التبطلة

۵ - فاصل الأمم

۶ - مسألة الثانية

۷ - التركيب العظيم

۸ - اللاتيني كائنات يرى رؤى

۹ - عظيم الحلقة المبرغة